جـامعـة الجزائـر2 "أبوالقاسم سعد اللّه"

كليـــــــة العلـــــــوم الإنسانيـــــة

قســـــــــم التـــــــــاريـــــخ

إسهامات الشّيخ أحمد توفيق المدني في الثّورة الجزائرية 1954م – 1962م

مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التـاريخ الحـديث والمعـاصر

إعداد الطالب

محمـد عوفـن

إشـــراف

الأستاذ الدكتور/ **عبدالقادر مـــــولاي**

لجنـــة المناقشـــة

الأستاذ الدكتور/ بوضرسـايـة بوعـزة رئيســـا.

الأستاذ الدكتور/ عبد القـادر مـولاي مشرفـــا.

الأستاذ الدكتور/ بشـير سعـــــدوني عضـــوا.

الدكتـــــــور/ حسين عبد الستـار عضـــوا.

السنة الجـامعية : 1438هـ/1439هـ – 2017 م/2018 م

بسم الله الرحمن الرحيم

إهـــــــــــــــــداء

إلى

روح أمي وأبي

إلـــى روح خـــــالي

الحـــاج الميلـــود وزجتـــــه

الى روح أخـي بوعيسي إلى روح إبن أختـي

عبدالقادر، رحمهـم الله جميعا، وقـدّس ثراهم وجعـل

الجنّة مثواهم وأسكنهم في علّيّين مع الشهداء

والصدّقين، في جنّـات النّعيـم،إلـى

عـائلتي الكريمـة زوجتـي

وأبنائي أهدي هذا

العمل

كلـــمة شكـــر وتقديـــر

الحمد لله

الذّي بنعمته تتمّ

الصّالحات، الحمد لله الذي ألهمني

الصبر و التّوفيق لإنجاز هذا العمل، أتقدّم بخالص

الشّكر إلى من منحني ثقته الكاملة في إعداد هذه المذكّرة لأتصرّف

فيها بملء إرادتي ، خاضيا بلبّ توجيهاته ، المشرف الأستاذ الدّكتور

"عبدالقادر مولاي"كما أتقدّم بالشّكر الجزيل إلى جميع أساتذة قسم

التّاريخ وبالخصوص أساتذة ما بعد التّدرج وعلى رأسهم

الأستاذالدّكتور بوضرساية بوعزةإلى كلّ العاملين

بالمكتبات ومراكز البحث المتخصّصة

الى أعضاء لجنة المناقشة

الموقّرة

ألـــــــــــف شـــكر

قائمة المختصرات

ج	جزء
جم	جمع
د. م. ج	ديوان المطبوعات الجامعية
د.غ.إ	دار الغرب الإسلامي.
د. ت	دون تاريخ
د.ك.ع	دار الكتاب العربي
د.ف.ع	دار الفكر العربي
ح.إ.ح.د	حركة الإنتصار للحريات الديمقراطية
ح.ش.ج	حزب الشعب الجزائري
ط	طبعة
ط.خ	طبعة خاصة
م	مجلد
م. و. ب.ح. ث	المركز الوطني للبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954
م.و.د.ت	المركز الوطني للدراسات التاريخية
م.و.ك	المؤسسة الوطنية للكتاب

م.و.ف.م	المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية
م.ع.د.ن	المؤسسة العربية للدراسات والنشر
ع	عدد
ع. م	عدد مزدوج
ف.ف	فرنك فرنسي
ص	صفحة
ش.و.ن.ت	الشركة الوطنية للنشر والتوزيع
تح	تحقيق
تق	تقديم
تر	ترجمة
تع	تعليق

LISTE DES ABREVATIONS

A.I.D.O	L'Activité Indigène dans le Département d'Oran
A.N.E.P	Agence National d'Edition et de Publicité
A.W.O	Archive de la Wilaya d'Oran
Ed	Edition
Imp	Imprimerie
N.É	Nouvelle Edition
N	Numéro
O.P.U	Office des Publication Universitaires
P	Page
Pr	Préface
Prs	Présentation
R. A	Revue Africaine
R.H, M	Revue d'histoire Maghrébine
SE	Sans Edition
S.D	Sans Date
S.N.E.D	Société Nationale d'édition et diffusion
T	Tome
V	Volume

المقدمـــــــــــة

خضعت الجزائر للإحـلال الفرنسي بعد توقيع معاهدة الإستسلام في05 جويلية عام 1830م، وعاشت البلاد تجربة قاسيـة تحت نير الإستعمار الذّي إعتبرها جزءا لا يتجزّء من الممتـلكات الفرنسية ،وفقا للمرسوم الملكي الصّادر في 22 جولية 1834 م، والذي دعّمه بدستور 1848 م حيث جاء في المادّة 109 منه أنّ الجزائـــر أرض فرنسيّة ، لتمهّد بذلك الطّريق لبداية أكبر مشروع إستعماري إستطـاني في شمال القارّة الإفريقيـة ، كانت الجزائـر مسرحـا له ، لتعيش بعـدها خلال القرن 19 على وقع الثـورات الشّعبية والإنتفـاضات بقيّادة زعامات وطنية ، والتي عطّلت زحف القوّات الغازية في بسط نفوذها على كامل التّراب الوطنيإلاّ بعد العقد الثّاني من القرن العشـرين .

وفي خضـّم المقـاومـة الوطنية وفي مسارها الطّويل مع الإستعمار الفرنسي ،أنجبت الجزائر على مدى مسيّرتها التّاريخيـة ،العديد من الشّخصيـات الوطنيـة من علماء الدّين والفكر والسياسـة البارزين، الذّين كان لهم الدّور الكبير في مسار القضيـة الوطنيـة، و تصدّوا للسياسـة الإستعمارية التيّ كانت تهدف إلى طمس الهويّة الجزائريـة ، العربيـة ، الإسلاميـة .

ونجد من بين هؤلاء العلماء " **أحمد توفيق المدني**" الذّي كانت له مكانتة الثقافيّة والسياسيّة بالجزائر، و كان له دور مهم في الثورة التحريرية الجزائرية خاصة ، ويعتبر من الأقطاب البارزين الذين تركوا بصمات واضحة في مسار الحركة الوطنية بأشكالها الثقافية و السياسية المختلفةو عظيم الأثر في بعث نهضتها الفكرية ، فسجلوا بذلك أروع المشاهد و خلذوا أنصع الصفحات في تاريخ الامة الامازغية ،العربية ،الاسلامية.

وقداتسمت تجارب هؤلاء الرجالبالثراء و التنوع ،و كان هدفها واحد هو خدمة القضية الوطنية، لكن بافكار و تصورات متمايزة ، مما اضفى عليها بعض المشاحنات و والخلافات في الرؤى، و التي نتجت عنها حيويّة وحركيّة كبيرة على الساحة الجزائرية ، ميّزت النشـاط السياسي للحركة الوطنية وثورة التحرير الكبرى في الجزائر.

وعليه فإن الباحث ،او المتصفّح لتاريخ النضال الوطني ضدّ الإستعمار يتساءل كيف أنّ شخصيات وطنية بارزة بحجم" **أحمد توفيق المدني**" طالها نوع من التنكّر، من خلال بعض محاولات التّهميش و الإقصاء مقارنة بحضوره المتميّز وتجربته الرّائدة ليس في الجزائر فحسب بل وفي موطن ميلاده تونس أيضا ،وماتركه من تراث حافل بجلائل الأعمال ، والذي إستطاع أن يرسم صورة حيّة لرجل عاش للجزائر و للأمّة العربية و الإسلامية قاطبة ،وحمل بصدق همومها و ترجم بأفكاره تطلعاتها على مدار سبعين عاما من العطاء .

ومن الانتقادات، كالتي تظهر في صفحات كتاب "تحريف وتزييف" لصاحبه محمد الطّاهر فضلاء الذّي وجّه جملة من الإنتقادات لـ "توفيق المدني" والتّي ربّما أدّت بالمطالعين للكتاب ، ممن لا يعرفونه ،إلى إختصارالتاريخ الرّجل في هذه الصّفحات.

كما أن قيام الباحثينوالمؤرّخين، بتخصيص دراسة معمّقة وشاملة تبرز مناقب" توفيق المدني" كشخصيّة وطنيّة، بجلائل الأعمال التي قدّمها، في ميادين عديدة ، فكريّة وسياسية ، سواءا من خلال منابر النّضال، أو مناصب المسؤوليات التّي تقلّدها، قبل وخلال وبعد الثورة التحريرية وتسليط الأضواء على حقيقة الدّور الذّي لعبه، أصبحت ضرورة وواجبا وطنيا، ليس لشخص "توفيق المدني" فحسب ، بل لكتابة تاريخ الجزائروإزاحة الستار عن بعض جوانبه المظلمة ،وكذا إنصاف فاعليه و صانعيه من الرّجال الذّين مسّتهم بعض محاولات التّشويه و التّغييب.

- **<u>أسباب اختيار الموضوع</u>** :

من أهمّ الأسباب التّي دفعتني إلى إختيار هذا الموضوع كمجالا للبحث هي:

أولا : التشجيع الكبير الذّي وجدتّه لدى مشرفي ،الأستاذ الدّكتور "**عبد القادر مولاي**" للخوض في مثل هذه المواضيع المتعلّقة بسير القيّادات و الشّخصيات ،خدمة لتاريخنا و بأقلام وطنيّة تعكس البعد الحقيقي لمسيرتنا الحضارية .

ثانيا: عدم وجود دراسة أكاديمية تناولت مسيرة الشيخ "أحمد توفيق المدني" كشخصيّة وطنيّة كان لها إسهامات رائدة في الحركة الإصلاحية،والسّياسية، ودور هام في الثورة التحريرية 1954 م ولم يحظ بالإهتمام اللاّ زم ،إذ لم تخصّص ملتقيات لدراسة منهجه و أفكاره على غرار ما حظي به رفقاؤه و معاصروه .

ثالثا : معرفة المنهج والأسلوب الذّي إعتمده الشّيخ "أحمد توفيق المدني " في طرح أفكاره وتجسيد جهوده في الدّفاع عن الهويّة الجزائريه، و محاولة فهم مساره النضالي و كذا طبيعة علاقاته بزعماء الحركة الإصلاحية و الحركات السياسية الوطنية و المغاربية البارزين أنذاك

رابعا :المساهمة في تقديم دراسة متواضعة تبرز دور الشيخ "أحمد توفيق المدني" في النّضال الوطني وإسهاماته في الثّورة التحريرية 1954– 1962م بالخصوص .

إنّ هذه الدّراسة تتناول بالمناقشة والتّحليل موضوع يتعلّق بخصوصيّة تجربة " أحمد توفيق المدني" النضالية الذي أظهر من خلالها قدرته وكفاءته الكبيرة على خوض ميلادين متنوّعة وقد أهّله لذلك ثراءه الثقافي المزدوج، الذّي ولّد لديه روحا عالية للتّحاور مع الآخرين شكّلت عقدة لدى كثير من معاصريه خصوصا من أنصار الحركة الإصلاحية الذين ناضل إلى جانبهم سنوات عديدة قبل أن ينخرط في جمعية العلماء رسميّا في مطلع الخمسينيات ، وكذلك بعض معاصريه في قيادة الثورة االتحريرية ، فمثلا لا مانع لديه من التوافق حول الوحدة ومجابهة الإستعماربغضّ النظر عن الاختلافات الإيديولوجية مدام الهدف الأسمى واحد .

<u>حدود الدّراسة</u> :

إنّ المرحلة التي أتناولها بالدّراسة تنحصر بين سنوات 1954 – 1962م وهيّ المحدّدة بإندلاع الثورة التحريرية أول نوفمبر 1954 موإسترجاع السيّادة الوطنية 1962م.

و لكنّ مجال البحث يغطّي فترات القرن العشرين ،الذّي كان ثريّا بالأحداث المحليّة على مستوى الجزائر،و على الصعيد العالمي أيضا، تميّزت ببروز الحركات السياسية الوطنية وإنتشار المدّ القومي و

الأفكار الإصلاحية ، وتراجع الاستعمار التقليدي و حصول تغيّرات جيوسياسية وتحوّلات إقتصادية و ثقافية عالمية عميقة تركت اثارها على المنطقة .

- **مناهج البحث**

استخدمت المناهج التالية :

أولا : المنهج التاريخي الوصفي : وظّفته في رصد الوقائع التاريخية التي لها علاقة بموضوع الدراسة و ترتيبها ترتيبا كرونولوجيا ، و وصفها حسب كل مرحلة من المراحل الواردة في خطة البحث .

ثانيا : المنهج التحليلي : و قد إتّبعته في دراسة و تحليل الأحداث الي عاشها وتأثّر بها أو ساهم في صنعها ، وكذا الأعمال التّي تركها "توفيق المدني" و خلّدت آثاره ، و طرح التفسيرات في مسائل ومواضيع متعلّقة بالبحث او كمفاتيح بحث ،للوصول الى الحقائق العلميّة بكل موضوعية بعيدا عن التشدّد في الأحكام ،وعدم الإفواط في الذّاتية في تحليل الأحداث .

ثالثا : المنهج المقارن : كان من الواجب إنتهاجه نظرا لضرورة المقارنة في بعض المواقف والافكار التّي إختلف فيها الرّجل مع بعض زملائه من معاصريه.

- **صعوبات البحث** :

إنّ الباحث اي كان تعتري طريقه صعوبات و عراقيل تتطلب إرادة قوية و صبرا جميلا لتجاوزها ، لأن طريق العلم يجب أن يكابد صاحبه بعض المشقّة ،لكنّ يجب أن يتغلّب عليها و أن لا يفشل حتّى يتمكّن من إنجاز عمله ، و يمكنني في هذا المجال أن ألخّص بعض الصعوبات التي صادفتها في مجال بحثي وهي كالتّالي :

أولا : ضيق الفترة المدروسة والمحدّدة بين 1954 و1962 م، ممّا إستوجب توسيع مجال الدراسة لمعرفة المشارب الفكرية والعلمية والبيئيّة لـ" أحمد توفيق المدني" التي أهّلته لخوض غمار تجربته النّضالية،

ممّـا أفرز صعوبـة في جمع المـادة العلميـة ، لا سيما وأنّ الرجـل قد بدأ نضاله في سنّ مبكّرة في تونس بلد المولد، فهي تجربة طويلة ،قاربت السبعون سنة ،لا يمكن اختصارها في موضوع عام ووجيز.

ثانيا : في العديد من القضايا التّـي كـان الشّيخ "أحمد توفيق المدني" أحد الفاعلين في مجريـاتها أو من صنّـاعها تضاربت الرّوايـات و الشهـادات، منها قضيّـة نشـأة جمعيـة العلمـاء المسلميـن ، وكـذا موقفـه من مطالب " فرحـات عبـاس " الإدماجيـة سنة 1936 م و أهمهـا الموقف من إندلاع الثّـورة التّحريريـة 1954 م و دوره فيهـا ،و غيرهـا من القضايا التّي كان الإختلاف حولها، والتّي تحجّج بها منتقدوه ،ظهرت جليّتا في كتاب " التحريف و التزييف في كتاب حياة كفاح " و ذلك ردّا على إصدار "توفيق المدني" لمذكّراته " حياة كفاح " و خصوصا الجزء الثاني منها في نهاية السّبعينيّات من القرن الماضي (ق 20 م) ، ممـا إستوجب بـذل جهد كبيـر و والإطلاع جيّـدا على مـاجاء به المنتقدين، و البحث عن إجـابات مقنعـة وموضوعيّـة بعيدا عن الذّاتيـة للقضـايـا التّـي طـرحت و هـو ما تطلّب جهـدا وطاقـة فكريـة .

لكنّ هذه العوامل مجتمعتا لم تكن لتثنـي عزمـي في بـحثي هذا أمام التّشجيع و الرّعـايـة التّي أولانـي بهـا مشرفي، الأستاذ الدّكتور "**عبد القـادر مولاي**" جزاه الله عنّي كلّ خيـر.

– **وصـف لأهـم مصـادر البحث و مـراجعه** :

تميّزت المصادر و المراجع التي إعتمدتهـا في إنجـاز هـذه المذّكرة بالتنّوع في مواضيعهـا وتمـايزت في أهميّتهـا للبحث حسب علاقتهـا بالموضوع المروس وهي صحف و مجلاّ ت وكـتب و دراسـات و قوامـيس .

المصادر :

أولا : الصّحـف : و هي أولـى و أهمّ المصـادر التّـي تعكس بصدق حقيقـة المـواقف التي إتّسم بها "الشيخ أحمد توفيق المدني" حيـث كـانت في وقتها ، ولأنّــه كتب في العشرات منها محرّرا ومراسلا حيث ترك أكثر بصمـاتـه في الصحف التالية:

- **الشّهـــاب** : وهي الصّحيفة الإصلاحية الباديسية التّي ظهرت في شكلين (أسبوعية وشهرية) وذلك سنة 1929 م أي سبقت تأسيس جمعية العلماء المسلمين و إستمرّت إلى غايـــة سنة 1939 م و هـي التّي كتب فيها "توفيق المدني" كثيرا خاصة في ركنها المعروف " الشهـر السياسي " .

- **البصائر** : الصحيفة الرّسميّة النّاطقة بإسم جمعية العلماء المسلمين الجزائريـن بالأص ّ السلسلة الثانية منها ، من 1946 إلى 1956 م ،حيث كتب "توفيق المدني" في ركنها الشهير "منبر السياسة العالمية " الذّي شغل حيّزا كبيرا من صفحاتها ، و تضمّنت مئات من مقالاته التّي تميّزت بالدّفاع عن قضايا المغرب والمشرق العربي، و مناهضة الصّهيونية و الإستعمار الأروبـــي .

- **المنـــار** : وهي صحيفـة ثقافية ،دينية ، مستقلّة ، ظهرت سنة 1951 م والتّي خصّصت أعدادا منـها لإنشاء الجبهة الجزائرية للدّفاع عن الحريّة و إحترامها، والتّـي كان توفيق المدنيّ أحد مؤسّسها وسجّلت عدّة حوارات مع "توفيق المدني" حول مواضيع الوحدة و الإتحاد بين الجزائريين و تتبّعت نشاطات الجبهة.

- **المجـاهد** : هي صحيفـة عـبارة عن لسان حال الثورة منذ سنة 1956 م و قد إستغلّيت بعض أعدادها لتغطية نشاطاته خلال الثورة التّحريريـــة .

ثانيا : الكتب ومن أهمهـا: مذكّرات الشيخ "أحمد توفيق المدني" : حياة كفاح و هي ثلاثة أجزاء غطّت مرحلة:1905- 1962 م، فالجزء الأول منها صدر في تونس 1905- 1925 م ،يتناول بالدّراسة النّشأة و التكوين العلمي و السّياسي "لتوفيق المدني" و يسلّط الأضواء على أحداث فترة الرّبع الأول من القرن العشرين ،أمّا الجزء الثاني في الجزائر 1925 – 1954 م ويتناول أعماله بالجزائر بعد أن نفته السّلطات الإستعمارية الفرنسية إليها سنة 1925 م ، حيث يصوّر جوانب عديدة و يناقش قضايا هامّة تخصّ الواقع السياسي و الحياة الفكرية والثقافية و يبرز مواقفه منها و تفاعلاته معها ، و الجزء الثالث 1954 – 1962 م ، ويتناول فيه نشاطه خلال الثورة التحريرية الكبرى ، فهو ثريّ

بالمادّة التاريخية وحتى بالصور ،سجّل الكثير من الأحداث و التطورات السياسية و العسكرية للثورة، و المشاكل التي إعترضت مسيرتها و كذا الصّراعات وبعض المؤامرات التي حيكت بين قادتها .

ولذا فإن الأجزاء الثلاثة ، تعتبر من أهم المصادر التي إعتمدتّها في هذا البحث لأنها خلاصة المسيرة النضالية لـ "توفيق المدني" .

وكذا كتاب " التحريف و التزييف في كتاب حياة كفاح " لمؤلّفه محمد الطاهر فضلاء ، الذّي يمثّل جملة الإنتقادات التي تعرّض لها الشيخ "توفيق المدني" من طرف بعض زملائه من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، كانت كردا على مذكّراته ، خاصّة الجزء الثاني منها الذّي تناول عدّة قضايتخصّ نشاطه في الحركة الإصلاحية و جمعية العلماء ، بحيث يطرح هؤلاء وجهة نظر مغايرة و تفسيرا مختلفا لسير الأحداث وخلفياتها ، معاكسة تماما لما جاء به "توفيق المدني" بل ينتقدونه.

وأيضا" كتاب الجزائر " لمؤلفه الشيخ " أحمد توفيق المدني" ،الذّي تضمّن الوضعية الإقتصادية و الإجتماعية و الثقافية و السياسية للجزائر، كما سجّل بعض مواقفه و أرائه من تيار الطّرقية ودعوته إلى إصلاح نظام التعليم .

وكتاب " الكفاح القومي و السّياسي من خلال مذكّرات معاصر " الجزءان الأول و الثاني للمؤلف "عبد الرّحمان بن براهيم بن العقّون" ،و هو أحد المعاصرين " لتوفيق للمدني" وقد إعتمدت عليه في طرح بعض القضايا المتعلّقة بنشاط الجبهة الجزائرية للدّفاع عن الحريّة ،و بيان الشعب الجزائري وكذا المواقف من إندلاع الثّورة .

وكذا كتاب "عبد الناصر و ثورة الجزائر" للمؤلف" فتحي الذيب" الذّي تناول وقائع الثّورة من جانب الإتصالات المصرية الجزائرية، وقضايا تتعلّق بمشاكل و اجهتها الثّورة ، وكذا دور "توفيق المدني" في الوفد الخارجي ، و خاصّة حادث إختطاف القادة الخمسة ، كما عرض المؤلف تحليلا مركّز جدّا لشخصية "توفيق المدني" .

- **المراجع:** و يأتي في مقدمتها: كتاب " الإصلاح الإسلامي في الجزائر 1925 إلى 1940م والذّي تناول بالدّراسة روّاد جمعية العلماء المسلمين ،منهم "توفيق المدني"و يعتبر الكتاب أهم دراسة جادة للحركة الاصلاحية بعد الإستقلال ، كما طرح قضايا هامة كالتجنيس.

وأيضا كتاب " فرحات عباس جزائر أخرى " – Ferhat Abbas une autre Algerie تأليف " بنيامين سطورا " و"زكية داود".وإن تناول على العموم نشاط فرحات عباس ،لإّ أنّني إطّلعت من خلاله على بعض الجوانب من نضال الشيخ" أحمد توفيق المدني" و بعض الجوانب من مسار الثّورة.

كتاب " تاريخ الجزائر الثقافي " الجزء السّابع للدّكتور" أبي القاسم سعد الله "والذّي تناول بإختصار بعض مؤلفات " توفيق المدني"

كتاب " النشاط العلمي و الفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس 1900 – 1962 م "للمؤلف "محمد الصالح الجابري " ،الذّي عرض جانب مهم من نشاط "الشيخ توفيق المدني"بتونس و خاصة الكتابة الصحفية ، و أبرز ردود الأفعال على قرار إبعاده سنة 1925 م .

كتاب " التعليم القومي و الشخصية الجزائرية 1931 – 1956 للمؤلف"رابح تركي" هي دراسة مقارنة ركّزت على المدارس الثقافية لجمعية العلماء المسلمين و قد إستغليته في بحث الأوضاع الثقافية بالجزائر في ظلّ الاستعمار.

الأطروحات: بالإضافة الى أنني إعتمدت على بعض الأطروحات الجامعية، نذكر أهمها كرسالة ماجستير تحت عنوان الكتابات التاريخية الجزائرية في الفترة 1927 – 1957 م من خلال مؤلفات : " مبارك الميلي " و "أحمد توفيق المدني " و "عبد الرحمان الجيلالي"، قدمها الطالب ميسوم بلقاسم بالمدرسة العليا للأساتذة في جامعة الجزائر (2001 – 2002).

المقالات : إعتمدت أيضا على مجموعة من المقالات المنشورة بالعدد (18) من مجلة التاريخ العدد الخاص بالذكرى الأولى لوفاة "أحمد توفيق المدني" .

الإشكاليةومن خلال هذا الموضوع نتوصّل إلى **الإشكاليــة** التي نطرح من خلالها عدّة تساؤلات منها:

– ماهي مواقف"أحمد توفيق المدني" من الوجود الإستعماريالعسكريفي الجزائر ؟

– ماهي مكانته في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ؟

– كيف وظف التاريخ لخدمة الوطن ؟ و كيف ردّ على طروحات مؤرّخي المدرسة الكولونيالية؟ وما هي الأصداء التي تركتها مؤلفاتــه ؟

– كيف كانت رؤيته ومنهجه في نجاح الثورة التحريرية ؟

– ماهو الدّور الذي لعبــه "توفيق المدني" في الثورةوإسهاماتــه داخليا وخارجيا فيها ؟

– ماهو البعد الوطني لفكر الرجل ؟

– ماهي أهداف الإنتقادات التي وجهت له من طرف بعض زملائه في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ؟

خطّة البحث :بناءا على ما توفّر لدينا من مادّة تاريخية وما حصّلنا عليه من معلومات، من مصادر ومراجع البحث بمختلف أنواعها، و للإجابة عن التساؤلات المطروحة والإلمام بجوانب الموضوع المختلفة والوصول الى الغاية العلميةالمرجوّة من هذه الدراسة ، وضعنا منهجيّة لهذه الدّراسة حيث قسّمنا الموضوع إلى مقدّمة ثم المختصرات و أربعة فصول و خاتمة و ملاحق ، و قائمة البيبليوغرافيا .

ففي المقدّمة تمّ التعريف بالموضوع ، و أسباب إختياره ، وطرح الإشكالية و الأسئلة المراد مناقشتها ، و المناهج المتّبعة في الدّراسة ، وكذا الصعوبات التّي إعترتنا خلال مراحل البحث و في اللأخير تمّ تقديم أهمّ المصادر و المراجع.

فالفصل الاول : حياةالشيخ أحمد توفيق المدني و العوامل المؤثرة في تكوين شخصيته :

و قسّمته إلى ثلاثة مباحث:

المبحث الأول :المولد و النشأة . تطرقت فيه لمولده بتونس و نسبه و أصل عائلته والبيئة الأسرية والإجتماعية التي نشأ فيها ، في ظلّ الظّروف الإستعمارية .

المبحث الثاني :تعلّمه و تطرّقت فيه للمشارب المتنوّعة لفكره ، و طبيعة ونوعيّة التعليم الذي تلقّاه في المدارس التقليدية الموجودة أنذاك، و تميّزه بالعصامية في التعلّم وتكوين ذاته.

المبحث الثالث : نشاطه السياسي في تونس و نفيه إلى الجزائر: وبيّنت فيه دخوله معترك النضال السياسي الذي إقتحمه شابا يافعا ، و تصادمه مع الإدارة الاستعمارية مما قاده إلى السجن و تأثير ذلك على مساره الفكري و السياسي حيث ازداد حيوية و تهيكلا حزبيا وأسباب وهدف قرار سلطات الحماية من الإبعاد الى الجزائر ، و كيف تعامل المدني معه ، و كذا ردود الافعال الشعبية التي فسّرتها موجة الاحتجاجات و الاستنكار الإعلامي على تصرف الإدارة الفرنسية .

اما الفصل الثاني : جهود المدني في ميدان الاصلاح والنهضة الثقافية والسياسية بالجزائر

1925 – 1954 م و قسمته إلى اربعة مباحث :

المبحث الأول : نشاطه الثقافي أولا : في ميدان الصحافة حيث تطرقت فيه إلى تجربته القلمية على أعمدة الصحف المختلفة و خصوصا "الشّهاب" و "البصائر" و بدرجة أقل في "الإصلاح " و بروزه في عالم الكتابة الاعلامية ونوعيتها النضالية .

ثانيا: في المجال التارخي والادبي و نشاطه الجمعوي حيث تعرضت الى إنتاجه التاريخي وكيف ساهمت مؤلفاته في الحفاظ على الذّاكرة الوطنية للأمة الجزائرية ، وكذا مساهمته في إحياء العمل المسرحي في الجزائر، و وتمريره لأفكاره السياسية عبر هذا النوع من الفن الادبي و في تأسيس نادي الترقي و الدّور الذي لعبه في الحياة الثقافية الوطنية منذ حلوله بالجزائر.

المبحث الثاني :إسهاماته السياسية في الحركة الوطنية :و أبرزت فيه مشاركته المتعددة و حركيّته السياسية الفعالّة ونضاله في إطار الحركة الوطنية ،و ركّزت على بيان الشعب الجزائري 1943 م و إنشاء الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية ودوره فيها ، و حلّلت خطابه الموجه للاستعمار .

المبحث الثالث : دوره في الحركة الاصلاحية- جمعية العلماء المسلمين الجزائريين : و عالجت فيه مساهمته في تأسيس الجمعية ووضع قانونها الأساسي والدّور الذي لعبه فيها .

المبحث الرابع : مواقف المدني من بعض القضايا التي عايشها: أبرزت فيه مواقف"توفيق المدني" من عديد القضايا التي عاصرته كالطرقية ، و الاحتفالات المئوية الفرنسية ، و ظاهرة التجسس. و مساندته المطلقة لحقوق شعوب المنطقة في التحرر ، و كذا دعمه للقضية الفليسطنية بإعتبارها قضية جميع المسلمين، مما يوضح تشعّ الر ّجل بالفكر الوحدوي .

أماالفصل الثالث : دور احمد توفيق المدني في الثورة التحريرية أول نوفمبر 1954م.

و يضم مدخل للفصل و ثلاثة مباحث .

المبحث الأول: موقفه من إندلاع الثورة 1954 م: و يتناول موقفه الشخصي من إندلاع الثورة و موقفه في إطار جمعية العلماء المسلمين.

المبحث الثاني: مهامه خلال الثورة 1956 . 1958م: و يتضمن كيفيات إلتحاقه بالوفد الخارجي للثورة بالقاهرة، و المهام التي أسندت اليه، و النشاط الدّعائي الذي قام به لصالح الثورة في الخارج.

المبحث الثالث: نشاطه ضمن الحكومة المؤقّتة 1958 . 1962م:

و تطرقت فيه للمهام التي كلّف بها كعضو في الحكومة المؤقّتة بصفته وزيرا للثقافة، ثم ممثلا دبلوماسيا لدى الجامعة العربية، و كيف خدم القضية الوطنية من هذه المواقع، و كيف تعامل مع الصّراعات التي كانت بين قيّادات الثورة.

وأخيرا الفصل الرابع :نشاط أحمد توفيق المدني في بناء الجزائر المستقلة 1962 – 1983م:

و قسمته إلى مبحثين :

المبحث الأول:مهامه الرّسمية بعد الاستقلال حتى وفاته:عرضت فيه الوظائف الرّسمية التي تولاّها بصفته رجل دولة كوزير للأوقاف، و سفير في عديد البلدان، ليكمل مشواره كمستشار بالمركز الوطني للدّراسات التاريخية، مستعرضا ما قدّمه من خدمات و تضحيات للوطن. ثم تطرقت فيه لظروف مرضه و وفاته و تشييع جنازته، و الأصداء التي خلّفتها على الساحة الوطنية .

المبحث الثاني: : جوانب من آثاره: و تطرقت في هذا المبحث لبعض آثاره من خلال مؤلفاته و أفردت بالتحليل كتاب مذكرات "حيات كفاح " نظرا لما لقي من انتقادات من معاصريه بعد صدور مذكراته و تحليل طبيعتها و خلفياتها.

و خاتمة البحث هي حوصلة للنّتائج التي إستخلصتها من هذه الدّراسة ، و التي أحسبها إسهاما متواضعا محفزا للبحث نظرا لأهمية الموضوع، و دعّمته بملاحق هامة ومتنوعة ووضعت في الأخير قائمة بيبليوغرافية و مجموعة من الفهارس التوضيحية و وضعت فهرسا للموضوعات .

الفصـــل الاول

حيـــــاة الشيخ احمد توفيـق المدني والعوامل المؤثرة في تكوين شخصيته .

- **المبحث الاول : المولدو النشأة .**
- **المبحث الثاني : دراسته .**
- **المبحث الثالث: نشاطه السياسي في تونس ونفيه الى الجزائر .**

المبحث الأول : المولد و بيئة النشأة

بتونس الشّقيقة و بنهج الناعورة رقم 04 تونس العاصمة[1]، ولد " **أحمد توفيق بن محمد بن أحمد المدني** " يوم 16 جوان 1899م[2]، من أبوين جزائريين لاجئين إلى تونس[3] بعد وقوع الجزائر في قبضة السّيطرة الإستعمارية الفرنسية و ما تلاها من سياسة إستطانية ضدّ الجزائريين .

و عائلة المدني ،عائلة جزائرية إسمها الأصلي عائلة بن عمر " **Ben Omar** " نسبة إلى أحد الأجداد ، و الذي يأخذ إسمه الحي المعروف في وقتنا الحاضر بحي " **بن عمر** " بمدينة القبّة بالجزائر العاصمة و هي من عرب الأندلس الذين نزحوا بعد سقوط غرناطة في عام 1492 م باسبانيا.

أما والده فهو **محمد بن أحمد المدني بن عمر القبي** نسبة إلى مدينة القبة ، الغرناطي نسبة إلى غرناطة بإسبانيا[4]، ولد بالجزائر العاصمة سنة 1852م و درس بالجامع الكبير وجامع الزيتونة وكان تاجرا غنيا فنشأ المدني في منزل فخم وأسرة ثرية[5] ، وكان جد والده أمين الأمناء، أي شيخ بلدية العاصمة[6]، ومن السادة الأشراف.

---

[1]– أحمد توفيق المدني ، حياة كفاح ، ج 1 ، ط 2 ،المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر : 1988 ، ص13

[2] **--Ali Merad le reformisme musulman en Algerie de 1925 à 1940 essai dihistoire religieuse et sociale mouton . co Paris 1967 P 116**

[3] – عبد الكريم بوصفصاف و آخرون : معجم أعلام الجزائر في القرنين التاسع عشر و العشرون ، ج2 ،منشورات مخبر الدراسات التاريخية و الفلسفة ، جامعة قسنطينة : 2004 ، ص 303 .

[4] – محمد حسن فضلاء : من أعلام الإصلاح في الجزائر ، ج1 ، دار هومة ، 2000 ، ص 96 .

[5]– محمد الصديق الصالح : شخصيات فكرية و أدبية ، ط 1 ،دار الأمة للطباعة و النشر ،الجزائر : 2002، ص 319 .
أنظر أيضا أبو عمران الشيخ و آخرون : معجم مشاهير المغاربة ، ص 483 – رابح خدوسي : موسوعة العلماء و الأدباء الجزائريين ، ص 69 .

[6] – بشير مديني: " أحمد توفيق المدني معلم من معالم المدرسة التاريخية الجزائرية "، ط1 ،وسام براس للإعلام و النشر و الإشهار ، الجزائر : 1998 ،ص 134 .

أما والدته فهي "**عائشة بنت عمر بويراز**" إبنة المجاهد الكبير"مصطفى بويراز"،الذي كان قائد فريق الفرسان الجزائريين في معركة أسطاولي الشهيرة[1]، ولدت بتونس خلال عام 1877م من عائلة "إبن غشام" ، وهي إحدى كبريات العائلات التونسية، وعائلة بوير از تركية تماما من الأتراك الجدد الذين قدموا من تركيا في أوائل القرن التاسع عشر الميلادي إلى الجزائر و إستقروا بها[2].

و الحقيقة أن عائلة المدني بفرعيها (المدني و بويراز)من العائلات التي شرّدها الإستعمار الفرنسي في أعقاب ثورة المقراني و الشيخ الحداد سنة 1871م، فاختارت الهجرة خارج البلاد إلى البلدان الشقيقة ، فكانت تونس مقصدا لها، عوضا عن بلدها الأصلي الجزائر[3]، وفي خلال رحلة الهجرة و التوجه إلى تونس حدث التّعارف و التقارب بين العائلتين، وبعد الحماية الفرنسية على تونس ولحق الاستعمار بهم فرّوا الى تركيا وإستقروا في إستانبول، عاصمة الخلافة الإسلامية آنذاك، حيث أنّ جميع أفراد عائلة بويراز عادوا إلى تركيا بعد سنة 1909م ، ماعدا والدة توفيق المدني[4].

و تعدّ عائلة جدّه لأمه "عمر بويراز"، عائلة ثورية ، فخاله " محمد بويزار" كان من رجال الثورة الإسلامية الوطنية في تونس أثناء الإحتلال الفرنسي ،كما أنّ خاله "الحبيب بويزار" كان له دور أيضا في الثورة الكمالية مع "مصطفى كمال باشا"[5]، فالمدني إذن سليل عائلتين من أبرز العائلات الجزائرية المجاهدة المهاجرة [6] .

عاش "توفيق المدني"في أسرة متكوّنة من أربعة إخوة ، ثلاثة ذكور هم "الهادي" و"أحسن" و"محمد علي" و بنت واحدة تدعى " خديجة" .

---

[1] أحمد توفيق المدني، حياة كفاح ، ج1 ،ص14،أنظر أيضابشير مديني : المرجع السابق ص 135.

[2] –أكمل الدين أحسن أوغلي : " هذا ما حدثني به المدني صفحات مجهولة من حياة المغفور له أحمد توفيق المدني " مجلة التاريخ ، العدد 18 ، الجزائر : النصف الأول من سنة 1985 ، ص 36 .

[3] – محمد الصالح الجابري: " رحم الله أحمد توفيق المدني " ،مجلة الحياة الثقافية ، العدد 28–29 ،تونس : 1983 ، ص 03

[4] –أكمل الدين حسن أوغلي : المرجع السابق ،ص 36 .

[5] – نفسه ،ص ص 36–37 .

[6] – المدني : حياة كفاح ، ج1 ، المصدر السابق ، ص 13 .

و قد أورد في مذكّراته ،خلفيات تسميته بإسم " توفيق "، إذ هو في الأصل" أحمد المدني" حيث أطلقت عليه هذه التّسمية أيام حرب طرابلس بلبيا سنة 1911م عند الإحتلال الإيطالي لها عندما التقى القائد العام للجيش العثماني هناك "فتحي بك"، و هذا في إحدى الجلسات الخاصة أقامها السيد "المختار كاهية" ، حيث إسترعى إنتباه القائد بحيويته و ذكائه رغم صغر سنه فسأله عن إسمه ، ثم دعاه منذ تلك اللّحظة فقال له " أنت أحمد توفيق"، فشاع الإسم[1]، و إشتهر و عرف به الرّجل، و هذه الأسماءمشهورة لدى الأتر اك ، و حسب الكاتب "إحسان حقي"، فإن الأتراك أو من هم من أصل تركي يسمّون أولادهم :عثمان و أدهم و نور الدين ، و توفيق ، و مراد[2] .

نشأ توفيق المدني وسط جوّعائلي إسلامي الرّوح ، إذ تربّى في أسرة ذات أخلاق عالية عملت منذ الوهلة الأولى على حسن تربيته ،و مراقبة محيطه ، و قد روى بنفسه في مذكراته قائلا: (كانت الحياة في منزل فخم حياة ناعمة سعيدة ...لم أكن ألعب مع الأطفال و أنا أسمع من وراء أبواب المنزل لغطهم و صراخهم ،و ما يقولونه من بذئ الكلام الذي لم أكن أفقه له معنى و أسأل أمي عنه فتراوغ في الجواب ، و تقول لي إياك أن تختلط بهم ...و كانت الأم تجتهد في تعليمي سورا من القرآن ،و بعض الأحاديث النبوية .و. ماكان حديثها معي إلاّ عن الحرام ، و هو كل خبيث من القول أو العمل ، و الحلال ، و هو العمل الصالح الطّيب)[3].

فوالدته كانت على جانب معتبر من الثقافة الإسلامية ، كما كانت لا تدخر جهدا في رعاية أولادها ، و تربيتهم تربية مثالية تقوم على العقيدة الصحيحة ، و الأخلاق الكريمة ، و السلوك

---

[1] – المدني : حياة كفاح ، ج1 ،المصدر السابق ، ص 41 .

[2] – إحسان حقي : الجزائر العربية أرض الكفاح المجيد ، ط1 ، منشورلات المكتب التجاري للطباعة و النشر و التوزيع ،بيروت ، لبنان : 1961 ،ص 213.

[3] – المدني :، المصدر السابق ، ص ص 17–18 .

الحسن ، حيث كانت حذرة جدّا عليهم من مخالطة الوسط الاجتماعي و ما ينجرّ عنه من إنحراف خاصة إذا كان المختلط بهم ممن لا أخلاق لهم [1].

أما والده ، فقد كانت به بقية من كبار علماء الجزائر ، و قد درس بالجامع الأعظم "الزيتونة"، و كان يصحبه معه للصّلاة ، و يحادثه في الحكم و الإرشاد ،و يحكي له جرائم الإستعمار بالجزائر [2] ، كما نهل من منهل جدّه "عمر بويراز" ، و أخذ من ينابيع ثقافته الدينية والإجتماعية الواسعة [3] ، حيث تعلّم عنده دروسا في الدّين و الأخلاق و السّيرة النّبوية ، دون إغفال الحديث عن واقع المسلمين عامّة ، و مسلمي تونس و الجزائر تحت ظروف الإحتلال الفرنسي و في هذا الصّدد يقول المدني : (كانت دار جدّي مدرسة حقيقية ، سامية الأهداف ... كنا نحيط به رجالا و نساء و صبيانا ،فيلقى علينا كلّ ليلة دروسا في الدّين و الأخلاق ، و سيرة النبي (ص) ثم يعرّج كل يوم على ذكر الإحتلال الفرنسي بالجزائر و مآسيه و فظائعه إلى أن يستفزّ شعورنا وإلى أن تسيل دموعنا ، و يقول لنا كلمة : (إن هذه الدموع هي خميرة المستقبل) [4].

و شكّل بيت خاله "محمد بويراز" المدرسة التي أنارت فكره ، و أيقظت إحساسه الوطني بما كان يبثّه فيه من أفكار حول الحرّية ، و رفض حياة الذّل و العبودية ، و النّقمة على المستعمر [5] و حتى عندما كان خاله "الحبيب بويراز" بالمدرسة العسكرية باستانبول فقد كان على تواصل دائم بابن أخته ، و شكّل أفضل قناة تمدّ الشاب – المتلهّف لمعرفة أخبار الدّولة العليّة – بالوثائق التي كان مغرما بجمعها لأنها تستجيب إلى ميولاته [6].

---

[1] – الصديق محمد الصالح : أعلام من المغرب العربي ج3 ، موفم للنشر ، الجزائر : 2000 ، ص 1113 .

[2] – أبو عمران الشيخ و آخرون : معجم مشاهير المغاربة ، المؤسسة الجزائرية للطباعة ، جامعة الجزائر : 1995 ، ص 483 .

[3] – فكري طونا " الوثائق العثمانية و أهميتها عند الشيخ أحمد توفيق المدني لتدوين و كتابة التاريخ الجزائري الحديث ، " مجلة التاريخ ، العدد18 ، الجزائر : النصف الأول من سنة 1985 ، ص 57 .

[4] – المدني : حياة كفاح ، ج1 ، المصدر السابق ، ص 21 –22 .

[5] – الصديق محمد الصالح : أعلام من المغرب العربي ، المرجع السابق ، ص 1113 .

[6] – التليلي العجيلي : مذكرات أحمد توفيق المدني على ضوء الوثائق الأرشيفية ، اعتقاله سنة 1915 نموذجا مقال غير منشور ، ص 10 .

غير أن "توفيق المدني"طبطدم من جانب آخر بالمستوى الحياتي الرّاقي في شقّه المادي و المتدنّي في مستواه الرّوحي و الأخلاقي ، و البعيد عن معاناة و آلام الشعوب الاسلامية المستعمرة ، و هذا في منزل خال أمه ، الذي إعتبره انعكاسا للوسط التونسي [1] .

الواقع أنّ "أحمد توفيق المدني" نشأ و شبّ في وقت كانت الجروح كلّها لم تزل تنزف فمن الطّبيعي أن يكون قد رضع و هو بعد طفل في المهد ،قيّم الوطنية و الثورة و الإباء ، و من المعقول أن يكون إحساسه بالمحنة من القوّة ، بحيث لا يضاهيه إحساس ، فلقد ولد فيه و عاش من أجله [2] ، حيث أصبح سبب كل هذه العوامل المذكورة معدّا نفسيا ، و روحيا و فكريا ، لخوض المعركة الفكرية ، و التسلّح بالأسلحة العقائدية ، و التحصن بحصانة الثقافة الإسلامية بالإنتساب إلى المدارس الموجودة آنذاك بتونس [3] .

و بحلول العام 1915م و أثناء أحداث الحرب العالمية الأولى ، و ما صاحبها من أجواء الحصار و المراقبة ، إعتقل "أحمد توفيق المدني" بتهمة التحريض ضدّ فرنسا ، ليمكث في سجنه حتى نهاية الحرب ثمّ يطلق سراحه في أواخر عام 1918 م، و نتيجة لثوريته و نشاطاته السّياسية وكتاباته الصّحفية ،تمّ إبعاده إلى الجزائر سنة 1925م ، حيث إستقر بمدينة الجزائر العاصمة لدى بنات عمه من عائلة المدني ،و كنّ متزوجات من عائلتي " الموهوب بن علي" و " بوركايب " و هما من العائلات المعروفة ذات الأصول التركية[4].

لقد أتّم نصف دينه ، فكان زواجه بطريقة تقليدية ، لعبت عائلته الكبرى (بنات عمه) دورا بارزا في ربطه بقرينته " **زكية بنت الزبير بن الأمين** " ، و هي عائلة مصاهرة لعائلة المدني ، ذات أصول عربية أندلسية ،. وهناك تعارف بين العائلتين ، منذ زمن أقيم حفل الزفاف في يوم الثامن من شهر ماي 1929 م ، عندما تعدّى عتبة الثلاثين سنة ،في سنّ متأخرة إذا ما قورن بزواج

[1] - المدني : حياة كفاح ، ج1 ، المصدر السابق ،ص 142 .
[2] - محمد الطاهر عدواني : " كلمة التأبين بمناسبة الأربعين " ، مجلة التاريخ ، العدد 18 ، الجزائر : النصف الأول من سنة 1985 ، ص 166 .
[3] – فكري طونا : المرجع السابق ، مجلة التاريخ، ص 57 .
[4] - المدني : المصدر السابق ،ص29

أترابه في ذلك الزّمان ، ووصف "توفيق المدني"حياته الزّوجية بأنّها كانت بحرا من السعادة و نموذجا للحب و الإستقرار ،ممّا كان له عظيم الأثر على نجاحاته و مشاريعه ، أثمر هذا الزواج بأربعة أبناء : ثلاث بنات و هن "سليمة" ، "حسيبة" "فيروز" و إبنا وحيدا هو "محمد إسلام"1.

و مما يجدر التذكير به أن الشيخ "أحمد توفيق المدني" قد ترك أسرته قسرا ، نتيجة إبعاده فكان وحيدا بالجزائر ، وقد ذكر في مذكراته بأنه كان يعيش عيش اللاجئين في العام الأول و الثاني لإبعاده ، فقد حرم أجواء الحياة العائلية ، و كان يتحتّم عليه تدبر أموره المادية ، و التي اعتمدت أساسا على ما يتقضاه شهريا من "جريدة النجاح" مقابل تحرير المقالات في السياسة الخارجية ممضاة باسم "الخبير" ، هذا علاوة على بعض الإعانات الممنوحة له من الحزب الدستوري ، و كذا من والده، و التي قدر مجموعها مالا يتعدى الألفي فرنك قديم ، غطى بها بعضا من الدّيون المترتبة عليه2.

لقد دخل" توفيق المدني "عالم التجارة لتغطية حاجاته من خلال فتحه لدكان بقلب العاصمة الجزائر بشارع بوتان رقم 04 ، دعاه "المستودع التونسي"خصّصه لعرض و بيع البضائع التونسية كالشاشية ، وتم ذلك بإقتراح من صديقين تونسيين هما: "الطاهر المنستيري" و الصادق المنستيري" ، و بقي يزاول النشاط به لمدة سنتين3. و في شهر أفريل 1928م ، اقترح عليه السيد "عمر الموهوب" صاحب متجر الدخان الشهير بالعاصمة ، ان يتولى ادارة مكتبه الواقع بشارع "لابير" ، حيث استقر به الى غاية انتدابه من طرف جبهة التحرير الوطني اثناء الثورة للاتحاق بوفدها في القاهرة سنة 1956م4.

1- المدني : حياة كفاح ، ج1، المصدر السابق ص ص 1943-148.

2 - نفسه ، ص 98 .

3- نفسه ، ص 99

4- نفسه ص ص 142- 143.

كما أن ظروف إلبعاد ،و الصّعوبات المادّية ، و مفارقة الأهل، لم تكن عوائق في وجه إبداعه الفكري و الثقافي ، و نشاطه الساسي ، بل إعطته دفعا قويّا للإنتاج و التأليف و إكتساح المنابر .

المبحث الثاني : دراسته.

كانت عائلة المدني كغيرها من العائلات العربية الإسلامية ، تقوم بتوجيه أبناءها منذ صغرهم إلى التّعليم القرآني،ولذلك وعندبلوغه سنّ الخامسة من عمره ، أدخله والده الكتّاب (المدرسة القرآنية) ، و يصف الشيخ "احمد توفيق المدني" لحظة الدّخول للوليّى قائلا: (ذهب بي الوالد يوما إلى الكتّاب ، و قد بلغت الخامسة فهشّ له المؤدب وشّ وقام له تحيّة إجلال و تقدير و الصبيان ينظرون مندهشين .... أما فقد تركّز نظري على ما لست أنساه : مجموعة كبيرة من العصيّ مخصّصة للتأديب) 1 .

فتعلّم القراءة و الكتابة و القرآن ، و تهيّئ تهيّئا حسنا للدّخول إلى المدرسة القرآنية الأهلية2 و التي كانت أول خطوة خطاها في مشواره التّعليمي ، حيث إلتحق بها سنة 1909م و قد بلغ سنّ العاشرة3 ، و كان يشرف على تسيير شؤون هذه المدرسة الشيخ "محمد صفر" ، فنال على يد شيوخها مبادئ اللّغة العربية ، وعلوم الدين و الحساب ، و الكمياء ، و العلوم الطّبيعية و مبادئ اللغة الفرنسية4 .

و يذكر المدني أنّ هذه المدرسة كانت فسيحة و منظّمة ، و بها ما يناهز ثلاثمائة تلميذ وانه كان في الصفّ الرّابع منها ، و سرعان ما إستقطب أنظار زملائه لنبوغه و ذكائه ، و شجاعته

---

[1]– المدني : حياة كفاح ، ج1، المصدر السابق ، ص 18

[2]– محمد الحسن فضلاء : من اعلام الاصلاح في الجزائر ، المرجع السابق، ص 96

[3]– محمد بوذينة : مشاهير التونسيين ، ط2، دار سيراس للنشر ، تونس : 1992 ، ص 114

[4]– ابوعمران الشيخ و اخرون : المرجع السابق ص483

الأدبية ، حيث كانوا يلتفّون من حوله مشكّلين حلقة يستمعون و يستمتعون بأحاديثه[1] ، لقد كان يروي لزملائه ، ما إختزنته ذاكرته من أحاديث أبيه ، جدّة ، خاله ، عن وجوب العمل للنّهوض من حياة الذّل و الهوان و التّخلف ، التي كانت تعمّ مختلف الميادين ، و العمل على تقويم الأخلاق و السّعي لجمع كلمة المسلمين ، فهو رغم صغر سنّه، كان يتصفّح مجلّة "العروة الوثقى" التي أصدرها بباريس "جمال الدين الافغاني" و "محمد عبده" عام 1884م ، وكذا مجلتي "المؤيّد" و"اللواء" لسان الحزب الوطني المصري ، و التي كان خاله "محمد بويراز" يتفّحصها لاستزادة في ثقافته ، و معرفة آخر الاخبار التي يشهدها العالم الاسلامي ، الواقع تحت سيطرة القوى الإستعمارية الأوربية أنذاك[2] .

و بحلول عام 1913 م أنهى "احمد توفيق المدني" دراسته بالمدرسة القرآنية الأهلية فخرج منها متشبّعا بعلوم شتىّ و مختلفة على يد خيرة الأساتذة و الشيوخ[3]، و قد كان خطيب هذه المدرسة و كاتبها البارز بتوجيه من أستاذه"الشّاذلي الورالي" فأخذ يخطب و يكتب مواضيع يضمنّها أفكاره عن حالة الوطن، و عن واقع السّلام و المسلمين في كافة انحاء العالم الاسلامي[4] .

و في السّنة نفسها التحق بجامع الزّيتونة (الجامع الأعظم)،وعن حياته الدّراسية و المنهاج الذّي إتّبعة يروي قائلا [5] : (أمابجامع الزّيتونة ، فقد إخترت لنفسي منهاج دراسة خاصا بي لا أتقيّد بصفّ ، ولا أشارك في إمتحان، كما أطلب العلم لأجل العلم لا لأجل المنصب ، فإخترت لنفسي دروسا على أجلّة الأساتذة كالشّيخ "النخلي" في التفسير و الشّيخ "محمد بن يوسف" في البلاغة و الشّيخ "الصادق النفير" في الفقه و الشّيخ محمد بن القاضي " في النحو و الصرف

---

[1]– ا المدني : حياة كفاح ج1، ص 28

[2] – محمد الصالح الصديق: شخصيات فكرية و أدبية ، المرجع السابق ، ص 319 .

[3] – المدني :،المصدر السابق ، ص 61

[4] – محمد بوذينة : المرجع السابق ، ص 114 .

[5] – المدني :، المصدر السابق ، ص ص 62-63 .

و الشيخ "محمد بن شعبان" في النطق و الفلسفة ، و الشيخ "معاوية التميمي" في آداب اللغة العربية.

و قد كان "المدني" يلازم الدّروس عشر ساعات كلّ يوم دون إنقطاع ، تبتدئ بعد صلاة الصبح و تنتهي بعد أداء العشاء ، مع ما يتخلّل ذلك من حفظ لمختلف المتون ، كلاميّة الأفعال السلم ، الدّرة ، الألفية . و غيرها[1]. كما إنتسب إلى المدرسة الخلدونية لتلقّي الرّياضيات و التّاريخ و العلوم العصرية [2] و هي تعدّ تكميلية للدّراسة الزيتونة ،و في هذه المدرسة تقيّد "توفيق المدني" بمنهاج دراسي دقيق ومن أبرز ما نهله بها ، مادة التاريخ على يد الاستاذ الجليل " حسن الحسني عبد الوهاب "المؤرّخ الشهير ، الذي أخذ عنه الحكمة و فصل الخطاب أيضا ، و ما لبث أن قويت الروابط بينهما ، ليقوم الأستاذ بإهداء مجموعة كتبه إلى تلميذه [3] ، وقد تأثّر كثيرا به ،و يبدو ذلك جليّا في التوجّه التّاريخي لحياته العلمية ، و ممّا يمكن التّنويه به أن كليهما قد وفّق لعضوية مجمع اللّغة العربية [4] .

كما كان مولعا بالمطالعة ، فصار يستعير الكتب لقاء أجر زهيد ،حيث أنّسوق الرّوايات الكبيرة يومئذ في رواج ،حيث إشتهر الشّيخ "علي بو غدير" بدكّانه المخصّص لبيع و كراء الكتب،فيعير منه "المدني" رواية لمدّة ثلاثة أيام مقابل دفع 10 سنتيمات و إستطاع أن يستثمر وقت فراغه في مطالعة الرّوايات المعرّبة عن كبار المؤلّفين الأوربيين أمثال "وليام شكسبير" و"ميشال زيفاكو" ، و هو ما فتح له نافذة إطّلع من خلالها على تفكير العالم الغربي [5] .

---

[1] – فكري طونا : المرجع السابق ، ص 58 .

[2] – محمد حسن فضلاء : المرجع السابق، ص 97 .

[3] – محمد بلقراد : " الأستاذ الشيخ أحمد توفيق المدني 1899–1983 لمحات من حياته و أعماله " مجلة التاريخ : العدد 18 الجزائر : النصف الأول من سنة 1985،ص 79.

[4] – محمد الطاهر عدواني : المرجع السابق ، ص 167 .

[5] – أحمد توفيق المدني : حياة كفاح . ج1 ، المصدر السابق ،ص 63–64 ، أنظر أيضا محمد بلقراد ، المرجع السابق ، ص 80

و لعلّ أبرز مظاهر الإرادة القوّية ،والرّغبة الجامحة في نهل المعارف ، أن جعل "المدني" من سنوات سجنه مدرسة طوّر خلالها ثقافته ، و طالع شتّى الكتب العلمية ، و الأدبية و الدّينية التي وفّرها له أصدقاؤه و أهله ، حيث لم يستسلم لرغبة المستعمر في تحطيمه منذ الصغر [1] .

و بعد إطلاق سراحه من السّجن عام 1918 م، رجع إلى ميدان الدّراسة ، فواصلها من جديد بالزيتونة[2]، لكنّه إنقطع قبل الوصول إلى نهايتها ، و أخذ الشّهادة العالمية من الجامع المعمور و هذا لإنضمامه إلى حركة الكفاح السّياسي عقب تأسيس الحزب الدّستوري الحر و قد كان موقف الشيخ "حمودة المنستيري" من أمر هذا الإقطاع و التوجّه الجديد مطابقا للواقع عندما خاطبه قائلا: (أظن أنّ أمدها قد إنتهى ، وفي ساعة كفاح كهذا الكفاح الذّي نباشره اليوم تموت غاية الذات ولا تعيش إلاّ غاية الوطن)[3] .

و حسب " فكري طونا "فإنّ أيّ إنتقاد أو لوم " لأحمد توفيق المدني "على تصرّفه هذا بإنقطاعه عن الدّراسة ، لا يكون في محلّه ، عندما ننظر إلى الأمور نظرة موضوعيّة من خلال الظروف و الأحداث التي أجبرته على اتّخاذ مثل هذا القرار الخطير' و يخلّص الدكتور "عمر بن قينة " إلى أن "توفيق المدني" قد جنح إلى تكوين نفسه بنفسه ، فكان موهبة فذّة تكونت ثقافيا بعصامية نادرة ، ثم دخل معترك الحياة الفكرية ، و الأدبية من باب السياسة و شرع في فترة مبكّرة يشترك في النشاط السياسي بتونس [4].

---

[1] – محمد حسن فضلاء : المرجع السابق ، ص 97 .

[2] – فاطمة تازير ، فضيلة نكور : " أحمد توفيق المدني 1899–1983 " ، مجلة التاريخ ، العدد 18، الجزائر : النصف الأول من سنة 1985 ص 07.

[3] – فكري طونا : المرجع السابق ، ص 59 .

[4] – عمر بن قينة : " أحمد توفيق المدني المفكر و الكاتب المنسي " موقع :
Wu- dam . org/ book /00 /study 00/283- a – k/ ind – book 00- sd 001 – htm . WWW.a

المبحث الثالث : نشاطـه السياسي في تونس ونفيـه إلى الجزائر.

تأثر "أحمد توفيق المدني" بالأجواء السياسية التي تميّزت بعدّة أحداث على المستويين التونسي و العربي الإسلامي ، خاصة التّغيرات السياسية الحاصلة بالسّلطة العثمانية سنة 1909 م عندما أطيح بالسلطان "عبد الحميد الثاني"، و الإحتلال الفرنسي لمدينة فاس المغربية في شهر ماي 1911م و الغزو الإيطالي لليبيا في شهر سبتمبر من نفس السّنة، هذا فضلا عن الأحداث الدّاخلية التي عاشتها تونس كأحداث " الزلاج[1] في شهر نوفمبر، وذلك رغم صغر سنه،إلاّ أنّه كان يطالع الصحف و يتتبّع الأخبار السياسية الدّاخلية والخارجية ، بحيث يصف "المدني" نشاطه أثناء أحداث "الزلاج" قائلا :(كنت من بين الذين يطوفون على الأسواق و المقاهي ، أنادي بأعلى صوتي،نموت و لا نسلم زلاجنا ، و يتأثر الناس بكلماتي .. كان عملي طوال أيام بين أسواق تونس و بطحاء الحلفاوين) [2] .

و منذ صباه ،كان "توفيق المدني" ينصاغ وراء التّيار الثّوري العنيف ويذكر ذلك في مذكراته إذ انّه أثناء دراسته بالمدرسة القرآنية الأهلية ، وخلال أيام الجمعة من كلّ أسبوع يلتقي أصدقاؤه بالمدرسة ، حيث يحتفلون جماعيا بإحراق راية فرنسية ، كان يرسمها مسبقا على ورق و يعلّقها على عمود حديدي ، وسط ذلك الهتاف بحياة الإسلام ، و سقوط فرنسا و موت رجالها ، و خراب ديارها[3].

و لقد شكّلت "رواية الوطن" و "نشيد صوت الحريّة و الوطن "، اللّتين وردتا إلى المكتبات التّونسية في عام 1911 م ، لصاحبهما الشّاعر التركي" نامق كمال" و المترجمين من قبل الكاتب "محي الدين الخيّاط" أهمّ المؤثّرات الفكرية في توجيه مسار "توفيق المدني" السياسي نحو الواقعية

---

[1] الزلاج : مقبرة شهيرة بالعاصمة تونس.

[2] – المدني : حياة كفاح ، ج 1 ، المصدر السابق ، ص 43 .

[3] – ا نفسه ،ص ص 28–29 .

و التخطيط ، و المزج بين العاطفة و العقل في حركة النّضال [1]، و لنا أن نتساءل إلى أين سيقوده هذا الإندفاع ؟

قد وصف "توفيق المدني" شعوره عند إحتلال الإيطاليين لمدينة طرابلس اللّيبية في 29 سبتمبر 1911م بالقول : (لا أزال أذكر ذلك اليوم الرّهيب ، و هو أسوأ يوم في حياتي ،قلبي يلتهب ،دمي يفور، و أعصابي توشك أن تتحطم) [2] ، فقام رفقة بعضا من زملائه بالطواف في الأسواق ،و الحارات و المقاهي و دعوة الناس إلى تقديم يد العون للّيبّين، و التّبرّع بالأموال لصالح "الهلال الأحمر العثماني" حيث تكلّف "المنجي البنزرتي" بتسجيل أسماء المتبرعين، في حين أودعت الأموال التي تم جمعها عند "محمد النيفر" [3] .

تميّز"توفيق المدني" بروح الكفاح ، لديه رغبة ملحّة في السلوك الثوري تسيطر عليه، خاصة بعد الأحداث الدّموية بمقبرة " الزلاج "،التي أدّت إلى حدوث اتّصالات بين الشباب الجزائريين و التونسيين ، بهدف تكوين جمعية تضع أسس"أمّة شمال إفريقيا" و لكن المشروع أجهض من طرف السلطات الاستعمارية .

في 09 فيفري 1912م،حدثت عملية المقاطعة الجماعية لشركة "الترام الكهربائي" و تيقّنت الإدارة الفرنسية ،أنّ العملية لم تكن تلقائية ، فقامت بإجراءات إصدار قرارات بالنّفي،في حق الوطنيين ممّا أجبر البقية بزعامة "حسن قلاتي" و "عبد العزيز الثعالبي" ، و من ورائهما الشبّان المتحمّسون، " كأحمد توفيق المدني " على الدّخول في العمل السري [4].

و في ظروف الحرب العالمية الأولى (1914-1918م)، أعلنت فرنسا حالة الحصار و الأحكام العرفية في البلاد التونسية، فبتاريخ 12 أوت 1914 م، تمّ إغلاق النوادي ، و منعت

---

[1] – المدني : حياة كفاح ، ج 1 ، المصدر السابق ص 59 .

[2] – نفسه ،ص 36 .

[3] – نفسه .ص 36-37.

[4] – خير الدين شترة : المرجع السابق، ص 66.

الإجتماعات و توقّف كل نشاط وطني[1] ،الاّأنّ نشاط الوطنيين لم ينقطع ، إذ نجد" توفيق المدني" يترك الدّراسة بجامع الزيتونة ، و يستعدّ للخطة إنتفاضة مغاربية منذ شهر ديسمبر 1914م، رفقة مجموعة من الشباب الثوري التونسي و هم : "الصادق الرزقي"(*)،"أحمد نجاح" و "محمد النيفر" و"محمد سعيد الخلصي" و "الهادي مزاح" [2] .

لكن الخطّة تم إكشافها من طرف المستعمر الفرنسي في شهر فيفري 1915م، و عن هذا النشاط و الرّقابة الإستعمارية يقول " علال الفاسي " : (في داخل القطر التونسي والرّغم من حلّ الحكومة لحزب تونس الفتاة، فقد ظلّ رجاله الباقون هناك يعملون في الخفاء وتحت زعامة الشيخ الثعالبي ، و قد كان عملهم ينحصر في توزيع بعض المنشورات و القيام بدعاية عظيمة و كانت السّلطة تتابعهم ، متابعة فعّالة فكانوا يجتمعون بمنزل الأمير "محمد الحبيب" – الذي أصبح بايا – بعد وفاة محمد الناصر" إختفاءا على الناس، هذا و قد إعتقلت السّلطة جمعا من أنصارهم و من بينهم الأستاذ "أحمد توفيق المدني" الذي اتّهم بتعليق نشرات تحث الجيش على العصيان ،في جدران الجامع الأعظم) [3].

ولكنّ "توفيق المدني"تعرّض لوشاية من طرف أحد الذّين يعرفونه و هو المدعو "محمد بن عبد الله بن صالح الطرابلسي" الذّي وجّه رسالة إلى الكاتب العام للحكومة التونسية بتاريخ 20 فيفري 1915 م جاء فيها قوله : (يسرني أن أرسل إليكم ...هذه القصيدة المناهضة لفرنسا) و قدإعترف صاحب الرّسالة التي أمضاها بكلمة " محب لفرنساFrancophile " ،أن القصيدة من

---

[1] – شارل أندري جوليان : المعمرون الفرنسيون و حركة الشباب التونسي ، ترجمة محمد مزالي والبشيرين سلامة ،الدار التونسية للنشر،بلا تاريخ، ص 139.

(*)– الصادق الرزقي (1875–1939) تونسي من بنزرت، درس بالزيتونة و أصدر مجلة (العمران) الاقتصادية سنة 1921، ثم جريدة إفريقيا ، ومن مؤلفاته: " الساحرة التونسية " ، " الأغاني التونسية " ، " مسرحية عنتر " .

[2] – المدني : حياة كفاح ،ج 1 ، المصدر السابق ، ص ص 85–87.

[3] – شاوش حباسي : " محطة في مسار الحركة الوطنية التونسية 1914–1920" مجلة الدراسات التاريخية العدد 07، معهد التاريخ ،جامعة الجزائر :1993 ، ص 144.

وضع "أحمد توفيق المدني"[1]، فكان أن تمّ تفتيش منزله ، و إيقافه يوم 26 فيفري 1915،و الزجّ به مباشرة في السجن المدني بتونس[2].

و يتّضح أن اعتقال المدني كان بسبب مناهضته للسياسة الاستعمارية في البلاد ، و قد إعتبرت السّلطات الفرنسية عائلة المدني بفرعيها (من جهة الأم ، و من جهة الأب) معادية لفرنسا ، حتى أنّهما غادرتا الجزائر إلى تونس كي لا تبقيا تحت نفوذ السّلطة الفرنسية [3].

وبمقتضى أمر 2 أوت 1914م، أوضح المقيم العام في تونس الذي أعلن حالة الحصار أنه، ينبغي إحالة "توفيق المدني" على المحاكم العسكرية ، أو إبعاده "كعنصر خطير، غير أنّ الجنرال قائد الجيوش بالبلاد التونسية ،و الذي فوّضت إليه المسألة الأمنية بالبلاد منذ إندلاع الحرب ، قدّر أن "توفيق المدني" يمكنه لصغر سنه التمتّع بتخفيف العقوبة فقرّر نظرا لإنعدام وجود محتشدات بالبلاد التونسية إبقاءه رهن الايقاف طيلة الحرب بالسجن المدني بتونس[4]، حيث قضى المدني سنوات الحرب داخل الزنزانة الانفرادية ،واستطاع بصبره و إيمانه بعدالة قضيته أن يستغلّ مدّة السجن ، في تعلم أصول اللّغة العربية ، و طالع علوم الدّين، و درس كتب الفلسفة و الاجتماع و السياسة ، و أتقن اللّغة الفرنسية و خالط الصحف و المجلاّت ،فكون لنفسه فكرة إجتماعية رائدة ، و أثرى مداركه فامتلك ثقافة سياسية قليلة النظير [5].

---

[1]- لقد نفى المدني أية صلة له بالقصيدة ، مؤكدا عند استنطاقه أنه قد وجدها ملقاة على حصير و لا يعرف كاتبها ، أنظر نصها في الملحق رقم : 02.

[2] **-A.N.T serie E 550-30/15-836 " Un Francophile" au secrétaire général du gouvernement tunisien le 20/02/1915 doc N 26**

[3] **-IBID Rapport de clapier commissaire spécial de police le 02/03/1915 document N11**

[4] **-I.S.H.M N tunisie 1917- 1940 bobine 39 carton 61 dossier N 02 le R.G à Ribot-ministre des affaires étrangères le 20/09/1917 folio 46.**

[5] – محمد الطمار : تاريخ الأدب الجزائري ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر : 1981، ص 446.

انظر أيضا Ali merad op-cit p 104

وبقي المدني رهن الإعتقال حتى أواخر أكتوبر 1918م تاريخ قرار الجنرال"أليكس Alix قائد جيوش الإحتلال ، ووزير الدّفاع بالحكومة التونسة إطلاق سراحه [1] ، و يذكر المدني أنّ إطلاق سراحه تمّ بعد أن قدّم والده ضمانا ، وقعه ثلاثة رجال من كبار القوم و هم : "الطيب بن منصور" و "الحاج محمد المؤدب" و "الحاج بكار غريب" يقضي بتخلّيه عن ممارسة العمل السياسي [2].

غير انّه لم يلتزم بهذا التعهّد الذي أمضاه والده وعاد الى النّضال السياسي ضدّ الاستعمار حيث كان "أحمد توفيق المدني" من أبرز مؤسّسي الحزب الدّستوري التونسي [3].

إذ بعد الحرب العالمية الأولى عام 1919م ، جرى العمل على تجديد السعي إلى بعث معالم النهضة التونسية، و تطوير العمل السياسي في سبيل التحرير ، من طرف الطّلبة الزيتونيّين،الذين إختمرت لديهم الفكرة الإصلاحية،يحرّكها و يغذّيها الأساتذة الممتازون "محمد الصادق النيفر"و"الشيخ عثمان بن الخوجة" و "الشيخ محمد مناشو" يسندهم الشباب المتطلّع للتّجديد و مثّل هؤلاء الشّباب كتاب عالجوا الخطابة و الكتابة في شؤون السّياسة القديمة ، و الإصلاح الدّيني ، و الفكري و الإجتماعي ، و برز منهم بصفة مرموقة ، زيادة على "توفيق المدني" "محي الدين القليبي" و"زين العابدين السنوسي" و"الطاهر الحداد" و"محمد المهدي بن الناصر" و غيرهم [4].

---

[1] -**A.N.T E 550-30/15-836 Arrete du 23/10/1918 du général Alix- commandant la division d'occupation de tunisie ministre de la guerre du gouvernement tunisien doc N85**

[2] – المدني : حياة كفاح ، ج1، المصدر السابق ، ص 147.

[3] – عمر إبن قفصية : المرجع السابق ، ص 127.

[4] – محمد الفاضل بن عاشور : المصدر السابق ، ص ص 133-135.

و قد قام "توفيق المدني" بكتابة عرائض الحزب و و توزيعها عبر أرجاء المملكة التونسية بغرض إمضائها ، و توجيهها للحكومة الفرنسية ، و يؤكد أيضا أنه حرّر منها نسخا بالعربية و الفرنسية ، لا تزال محفوظة في وثائق مجلس الأمة الفرنسي لعام 1920م[1].

و في جلسة 29 ماي 1921 م، برئاسة الشيخ " عبد العزيز الثعالبي " ، و بحضور 50 شخصية ، و التي عقدت بمنزل الشيخ حمودة المنستيري بالمرسى ، و بعد عرض أعمال اللّجنة التنفيذية الأولى دعا الثعالبي إلى وجوب انتخاب "أحمد توفيق المدني " أمينا عاما مساعدا للقلم العربي باللجنة، و هو الأمر الذي صادق عليه الحاضرون بالإجماع[2].

أسندت "لتوفيق المدني" أيضا مهمّة تحرير كل فصول السياسة الخارجية ، في كل الصحف الأسبوعية التي يصدرها الحزب الدستوري و كان يوقّع مقالاته باسم "المنصور" ، و لقد اشتهرت تلك المقالات ، و شاعت بحيث كان الكثير منها تتناقله صحف الوطن العربي ، و مجلاّته، و صحف بعض الدول الاسلامية كأندونيسيا و دول أجنبية كالهند [3]، وقد تكثّف نشاط المدني على الصعيدين: الإعلامي و السياسي ، فأشرف على التحرير في الشؤون الإدارية بمجلّة " الفجر" : التي أصدرها الحزب الدستوري منذ أوت 1920م،و حتى ديسمبر 1921م،فكان مقرّها مركزا لاجتماع قادة الحزب[4] .

كما أن نشاط و حيوية "المدني" ،جعلته يتقلّد مسؤليات هامة في إدارة الحزب الدستوري فكان ضمن الوفد الثالث الدستوري الذي ذهب إلى فرنسا في 29 نوفمبر 1924م، ليفاوض بإسم التونسيين و المساهمين في حل القضية الوطنية ، و إلى جانب عبّد الرّحمان اليعلاوي" كان يقوم باتصالات في كل أنحاء تونس ،لجلب المنخرطين ، و الإجتماع بهم ، و تحفيزهم على الثورة ضد

---

[1] – أحمد توفيق المدني : حياة كفاح ، ج1 ، المصدر السابق ، ص ص 175-177.

[2] – نفسه ص ص 193-194.

[3] – محمد الطاهر عدواني : المرجع السابق ، ص 167.

[4] – محمد حمدان : اعلام الاعلام في تونس،الطبعة الاولى،ش.ت.ف.ر،1991 ، ص 112.

الأوضاع الاجتماعية و السياسية [1]، حيث يقول في مذكراته (عوّدوا الشعب على الكفاح القوي ...تجدوه في الصفوف الأولى متى نفخ في بوق الجهاد) [2].

كما أنّ نظرة "أحمد توفيق المدني" إلى الكفاح ، كانت على خلاف زملائه في اللّجنة التنفيذية ، فقد كان يؤمن بفكرة الضغط الشّعبي ، و المظاهرات الكبرى ،والتهديد الدائم بالقوّة فهي الوسائل التي تمكّن من استرجاع الحقوق ،في حين كان يرى زملاؤه سلوك طريق المطالبة الهادئة و تجنيد الجماهير ،عبر إقناعها بلغة العقل ،لتحقيق غاياتها و إستمر هذا التجاذب في الأسلوبين،إلى غاية قيام السّلطات الفرنسية بإبعاد المدني إلى الجزائر سنة 1925م[3].

يأتي قرار إبعاد "أحمد توفيق المدني" إلى الجزائر في شهر جوان 1925م ليصبّ في اتجاه تتبع الاستعمار لنشاط العناصر الجزائرية المنتمية إلى الحزب الدستوري و الترصّد لها بجمع الحجج المتعلقة بنشاطاتها ثمّ يعمل على إبعادها و ذلك في استراتيجية تفرقة ممنهجة[4] .

فبعد إطلاق سراحه من السجن في 01 نوفمبر 1918م، قويت نشاطات المدني،و تحرّك في اتجاهات متعددة وتصاعد خطابه السياسي في العديد من القضايا ، كفضحه لنوايا فرنسا في تونس و دفاعه عن القضية المصرية، و عن الخلافة الإسلامية، و هذا من خلال مقالاته العديدة في الصحف الدستورية، التي سبقت الإشارة إليها، و كذا المتعاطفة مع الدّستوريين، بالإضافة إلى دوره في الحركة العمّالية التونسية، مما جعل السلطات الاستعمارية تتّهمه بالإنتماء إلى الشيوعية الدّولية ، و لم يقف دفاعه عند القضايا التونسية،و الاكتفاء بالمشاكل التي تخصّ الحزب الدّستوري وحده، بل بادر إلى التّنديد بالحرب التي كانت تشنّها فرنسا في هذه الآونة ضد

---

[1] – محمد صالح الجابري : المرجع السابق،ص ص 281–298.

[2] – المدني : حياة كفاح ، ج1، المصدر السابق ، ص ص 228–233.

[3] – نفسه، ص 201.

[4] . محمد الصالح الجابري: النشاط العلمي و الفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس 1900 – 1962 ، الدار العربية للكتاب، 1983، ص 271.

"عبد الكريم الخطابي" في المغرب للاستلاء على الريف كلّه، ، مما جعل "المدني" يفضح نواياها من خلال مقاله في جريدة إفريقيا بتاريخ 25 ماي 1925م و الذّي جاء بعنوان "الحقيقة عن حوادث الريّف ليحيا الريف حرّا مستقلا"، خلص المدني في النهاية ، إلى نصح فرنسا بالإقلاع عن هذه الحرب المدمّرة لها، ولماليتها معربا عن التعاطف الكامل مع الرّيفيين[1] ، و قد كتب يقول : (نحن لا نتمنى الحرب، و لا نرضى ضياع الأنفس البشرية، ولا ننظر إلاّ بعين الكدر إلى انهيار مالية فرنسا، و هي نفس ماليتنا وندرك ما ينجرّ لنا من المضار المختلفة إن تمدّدت الحرب، و لكننا في كل ذلك لا يسعنا إلا أن نحبذ عمل من يسعى لحرية بلاده، و يجاهد لاستقلال أمّته، و نعطف كل العطف الأخوي الصادق على الشعب الرّيفي، الذي أصبح عنوان الأمم صاحبة العزيمة القويّة و الإدارة التي لا تنثني ..و لا نريد إلاّ أن نرى الرّيف الباسل حيّا عاملا سعيدا تحت راية الحريّة التامّة و الإستقلال المفدّى بالمهج و الأرواح) [2].

كان هذا المقال الشديد اللّهجة،هو الذي أفاض الكأس حسب "محمد الصالح الجابري" (...فكانت بداية النهاية، ففرنسا إذا تغاضت عن أعمال الدّستوريين،وإهتماماتهم بشؤونهم الدّاخلية فمن غير المعقول أن تغضّ الطرف عن هذا الاتّجاه الجديد، الذي بدأ يمدّ أطرافه إلى أبعد من تونس، و يتدخّل في شؤون فرنسا بالمغرب)[3] ، إذ بعد مرور عشرة أيام فقط من صدور المقال دعيّ المدني إلى إدارة محافظة الشرطة بالعاصمة تونس، حيث أبلغ بقرار الإبعاد إلى الجزائر يوم 06 جوان 1925 م في خطوة مفاجئة له و إن كانت غير مستغربة، و تمّ تنفيذ الأمر فنقل بسرعة إلى ما وراء الحدود، ليسلم إلى محافظ شرطة عنابة و من هنا تبدأ مسيرته بالجزائر[4].

---

[1] – محمد صالح الجابري، المرجع السابق، ص ص 288 . 289_ أنظر أيضا محمد حمدان، أعلام الإعلام في تونس، ص 113 –ناهد إبراهيم دسوقي، دراسات في تاريخ الجزائر الحديث و المعاصر، ص 166.

[2] – نفسه، ص 290.

[3] – . نفسه 293.

[4] – المدني: حياة كفاح، ج 1، المصدر السابق ص ص 335 . 337.

كتب المؤرخ "عبد الرحمان الجيلالي" عن هذا الإبعاد يقول: (عندما ضاق صدر حكومة الاستعمار الفرنسي في تونس بالأستاذ النابغة أحمد توفيق المدني، هنالك فكّرت فرنسا وقدّرت ثم فكّرت و صمّمت على أخذ مسلك الإبعاد من تونس إلى الجزائر، و لم تدر أنّ موطن آبائه و أجداده كان ينتظره، فحلّبه مكرّما و معظّما سنة 1925 م ... و كانت الجزائر العربية المسلمة يومئذ متطلّعة إلى أمثاله ... فأحتضنته إحتضان الأمّ الحنون ... فشارك في مختلف ميادين نضالها، و ساحات جهادها) [1].

لقد قوبل قرار إبعاده باضطرابات، إذ أصابت التونسيين حالة هيجان ومظاهرات و إضرابات تضامنا معه، "فالمدني" يحظى بعزّة في نفوس أبناء الشعب التونسي ، ووصفت مجلّة "العرب" ذلك إثر سريان خبر هذا الحادث إذ أصبحت العاصمة تونس يوم 08 جوان 1925 م مقفلة إحتجاجا على هذا الإستبداد الإداري، و قد وجدت الصحافة في هذا الأمر مناسبة جديدة للتّنديد بهذه السياسة الإستعمارية الجديدة، و الرّامية إلى تشتيت وحدة الوطنيين التونسيين و الجزائريين، مستنكرة هذا الأسلوب، الذي جعلت منه السلطات الإستعمارية سيفا مسلّطا على كل من تربطه صلة قربى بأيّة جنسية أخرى، غير الجنسية التونسية، و لا سيّما أولئك الذين ينتمون إلى أصول جزائرية[2].

كما كتب أحد العناصر البارزين بالحزب الدّستوري، و هو الشيخ "محي الدين القليبي" في جريدة "الوزير" لصاحبها "الطيب بن عيسى"، مقالا موقعا بإسم "عصام" جاء فيه: (لقد أساءت الإدارة إلى الأمّة،أكبر إساءة بمصادرتها في أعزّ عزيز لديها، و أكرم رجل من أبنائها مما ولّد إستياء عظيما بين كافة الطبقات شاهدت درجته عشية الإبعاد و صبيحة اليوم الذي بعده) [3].

---

[1] –. عبد الرحمان الجيلالي: " مزية الأستاذ أحمد توفيق المدني على تاريخ شمال إفريقيا " مجلة التاريخ العدد 18، الجزائر: النصف الاول من سنة 1985، ص 23.

[2]–. محمد صالح الجابري: النشاط العلمي و الفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس، المرجع السابق، ص ص 281 . 284.

[3]–. محمد حمدان: المرجع السابق، ص 114.

كما ذهب "زين العابدين السنوسي" مدير مجلة "العرب" إلى محافظة الشرطة، ليتساءل عن سبب إعتقال صديقه المدني، فتم إحتجازه ،فاحتجّت المجلّة عن هذا الموقف ،متسائلة عن جدوى نفي "المدني" من وطنه تونس، و مسقط رأسه بادعاء أنّه جزائر ي، فهل هذا نوع من أنواع التجنيس أم نوع من أنواع سياسة الوفاق و الإندماج و تبادل الثقة ؟ [1].

وكانت ردود الأفعال قويّة ضدّ قرار النفي ، حيث قامت الصحافة التونسية بتعداد الأعمال البارزة، التي قام بها المدني، والدّعوة الى إعادته إلى تونس ليقوم بالدّور الذي يجب أن يقوم به في سبيل دعم الحزب، الذّي استرجع قوّته في هذه المرحلة ، مذكّرة بفضائله و خصاله،و نوّهت بأعماله، و أشادت بسمعته بين الناس، و مكانته بين رفاقه من الوطنيين التونسيين [2]. و قد ظلّت الحركة الوطنية التونسية على صلة وطيدة "بأحمد توفيق المدني" و هو في منفاه، فلا تكاد تمر ذكرى من الذكريات السياسية، أو تبرز حادثة من الحوادث حتى تذكّر بالإعتداء الذي إستهدفه وإستهدف في شخصه الحركتين الوطنيتين التونسية و الجزائرية، و تطالب في هذه المناسبات السلطات الاستعمارية بإعادته إلى الوطن الذي ولد و نشأ فيه، و التّخلي عن إهتماماتها اللاّمعقولة إذ لم يعهد في المواثيق الدّولية أن إعتبرت جنسية المقيم في بلد غير بلده جريمة تستوجب العقاب و الإبعاد[3].

و بتاريخ 18 فيفري 1928م، سمح للمدني بزيارة أهله في تونس ، وذلك في إطار المناسبات القليلة التي يسمح فيها لبعض المبعدين الجزائريين بزيارة أهاليهم بتونس، فكانت فرصة للصحف و النوادي لتكريمه، من ذلك تكريمه من طرف مجلة "النديم" ، وفي زيارة أخرى نوّهت جريدةالزّمان" به في خبر لها متعلق بإحدى زياراته، معبّرة عن إبتهاجها و ورد ذلك في عددها ليوم

---

[1]. خير الدين شترة: المرجع السابق،مساهمات جزائرية في الحياة السياسيةوالثقافية من مطلع القرن العشرين الى غاية 1939،مذكرة ماجستير ،قسم التاريخ ،جامعة الامير عبد القادر للعلوم الاسلامية ،قسنطينة،2002. ص 181.

[2]. محمد صالح الجابري: النشاط العلمي المرجع السابق، ص 294.

[3]. المرجع نفسه، ص 291

19 ديسمبر 1931م ، حيث كانت الصحافة إجمالا تبرز إعتزازها بهذا القدوم و تعطيه أبعادا سياسية [1].

إثر دخول المدني التراب الجزائري مبعدا، إنتقل من عنابة إلى مدينة قسنطينة، و التي وجّه منها يوم 09 جوان 1925 رسالة عبر جريدة "النجاح" إلى الشعب التونسي يعاهده فيها البقاء على العهد قائلا: (رمت بي حكومة الإحتلال خارج حدود الوطن بدون حقّ و لا قانون، رائمة بذلك إبعادي عن أمّة كرّست حياتي لخدمتها، و فكرة سامية بذلت النّفس و النّفيس في سبيل تحقيقها، وإخوان أحرار عاهدت الله معهم على السّعي في إسعاد الوطن، إلى أن أبلّغ آخر نسمة من الحياة) [2] و عن شدّة تعلقه بالمبدأ الثّوري للحرّري يقول: (و إنني أيها الشعب الكريم، أمدّ لك من وراء الحدود يد التّضامن و الوئام ... و لتتيقّن أنّ الرّجل الذّي عرفته بالأمس،هو نفسه الرّجل الذي تعرفه اليوم،حرّا خلقت،و حرّا أحيا،و حرّا أموت)[3].

لم ينقطع المدني عن الإطلاع والتفاعل مع تونس وفي ذلك يذكر في مذكراته، بأنّه لم يكن بمنأى عن أخبار تونس، حيث كان متين الاتصال باللّجنة التنفيذية للحزب الدستوري الحر عن طريق "محيي الدين القليبي"، و كذا بمختلف قواعد و شُعب الحزب بالمدن التونسية، فكان يتلقى مئات الرسائل شهريا، قدرها بمتوسط 750 رسالة.

و يعبّر المدني عن أحاسيسه القومية بالقول (كنت أعمل في تونس بروح جزائرية، فإذا بي أعمل في الجزائر بروح تونسية ...و اكتشفت أنّ العمل واحد، و أن الكفاح واحد و أن جهادنا المشترك، إنّما هو وعاء متصل الأجزاء، ما صببت في جزء من أجزائه شيئا، إلا توزع بصفة متعادلة على سائر الأجزاء) [4] ، كما فتح المدني نادي التّرقي، و جعله جسرا للتّبادل و التّزاور، بين

---

[1]– محمد صالح الجابري: المرجع السابق، ص ص 292 . 293.

[2]– أحمد توفيق المدني: حياة كفاح، ج 1، المصدر السابق، ص ص 276 .

[3]– نفسه، ص 339.

[4]. نفسه، ص 97.

السياسيين و المثقفين التونسيين و الجزائريين و من ذلك زيارة الشاعرين "الشاذلي خزندار" و "الناصر الصدام" و الأديب إبراهيم راجح الأكودي"، و غيرهم[1].

وظلّ المدني وثيق الصلة بالحركة الدّستورية، وعندما أخذ الإشقاق يدبّ في كيانها، قام بأكثر من محاولة لرأب الصدع بين الجناحين المتصارعين، و من ذلك زيارته لتونس في شهر فيفري 1934م، حيث عرض تصوراته لحل الأزمة، مقترحا برنامج صلح،إلاّ أن محاولته لم تعرف طريقها إلى النّجاح، بسبب عمق الهوة الفاصلة بين التيارين المتنارعين على تزعّم و قيادة الحزب الدستوري[2].

هذا الوفاء والإخلاص للقضية التونسية كما يرى "محمد صالح الجابري" جعل أكثر التونسيين، من غير أعضاء الحزب الدّستوري التونسي، و الذين كانوا يعجبون بشخصية المدني و كفاحه بين التونسيين، يتفاجؤون بهذا الحدث، لأن معظمهم لم يكن يعرف الأصول الجزائرية لهذا الوطني التونسي بل لم يكن معظمهم يفرّق بين ما هو جزائري، و غير جزائري خصوصا في المحن و الأزمات [3].

كما قال عنه "محمد الصالح الجابري": (بأن شخصيته مثّلت نموذج المحارب المغربي الذي ساهم في محاربة الاستعمار على كل الجبهات، فكافح مع التونسيين، و أبعد مع الجزائريين و كان السبب في إبعاده دفاعه عن الريفيين المغاربة) [4].

و بهذا ورغم إبعاده بقي "توفيق المدني" في الذّاكرة التونسية رمزا للوطنية، و لوحدة شعوب منطقة المغرب العربي،فالرّجل دافع عن تونس، بنفس الحماس الذي دافع به عن المغرب و الجزائر

---

[1]. محمد صالح الجابري: المرجع السابق، ص 296.

[2]. زهير الذوادي: الوطنية وهاجس التاريخ في فكر عبد العزيز الثعالبي ،سرار للنشر،تونس،1995، ص 50.

[3]. نفسه، ص 284.

[4]. محمد صالح الحابري : النشاط العلمي و الفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس، المرجع السابق، ص ص 294 . 296.

الفصـــــــــــل الثاني

جهود المدني في الاصلاح والنهضة الثقافية والسياسية في الجزائر

1925- 1954م

- المبحث الأول : نشاطه الثقافي .
- المبحث الثاني: إسهاماته الوطنية في الحركة الوطنية الجزائرية.
- المبحث الثالث: دوره في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.
- المبحث الرابع: موقفه من بعض القضايا الوطنية .

المبحث الأول : نشـــــاطـه الثقــافي.

أ_ في ميدان الصحافة والتاريخ :

_ **النشاط الصحفي** : يقول الدكتور"أبو القاسم سعد الله ": "إنّ عبارة الصحافة الوطنية في العهد الاستعماري تعني الصحافة المعبّة عن الاتجاهات الوطنية، سواء منها المتطرّفة،أم المعتدلة و سواء باللغة العربية ، أم الفرنسية "[1]. من هذا المنطلق فإن الصحافة كانت إحدى أهم الوسائل التي استعملها الجزائريون في نشاطهم السياسي وحركتهم الإصلاحية ،وإن كانت قد ظهرت في مطلع القرن العشرين ضعيفة الإخراج ركيكة الأسلوب،لكنها اهتمت بالقضايا الوطنية، فكانت صحافة نضال مستمر ضد الظّلم والاضطهاد ، و القوانين الاستثنائية الظالمة [2].

و بدى أن مستوى الكتابة كان متخلفا بشكل عام ، ومليئا بالأخطاء في اللّغة و الأسلوب، حيث لم تسلم من ذلك الاّ صحافة جمعية العلماء المسلمين ، التي كانت جرائدها أكثر دقّة و عناية من ناحية الأسلوب و اللغة [3].

وتبنّت الحركة الإصلاحية عدّة جرائد تحمل وجهات نظرها ، و مبادئها ، و تنشر دعوتها مستغلّة في ذلك ايجار القانون لإصدار الصحف ، كما استخدمتها سلاحا خطيرا ضدّ خصومها من الإدارة الاستعمارية ، و رجال الطّرقية ، و ضد كل من أصبح يسير في ركاب المحتلّين [4] .

و أهم هذه الصحف التي مثّلت التيار الوطني الإصلاحي،"الشهاب"و"البصائر" و"الإصلاح"و هي الصحف التي استقطبت الكثير من العلماء و المصلحين للكتابة فيها، ابرزهم "احمد توفيق المدني" الذي كان واحدا من الذين تركوا بصماتهم جليّة على أعمدتها .

---

[1]– ابو القاسم سعد الله : أبحاث و اراء في تاريخ الجزائر ، ج3،ط1، المرجع السابق ، ص 87

[2]– الزبير سيف الاسلام : تاريخ الصحافة في الجزائر ،ج4 ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر : 1985 ، ص ص94 –95

[3] – عبد الرحمان عواطف: الصحافة العربية في الجزائر 1954–1962 للمؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1985 ، ص 33

[4]– عبد الكريم بو صفصاف : المرجع السابق ، ص 140 .

و الواقع أن النّاط و الحسّ الصحفي للمدني ليس جديدا ، بل يعود إلى المراحل الأولى لشبابه ، و تشاء الظروف أن ينشر أولى مقالاته بإحدى صحف الجزائر ، و عمره 15 سنة كما رأينا من قبل ، و من ثمّة تحرّكت أحاسيسه الوطنية بتونس ، التي كتب في الكثير من صحفها الحزبية أو المستقلة ، قبل ان يتمّ إبعاده حاملا معه قلمه الجريئ، و فكره الناضج ، وخبرته الصحفية التي أحسن توظيفها في موطنه الأصلي ، كما أن إيمان "توفيق المدني" برسالة الصحافة وبدورها الجهادي، و خدمتها لتطلعات الشعب كان عميقا و يبرز ذلك جليا في قوله:1 (.وإني لاعتبر نفسي مجرما ، إذا أنا عمّرت بياض صحيفة بكلام لا يكون من ورائه أي نفع للشّعب و البلاد) و نظرا للظروف الصّعبة التي كان كتّاب الجرائد و المجلات، يتعرّضون لها من قبل الاستعمار الفرنسي ، الذي كان دائم المراقبة لهذا النّشاط ، فقد كانوا يلجأون الى التوقيع بإمضاءات مستعارة ، تقية و حذرا من الإجراءات و العقوبات التي تستخدمها الإدارة ضدهم إما بالسجن أوحجز الجرائد و منعها من الصدور كما حصل لعشرات الجرائد العربية ، هذا و قد بقيت الكثير من الإمضاءات مجهولة ، مما أدّى إلى جهل الكثير من المقالات و أصحابها [2] .

و عليه فان إمضاءات الشيخ "احمد توفيق المدني" كانت متنوعة ، و لعل أشهرها "المنصور" وأبو محمد" ، كما وقّع عديد المقالات في صحف مختلفة بأسماء "الخبير" و"نفريت" و" أ.ت.م"

نشاطه في الشهاب :كان المحرّر السياسي لها باعتباره من رجال السياسة ، الذين تربّوا في أحضان الحزب الدستوري التونسي[3]، و عن بدايات مشاركته فيها ، ذكر المدني قائلا [4] :(تعهّدت لابن باديس و أصحابه ، أن أحرّر لهم مقالا لكل عدد من الشهاب الأسبوعي ، يتناول السياسة

---

[1] – المدني : "كلمة أخيرة " ، الشهاب ، العدد 100 ، 09 جوان ، 1927 ، ص 8 .

[2]– محمد مرغيت : موقف الشهاب من قضايا معاصرة 1925–1939،مذكرة ماجستير ،قسم التاريخ ، جامعة الامير عبد القادر للعلوم الاسلامية ،قسنطينة ،2003ص ص 221–222 .

[3]– فاطمة تازير ، فضيلة تكور : المرجع السابق ، ص 07

[4]– المدني : " عبد الحميد ابن باديس العظيم " ، الأصالة ، العدد 44 ، الجزائر : ابريل 1977 ، ص 67

الخارجية كما إتّفقنا على أن يكون مقالي خلوا من كل إمضاء حتى لا تتّخذ الإدارة من ذلك ذريعة لإلحاق الأذى بالشهاب ، بدعوى إنني من رجال اللّجنة التنفيذية بالحزب الدستوري التونسي) و مما ساعد الشهاب على الاستمرار في الصدور الى غاية عام 1939 م انّها تميّزت بالمرونة السياسية و كان من كتّابها "توفيق المدني"الذي اختص ّ بالكتابة عن المجتمع الجزائري ،و الشهر السياسي[1] و هو ما يؤكده أحد المعاصرين الذي قال بأ المدني كان يحر ّر بالشهاب فصلا بعنوان[2]: "في المجتمع الجزائري" ، و فصل "الشهر السياسي"الذي كان ركنا سياسيا محضا ، يجعل قر ّاء الشهاب على اطّلاع بمجريات الأحداث العالمية خلال شهر ، و قد انقسم هذا الركن فيما بعد إلى عنوانين هما: " في الشمال الإفريقي" و"الشهرالسياسي في عالمي الشرق والغرب" [3]، في حين كان "عبد الحميد ابن باديس"يحر ّر القسم الدّيني و القسم العلمي) منها.

و يقول "توفيق المدني" عن نشاط الشهاب:(صلت و جلت في الشهاب صولات عميقة و جولات عريقة منذ الشهاب الأسبوعي الى نهاية الشهاب الشهري ، و ما كنت أكتب في الشهاب إخباريّا ، إنما كنت اكتب توجيهيّا ....كنت أفكر في الجزائر، أقول لها من طرف خفي إياك أعني فاسمعي يا جار ة)[4].

و كان الشيخ "احمد توفيق المدني" يتّخذ من المناسبات فرصة ذهبية يستغلّها بذكاء، فيحدّث الأمة الجزائرية عن مهر الحرية ، و ثمن الاستقلال ، و يغرس في نفوس مواطنيه المبادىء

---

[1]–عبد الكريم بوصفصاف:جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و دورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية 1931– 1945 ،المرجع السابق،ص 140

[2]–حمزة بوكوشة : مع " عبد الحميد بن باديس في كر اه " ، مجلة المعرفة ، العدد 10 ، الجزائر ، افريل 1964 ، ص 15

[3]– محمد ناصر : الصحف العربية الجزائرية من 1847 الى 1939 ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر : 1980 ص 59

[4] – المدني : حياة كفاح ، ج 2 ، المصدر السابق ، ص 275 .

التي تعتنقها الحركة الاستقلالية ، و يكاد يكون بعضها صرخة مدوّية تهيب بالشعب الجزائري ليطالب بحريّته ، و يعمل جادا في سبيل الحصول عليها [1] .

وعرف المدني بالأسلوب االمبني على توجيه الخطاب بطريقة غير مباشرة إلى الاستعمار وهذا من الحيّل التي يلجأ اليها كتّاب الصحافة المحرومون من حرية الكلمة ، ليفلتوا بها من عين الرّقيب ، و يتّخذونه موقعا حصينا لتوجيه ضربات إلى صدر العدو ، ودون ان ينال منهم [2].

و من الامثلة على ذلك ، نعرض هذه الفقرة التي علّق بها المدني على فشل محادثات الوفدين المصري و الفلسطيني مع المسؤولين الانجليز ، في مفاوضاتهما الرامية لنيل الاستقلال فكتب يقول[3] : (قلّب صفحات التاريخ العالمي ، و انظر في ذلك السّجل الأمين هل تجدن أمّة غلبت على أمرها ، و نكبت بالاحتلال .....ثم نالت حرّيتها منحة من الغاصب، و تنازلا من المستبدّ، و منةّ من المستعبد ؟ للهّم كلاّ ، فما عهدنا حرية تعطى، إنّما عهدنا الحرية تؤخذ، وما علمنا الاستقلال ينال الا بالجهاد..... وما رأينا التاريخ يسجّل بين دفّتي حوادثه خيبة للمجاهد، إنما رأيناه يسجّل للمستجدي)، قد عبّ المدني عن هذه المشاعر في أكثر من مرّة ، و التي كادت أن تكوّن لأزمة يفتتح بها كل مقالاته السياسية بحسب رأي أحد الكتاب [4]

كما علّق "توفيق المدني" على توقّف الشهاب عشيّة اندلاع الحرب العالمية الثانية (39-1945م) ، كتب في مذكراته يقول: (و هكذا فقدت الآلة الصالحة التي كنت،أستعملها في حقل الوطنية و السياسية ، فقدت أبواب الشهاب التي كانت و سيلتي للإتصال المباشر مع الشعب ،و مع الطبقة الواعية فيه) [5] .

---

[1]– محمد ناصر : المقالة الصحفية الجزائرية نشاتها و تطورها و اعلامها من 1903 الى 1931 ، ص 417 .

[2] – نفسه ، ص 416

[3] – الشهاب : ج 5 ، م 6 ، جوان 1930

[4]- محمد ناصر : المرجع السابق ، ص 394

[5] – المدني : حياة كفاح ، ج2 المصدر السابق ، ص 274

نشاطـه في البصائر : يرى الدكتور " عبد المالك مرتاض " أن "أحمد توفيق المدني" يشكّل القطب الثاني في البصائر بعد "البشير الابراهيمي" حيث كان يكتب في البصائر أسبوعيا و يشرف على تحرير الرّكن الشهير "منبر السياسة العالمية" و كان لهذا المنبر أنصاره الكثيرون من القرّاء الذين يتابعون باهتمام كبير ما يعرضه ، و يصف درجة التعلق بالركن قائلا: (فقد كنت أعرف أحد حفّظ القرآن المستنيرين المولعين بالقضايا السياسية ، أنه كان يجوب الجبال و الوهاد قاطعا نحو خمسة عشر كيلومتر لمن اجل ان يشتري البصائر ليقرأ فيها منبر السياسة العالمية)[1].

وتعتبر البصائر من أهم جرائد الجمعية وخاصة في سلسلتها الثانية التي ظهرت في عام 1947 م ، كما أن الباحث في الصحافة العربية بالجزائر و في تاريخ تطورها ، سرعان ما يكتشف أن كتّاب البصائر من الناحية الأدبية أقوى تعبيرا ، و أجل تصويرا ، و أغزر مادة من كتّاب الشهاب ، التي كان يغلب عليها الطابع الدّيني و الفكري[2].

ولذا فالبصائر قد عرفت في عهد المدني إزدهارا كبيرا بما يكتبه في الإفتتاحيات ، و في ركنه الشهير و من خلال التحرير العام للجريدة .

و يؤكّد ذلك الدكتور "أبو القاسم سعد الله" إذ يرى أن الخطاب السياسي الذي جسّده "توفيق المدني"بالبصائر قد جاوز في طرحه روّاد الحركة الإصلاحية "كعبد الحميد بن باديس" و"البشير الإبراهيمي"، فالمدني و من خلال كتاباته بالبصائر في سلسلتها الثانية ، قد عالج قضايا العصر بقلم سياسي وهو في ذلك معاكسا للإبراهيمي الذي ركن إلى الأسلوب الأدبي[3].

وقد طوّر "توفيق المدني" أركان البصائر خصوصا بعد التحاقه رسميا بالجمعية و تولي الأمانة العامة بها سنة 1951 م ،و إذا كان الشائع أن جمعية العلماء المسلمين كانت بعيدة عن

---

[1] – عبد المالك مرتاض : نهضة الادب العربي المعاصر في الجزائر 1925–1954 ، النهضة الفكرية – النهضة الصحفية و الادبية – النهضة التاريخية ط 2 الشركة الوطنية لنشر و التوزيع ، الجزائر 1983، ص–111

[2] – نفسه ص،110.

[3] – أبو القاسم سعد الله : دروس التحضير لشهادة الماجستير ،السنة الجامعية 2012/2011،قسم التاريخ، جامعة بوزريعة 2.

السياسة ، فإن البصائر بيّنت أنها خاضت كل الميادين بما فيها السياسية ، و لكن بلغتها و طريقتها فلم تغب أحداث المغرب العربي و العالم الإسلامي ، ولا الصّراع بين المعسكرين عن صفحاتها كما رصدت تجاوزات الاستعمار محلّيا ، و في كل مكان من أصقاع الأرض[1].

ولو أنها غيّبت معالجة القضايا الجزائرية في صفاحاتها بطريقة مباشرة فذلك كان متعمدا،هدفه تفويت الفرصة على الاستعمار ، حتى لا يوقف استمرار الجريدة ، و بالتالي عدم بلوغ الهدف المنشود من إنشائها ، و خدمة قضايا البلدان العربية الأخرى ، مع أنها ظلت تتداول مفردات الحرية ، و الاستقلال ، و مسميات الاستعمار ، و الطغيان ، و تبلّغ رسالتها بالأسلوب المباشر او البرمّزية أحيانا تحت غطاء تقديم الحقائق المجرّدة كما هو الحال في مجريات الثورة الجزائرية [2]، كما كانت تتجاوب اهتمامات الجريدة مع القضايا الراهنة للأمة .

قد بدى الخطّ السياسي للشيخ المدني واضحا بالبصائر منذ سنة 1947 م ، حيث قال: (إذا ما امسك – أبو محمد –بقلمه و أخذ يسطّر فوق القرطاس كلماته فإنه لا يضع أمامه إلاّ الحقائق النّصعة ، يستجلي أسر ارها ، و يسبرأغوارها .. ولا يحكّم فيها إلا فكره و ضميره، غير خاضع لأيّ تأثير أجنبي كان أو دوليا أو عاطفيا)[3].

أضاف يقول: (كما لا يخاف محرّر هذا القسم طائلة أي مستعمر ظالم ، و أي متسلط غاشم و أي مستعبد للشعوب قاهر للأمم ، فقلمه وقف على مقاومة كلّ استعمار، و محاربة كلّ تسلّط و نصرة كلّ مظلوم ، و خدمة كلّشعب يجاهد في سبيل حرّيته و استقلاله) [4] .

كما أكّد على حرية الكتابة ، و استقلالية الموقف ، و في هذا الصدد يقول : (إما أن نقيّد انفسنا بحزبية ضيّقة و أن ننظر الى الدّنيا بمنظار رسمي واحد لا يتغيّر ، كأن نحبّ كل من تحب

---

[1]– حميدي أبو بكر الصديق : القضايا العربية من خلال جريدة البصائر – السلسلة الثانية 1947 – 1956 ، مذكرة ماجستير ، قسم تاريخ ، المدرسة العليا للاساتذة لآداب و العلوم الإنسانية ، جامعة الجزائر 2004 ، ص 16

[2]- ا نفسه ، ص ص 12-13

[3]- ابو محمد محمد "كلمة هادئة " ، منبر السياسة العالمية ، البصائر العدد 10 ، 13 اكتوبر 1947 ، ص 04

[4]– نفس المكان

واشنطن ، او نكره كلّ من تكره موسكو فذلك أمر لاسبيل إليه ، ذلك يجعلنا آلة مسخّرة ...و ما كنّا و لن نكون لأيّ حزب ، و لأي حكومة من المسخّرين)[1].

والى جانب "الشهاب" و"البصائر"، كتب "توفيق المدني" في العديد من الجرائد و المجلات بالجزائر خلال فترة الدراسة [2] ، و من ذلك جريدة "الإصلاح " للطيب ألعقبي [3] ، التي كان يحرر بها ركن"أسبو ع في العالم" تحت إمضاء" أتم"، وجريدة "النجاح " لعبد الحفيظ بن الهاشمي"، و مجلّة "إفريقيا الشمالية " التي أصدرها "إسماعيل العربي" سنة 1948 م ، و عن الأقلام التي كتبت على أعمدتها فقد وصفها "عبد المالك مرتاض" بالقول [4] : (أما كتّاب هذه المجلة فقد كانوا كتّاب البصائر أنفسهم ، و هم يمثّلون الصّفوة الصافية من كتّاب الجزائر يومئذ ، و ناهيك بالمدني و ابن نبي كاتبين)

كما كتب المدني بمجلة " التلميذ " التي صدرت في عام 1931 م ، وهي مجلّة شهرية تصدر بالعربية و الفرنسية ، و اهتمت بقضايا الإصلاح ، و هي تابعة للجمعية الودادية للتلاميذ المسلمين في افريقيا الشمالية [5] ، وقداستمر نشاطه الصحفي حتى بعد اندلاع الثورة التحريرية 1954م فكان يتابع أحداثها و يترجم ما يصدر في الصحف الأجنبية عنها [6].

---

[1] – ابو محمد محمد "كلمة هادئة منبر السياسة العالمية ، المصدر السابق ص 04

[2] – محمد الحسن فضلاء :المصدر السابق ، ص 97

[3] - الطيب العقبي ولد بمدينة سيدي عقبة (بسكرة) سنة 1889 م ، هاجرت عائلته الى المدينة المنورة و هناك تعلم القران و قواعد اللغة العربية ، عاد الى بسكرة 1910 م ، اسس سنة 1927 م جريدة الاصلاح و اصبح خطيبا مصقعا بنادي الترقي ، عضوا مؤسسا لجمعية العلماء ، و رئيسا للجمعية الخيرية الاسلامية التي تكونت سنة 1933 ، ساهم في مؤتمر الاسلامي عام 1936 م ، انسحب من جمعية العلماء سنة 1938 م ، لكنه ظل يعمل في حقل الاصلاح الى ان وافته المنية في عام 1961 م .

[4] – عبد المالك مرتاض : نهضة الادب العربي المعاصر في الجزائر 1925- 1954 ، المرجع السابق ، ص ص 114-115

[5] – ابو القاسم سعد الله : الحركة الوطنية الجزائرية 1930– 1945 م ، ج 3 ، المرجع السابق ص ص 102 – 103

[6] – احمد حماني : الصراع بين السنة و البدعة ، ج2 ، ط 1 ، دار البعث للطباعة و النشر ، قسنطينة 1984 ، ص 271

وبهذا فقد قدّم "توفيق المدني"في مجال الصحافة مساهمات كبيرة في بناء الإنسان الجزائري فكريا و حضاريا ، و زر ع روح التصدّي للاستعمار من خلالها ، و تقوية ايمانه بالهوية العربية الإسلامية التي قادته في نهاية المطاف إلى الثورة الكبرى في الفاتح من نوفمبر 1954 م ، و التي استعادت السيادة الوطنية.

نشـاطه التاريخي : نتيجة السياسة الاستعمارية التي انتهجها الاحتلال منذ 1830م في الجزائر فقد أوصلها الى جمود ثقافي وركود إجتماعي و عزلتها عن العالم العربي و الإسلامي ، إلا انّها وفي مطلع القرن العشرين شهدت الجزائر قفزة ، ونهضة ثقافية و نشطت حركة التأليف و الاهتمام بالتاريخ و الشعر، حيث أصبح الحديث يدور حول الوضعية المتدهورة للشعب الجزائري و عن الوطنية الجزائرية، و عن التاريخ الحافل للعرب[1].

كان "احمد توفيق المدني" أبرز المؤلفين بكتبه العديدة و الغنية ، التي تصدّرت إنتاجات المنشطين الآخرين للحركة الإصلاحية ، تشهد له بالثقافة الواسعة ، و الموهبة الأدبية الخاصة و المتميّزة[2] ، و لقد بدأ الكتابة التاريخية في فترة حرجة جدّا من تاريخنا الوطني ، فمنذ عام 1925 م نشط في إخراج الكثير من الإنتاجات التاريخية المختلفة ، منها ما كان يصدر في الصحف والمجلاّ ت ، و منها ماكان يقدّمه الى المطابع في هيئة كتاب .

الملاحظ أن "توفيق المدني" لم يكن كاتب المقالات فحسب ، شأن ما وجد عند "الإبراهيمي" و "ابن باديس" و كثير ممن سواهما قبل اندلاع الثورة الكبرى ، بل كان مؤلفا ،طويل النفس يتناول مواضيع أكثر ما كانت تاريخية، أو جغرافية، و هذا التنوع يبرز ظاهرة هامة جدّا في النهضة الأدبية و الثقافية المعاصرة في الجزائر[3].

---

[1]- Fadila, Yahiaoui et Société coloniale dans l Algérie'entre les deux guerres, E NAL ALGER : **1985 P 57 .**

[2]-ALI, merad : op – cit ; p 118 .

[3] –عبد المالك مرتاض : ، المرجع السابق ، ص ص 207–211

كما بحث"المدني"في الكثير من المواضيع التاريخية المتفرّقة ، و هذا ليس معناه انّه حاول أن يجوب بفكرة مجاهل التاريخ الإنساني العام ، فذلك ما لم يكد يتاح لمؤرخ جزائري في النصف الأول من القرن العشرين ، إنّما معناه أن الرّجل كان ولعا بالدّراسة التاريخية التي تتصل بالجزائر ، إذ انه من الصّعب على أولئك المؤرخين الجزائريين أنذاك أن يصرفوا وجهتهم إلى التاريخ الإنساني العام ،و تاريخهم نفسه بحاجة إلى البعث و الإحياء ، حيث أن تاريخ الجزائر كتب في أغلب الأحوال من وجهة نظر واحدة ، وهي إستعمارية بحتة ، حين كلّف المستشرقون و غير المستشرقين من الفرنسيين و غيرهم بكتابة هذا التاريخ ، لذلك فلا أحد أجدر من أبنائها [1].

في هذا المنحى يصف الدكتور "عبد الكريم بوصفصاف" المؤرخ المدني بالقول[2] :(لعلّ المؤرخ الجزائري الوحيد الذي جمع بين الذّاتية الجزائرية و الإقليمية المغاربية في كتاباته التاريخية هو أحمد توفيق المدني كاتب القطرين ، و هو من طلائع المؤرخين الجزائريين ، الذين بدأوا يبحثون في تاريخ الجزائر قديما و حديثا و معاصرا في العشرينيات من القرن الماضي) .

كما نوّه الدكتور "عبد المالك مرتاض" بالشيخ المدني قائلا [3] : (يجب أن يعدّه التاريخ أحد المؤرخين الجزائريين ، الذين قامت على أكتافهم النّهضة التاريخية في وطننا خلال فترة عصيبة فلم يكد يفتر عن البحث في القضايا التاريخية التي تتّصل بالشعب الجزائري، منذ أن بدأ هذه البحوث سنة 1925 م ... إن فضل المدني على التاريخ الوطني الجزائري إذن عظيم).

---

[1]– عبد المالك مرتاض : ، المرجع السابق ، ص ص 207–211، ص ص 207–208

[2]–عبد الكريم بوصفصاف : " المؤرخون الجزائريون و منهجية الكتابة في الحركة الوطنية الجزائرية في عهدي الاحتلال و الاستقلال اعمال المؤتمر الاول لمنتدى التاريخ المعاصر حول : منهجية كتابة تاريخ الحركات الوطنية في المغرب العربي ، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي و المعلومات ، تونس : سبتمبر 1998 ، ص 46

[3]– عبد الملك مرتاض، المرجع السابق ، ص 219

علما أن المدني ، ولو تخصص للتاريخ وحده ، لكان أبرز المؤرخين الجزائريين ، لإلمامه باللغة الفرنسية إلماما حسنا ،بل كان متنوع النشاط بين كثير من الأعمال الأدبية ، هذا التنوع في النشاط كان سمة عامّة عند الكثيرين من الكتّاب، فالرّجل كان متأثرا بتيار هذه الظاهرة [1] .

ويرى كل من الدكتور "عبد الكريم بوصفصاف" ، و الدكتور "عبد المالك مرتاض" أن الكتابات التاريخية للمدني كانت تلقى نجاحا ملحوظا ، غير أن أعماله لم تخل من بعض الهنات كسائر الأعـمال الكبرى ، و كانت هـذه المآخذ خاصة في تعـليل الأحداث و تحليلها ، رغم أنّها مسألة نسبية ، حيث يتّفق رأي الرجلين في أن المدني كان ذا نزعة دينية في معالجة الوقائع التاريخية ، شأنه شأن جميع رفقائه في النهضة ، و هو ما لمسناه من خلال استعراضنا لمؤلفاته لكن في نفس الوقت نراه يدعو المؤرخ إلى التزام الموضوعية في المعالجة، و أن تكون كتاباته تعبيرا صادقا عن أحاسيسه المبنية على الإيمان و الإقناع بسير الأحداث، و إلاّ عدّ من رواة القصص لا من المؤرخين[2]و في هذا عرّف "احمد توفيق المدني" التاريخ قائلا:(التاريخ في نظري عرض وتحليل وتعليل و حكم فالمؤرخ الحقّ إنّما هو حاكم نزيه ، حرّ الضمير ، يدرس الوثائق و المستندات ، و يستخرج الحقائق من بين النصوص ، و يستمع بإمعان إلى ما يقوله هؤلاء وما يقوله هؤلاء ، ثم ينظر الملابسات ، و يدرس المحيط ، فإذا ما أسفر أمامه وجه الحق ناصعا أصدر حكمه عادلا لا عاطفة ، و لا رياء ، و لا محاباة) [3] .

وسنعرض مؤلفاته التاريخية في الفصل الرابع من هذه الدّراسة ، المبحث الثاني: جوانب من آثار"الشيخ المدني" وذلك لما تقتضيه منهجية البحث التي وضعناها .

---

[1] – عبد الملك مرتاض، المرجع السابق ، ص 211

[2]– عبد الكريم بوصفصاف :

المرجع السابق ، ص 47

[3] – احمد توفيق المدني : حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر و اسبانيا 1492–1792 ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر : بلا تاريخ ص 08

– أنظر ايضا : ابو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ، ج 7 ، ص ص 308 – 309 .

-**نشاطـه في الميدان الأبي و الجمعيات:** شكّلت الاهتمامات التي اظهرها المدني بالعمل الجمعوي و الفني محطات أثرت رصيده النّضالي ،.فالمتتبع لمسيرته يرى ذلك في:

المسرح : والذي كانت للمدني تجربة هامة فيه لكون أن علاقته بالمسرح ترجع الى المرحلة التي عاشها بتونس، إذ خلال استقراره بالجزائر وجد ركود الحالة الثقافية ،و خاصة ما تعلق منها بفن المسرح ،حيث وصف الحالة بالقول : (لعل قطر الجزائر –بعد جزيرة العرب –هو القطر الاسلامي الوحيد الذي لم يدرك بعد أهمية التمثيل ، و لم ينشأ به المسرح العربي ، و لم يشعر شعبه حتى الساعة بوجود ذلك النقص العظيم فيه)[1].

و لتدارك هذا الركود الفني استغلّ تجاربه في فن التمثيل المسرحي ، و أفصح عن رغبته في بعث النشاط المسرحي حيث ذكر[2]: (لإ ّ أنّني أعتقد انه لا بدّ من أن ينشأ عما قريب المسرح العربي لان هذه الجهود المشتّتة لابدّ أن تجتمع ، و تسفر عن تكوين التمثيل بقطر الجزائر بصفة جدّية مفيدة).

يتّفق الأدباء و المؤرخون على أن السنوات التي تلت الحرب العالمية الثانية ، كانت حاسمة و مؤثّرة في الانتاج الأدبي الجزائري ، حيث عرفت إنطلاقه كبيرة للحياة السياسية الى جانب إلتزام أدبي واضح للكاتب ، فالملاحظة ان المفكّرين من رجال أدب و كتّاب، طرحوا مشكلة الشّخصية الوطنية ،وبذلك رفعوا الستار عن مأساة الشعب الجزائري وتناقضاتها[3]) ومن هذه الإنتاجات "مسرحية حنبعل" التي صدرت سنة 1950 م ، و عن ظروف تأليف هذه المسرحية و أهدافها ذكر الشيخ "احمد توفيق المدني" أنها جاءت استفزازا للمشاعر الوطنية ، و دفعا لروح المقاومة ، بعد سلسلة الخيبات المتوالية في ميدان السياسة بالشّمال الإفريقي ، و نكبة فلسطين

1- احمد توفيق المدني : كتاب الجزائر ، المصدر السابق ، ص [1]

[2] –نفسه ، ص ص ،342–343

1–فاطمة حمدي :المشكل الثقافي في الحركة الوطنية الجزائرية 1950–1954 م من خلال بعض اشكال التعابير الفنية و الادبية ، دبلوم دراسات معمقة، معهد التاريخ ، جامعة الجزائر :1981، ص108

وفي هذا الاطار كتب يقول [1] : (إن رواية تمثيلية وطنية صادقة تعرض على الشعب في قالب فنّي مدروس و تلقي عليه أثناء حوارها ما يجب أن يقال من أجل التغلّب على لصّعاب ، واستفزاز روح المقاومة الأصلية فيه). فكانت "مسرحية حنبعل" من تمثيل رائد المسرح الجزائري "محي الدين باشطرزي" بمسرح الأوبرا بالجزائر العاصمة يوم 09 افريل 1948م ،حيث عرضت نهارا للنساء ، وليلا للرّجال و تناولتها – حسب المؤلف – إذاعة لندن ،و عرضت بالجزائر و تونس اكثر من مائتي (200) مرة [2] .

وهي عبارة عن دارما سياسة ، تتكون من أربعة فصول ،تدور أحداثها حول شخصية القائد القرطاجي "حنبعل" ، و قدّمت باللغة العربيةالفصحى بالرّغم من ان التمثيل أنذاك كان بالدّارجة في أغلب الاحيان، إلا أن التمثيل بالفصحى قد حظي بمنزلة عالية و لذلك فقد أحرزت هذه المسرحية حسب المعاصرين نجاحا باهرا[3]، و لم يكن إختيار عنوان "حنبعل " من باب الصدفة ، فهذا البطل يرمز للوحدة و التضحية في سبيل الوطن ، كما أن إختيار الظروف الزمانية و المكانية دليل على واقعيّة المؤلف حيث جاءت مسرحيته في وقت كانت الجزائر تعيش فترة هدوء ما قبل العاصفة .

كما ان فصول المسرحية جاءت مملوءة بالوطنية و النداء للمقاومة بمضمونها ،و لغتها الخطابية ، و قوّة أسلوبها ، و إن الأفكار المعروضة تدعو الى تحطيم قيود العبودية و الاستغلال وهي أفكار ثورية تؤثر علىالجمهور ، و تحرّضه على الكفاح ضدّ المستعمر[4] ، و قد حافظ "توفيق المدني" على سير الأحداث التاريخية للمسرحية ، فأعطى الاحداث بعدا وطنيا ، و نزعة سياسة واضحة ، علاوة على أنّ واقعيّته و منهجيّته في إيصال الرسالة للجمهور خدم المسرحية

---

[1]– المدني :حياة كفاح ، ج2 ،المصدر السابق ، ص 392 .

الكتابات التاريخية الجزائرية في الفترة 1927–1967،مذكرة ماجستير ،قسم التاريخ،جامعة الجزائر ،2002. ج2 ،المصدر السابق

[2]–المدني :حياة كفاح ،، ص 392 .

[3]–نور الدين عمروش : المسار المسرحي الجزائري الى سنة 2000، ط1 ، شركة باتنيت ، باتنة، الجزائر :2006،ص 126

[4]– ابو القاسم سعد الله :دراسات في الادب الجزائري الحديث ،الدار التونسية ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر :بلا تاريخ ، ص66.

وجعلها ناجحة ، إذ تمكّن من تخليصها من الأبعاد الزمانية و حوّرها لتصبح و كأنها تحدث في الحاضر[1].

وبهذا فقد إستطاع أن يضمّن المسرحية مقولات مؤثّرة جدّا، عقب كل فصل لإنزال الستار و من ذلك قوله على لسان حنبعل: (نحن قوم نعيش أحرارا ، أو نموت شرفاء ، و إنّ طغيان روما سيمضي ، و سيمضي من بعده كلّ طغيان آخر ، و لا حياةلإ ّ للأمم الشاعرة بوجودها المجاهدة في سبيل حرّيتها ، المحافظة على كيانها ووحدتها)[2].

كما تظهر هنا الشجاعة الأدبية الكبيرة في التصريح بآراء تهدّد وجود فرنسا، رغم أنها كانت في وقت كانت فيه الرّقابة الفرنسية وافقة بالمرصاد لكلّ جريئ يدلي بموافق حول قضيتي العدالة و الحرية.

-**تأسيس نــادي الترقي** : إن حركة النوادي قديمة في الجزائر في كل من العاصمة و قسنطينة وذلك إبتداء من سنة 1893م ، و كانت الارضية التي نبتت فيها فكرة انشاء صحافة جزائرية عربية [3]، غير أنّ نادي "الترقي" إختلفت أهدافه و رسالته عن النوادي الأخرى ، إذ كان يهدف الى الرّقي الدّيني و الاجتماعي ، و الأخذ بأسباب التقدم، و معالجة الوضعية العامة التي آلت اليها الجزائر، ويذكر المدني عن ظروف تأسيس النادي و تسميته (انه خلال حفل أقيم بمنزل "محمد بن المرابط "وهو من كبار التجّار بمدينة الجزائر في صيف 1926 م حضره (32) رجلا من أعيان وفضلاء العاصمة ، تمّ خلاله التداول حول أوضاع الجزائر و أفاقها ، و بعد مناقشات عديدةقإ ر ح "المدني" "فكرة إنشاء النّادي ، و إعطائه التّسمية التي عرف بها ، فلقيت الفكرة استحسان الحاضرين الذين تكلّف جمع منهم بقيادة "محمد بن ونّيش"و " محمد بن المرابط" بإيجاد المقر الذي حدّد بباحة الحكومة (ساحة الشهداء حاليا) ، و أختيرت له قاعة فسيحة تستوعب 700 شخص، و تكفّل كل

---

[1]- عبد المالك مرتاض :فنون النثر الادبي في الجزائر 1931-1954، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزئر:1983ص 211 .

[2]- ميسوم بلقاسم :المرجع السابق ، ص ص، 143 -144.

[3]- الزبير سيف الاسلام : تاريخ الصحافة في الجزائر ، ج1 ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر :1982، ص28

من "يحي بن المرابط" و "قدور بن مراد" بمساعدة "أحمد توفيق المدني" بتحرير القانون الأساسي للنّادي . و بعد نضوج الفكرة و إستكمال جميع الترتيبات ، إفتتح النّادي رسميا في 03جويلية 1927 م و سلّمت الرّئاسة الى "محمد بن ونيش"، في حين تعمّد "توفيق المدني" عدم الانضمام الرّسمي للمجلس الإداري ، حتّى يبعد عن النّادي شبهة العلاقة بالحزب الدستوري التونسي[1].

وقد علّقت صحيفة "الشهاب" عن ميلاد النّادي بمقالا بعنوان "أعظم ناد وإن كان بعد 100عام" قالت فيه:(للشعب الجزائري اليوم أن يبتهج بتأسيس ناد ضخم بعاصمة الجزائر ، باسم نادي الترقي، و هي خطوة واسعة الى الامام ..... بل هي طفرة متى نظرنا الى الركود الطويل او الماضي المحاط بالغموض ، او الى سبات مائة عام) [2]. مضيفتا بخصوص المؤسسين (أنّه من الأليق العدول عن تفصيل الجهود الفردية و عن ذكر أسمائهم ، فهدفهم إرضاء الضمير و خدمة الشعب) مختتمتا الوصف بالقول:(لا يرى حدّ مسّ قلبه الشعور القومي إلاّ أن يقرن أسماء هؤلاء المؤسسين بالأفذاذ الذين سعو في إنهاض شعوبهم ، فخلّد لهم التاريخ أجمل الذكرى) [3].

و يرى الدكتور "ابو القاسم سعد الله" (إن "توفيق المدني" وبعد عودته الى الجزئر مبعدا من تونس ، وجد ركودا بالعاصمة ، فتجنّد رفقة بعض المحسنين الذين يطمحون الى التجديد ويتّصفون بالغيرة على مكونات الهوية الوطنية ، و يفتقرون الى القيادة و هو ما توفّرفي شخص"المدني " الذي كان يمتلك روح المبادرة و القيادة ، و هي مكتسبات حملها معه من تونس لذلك أعطى دفعا قويا للنّادي الذي تحوّل الى مركز إشعاع، و منبرا للوعظ و الإرشاد و إلقاء

---

[1]- احمد توفيق المدني :حياة كفاح ، ج2 المصدر السابق ، ص 110-112

أنظر أيضا :حمزة بوكوشة : عبد الحميد بن باديس ، مجلة حضارة الاسلام ، العدد 01 السنة الخامسة ، تمور 1964 و محمد علي دبوز نهضة الجزائر الحديثة و ثوراتها المباركة ج 2 ط 1 المطبعة العربية الجزائرية 1981 ص92-93

[2]- محمد العاصمي : اعظم ناد بالجزائر و ان كان بعد 100 عام "الشهاب ، العدد 108 ، 04 اوت 1927 ص08

[3]- نفسه، ص09

المحاضرات)[1] ، و بعد تأسيس النّادي راسل "توفيق المدني" الإمام "عبد الحميد بن باديس"طالبا منه إفتتاح سلسلة المحاضرات العامة ، و هو ما لقيّترحيبا من العلاّ مة الذي ألقي أول المحاضرات في 18 جويلية 1927 م بعنوان "الاجتماع و النوادي عند العرب"[2].

هذا الاحتفال الذي وصفته صحيفة "الشهاب " مشيرة الى الترحيب الكبير الذي حظي به "ابن باديس" من طرف أعضاء النّادي ، و خاصّة "أحمد توفيق المدني" الذي ألقى خطابا مؤثّرا اهتزّت له النفوس الخامدة بل الناهضة، مثنيا فيه على الامام "ابن باديس" مبرزا فضائله و استعداداته لتبوئ مقام الزّعامة الإصلاحية ، و اضاف صاحب المقال على لسان المدني قائلا:(ختم خطابة الذي صفق له الحضور ،و هتفوا له بكلمة استشعر عظمتها ،و ثقل مسؤوليها الاستاذ ابن باديس ،حتى تصبب لها عرقا ، مغزاها ان الشعب قد قلدك رتبة الزعامة الاصلاحية فانهض بها راضيا عاملا متقدما بها نحو الامام)[3] .

و بهذا فإن "المدني" لا يترك مناسبة او فرصة إلاّ و اعتلى منبر الخطابة ناصحا موجّها وداعيا الى تغير الأوضاع ، و من ذلك ما أورده "محمد العاصمي" عن "المدني" خلال أجواء الإحتفال بإعلان الرسّام و الفيلسوف الشهير " ليون البان ديني" اسلامه ليأخذ اسم "نصرالدين" قائلا:[4] (فأطلق نابغتنا المحبوب لذلاقته وروحه الفيّاضة العنان لسحره .. فأثار خطابة المفرغ في بوتقة إسلامية ، ....، كما أثار لهيب الشوق في نفوسهم بعد ركودها ، و قد إستطاع صديقنا الخطيب أن يظهر الإسلام لهم في حلّة بديعة ، وبزّة جديدة بذلك التمثيل الفني ، حتى جعل عيونهم في حالتي مدّ و جزر .....أحرز على ثقة المحتفلين و أعجابهم به أيما إعجاب .....لانه يرمي الى مدى بعيد في أسلوبه المحكم في الخطابة و التأثير) ، ومن خطب المدني في النّادي ، تلك

4- ابو القاسم سعد الله : أبو القاسم سعد الله : دروس التحضير لشهادة الماجستير ،السنة الجامعية 2012/2011، قسم التاريخ، جامعة بوزريعة 2.

[3] - - محمد العاصمي : أعظم ناد بالجزائر و ان كان بعد 100 عام ، ص11.

[4]– محمد العاصمي : " مشهدان عظيمان بالعاصمة "، الشهاب ،العدد 122 ، 17 نوفمبر 1927،ص2–6

التي ألقاها بمناسبة عودة الحجاج من البقاع المقدّسة ،وإقامة إحتفال تكريما لهم بالنادي في 25 جويلية 1928 م ، حيث لعب فيه دور الخطيب الاسلامي و الوطني في آن واحد ، أما كونه إسلاميا فإن الرّجل قد عدّد فضائل الحجّ و ذكر منافعه العائدة على المسلمين كأنه أحد المتخصصين في هذا الموضوع ، أما الدّور الوطني فقد ذكّر الناس بواجباتهم نحو وطنهم ، و أخذ يجتثّ تلك الفروق التي بقيت من بقايا الجاهلية الأولى ، فأنسى الناس بكلامه ، وصفقوا له المرات العديدة.[1]

كما أن النّادي لم تقتصر نشاطاته على الحياة الوطنية فحسب ، بل شكّل منبرا للتّضامن مع الاشقّاء العرب ، و تقوية الروابط ، و من ذلك عضوية "المدني" للجنة الاحتفال التي ضمّت كذلك "محمد العيد آل خليفة" ، "الأمين العمودي" ، "عبد الرحمان ياسين" ،"محمد السعيد الزاهري" "،مفدي زكريا"، "سالمي فاتح" و "باسعيد عدون" و هذا بمناسبة تأبين الشاعرين العربيين العظيمين "حافظ ابراهيم" و "احمد شوقي" في يوم 22 فيفري 1933 م و هي تظاهرة ثقافية ذات أبعاد مرتبطة بالدّين و القومية العربية حيث جرى خلالها إرسال برقية للشعب المصري مما جاء فيها[2]: (إن الجزائر المسلمة عموما و نخبتها المفكّرة خصوصا تشارك بقلبها في الكّرى الحارّة التي يقيمها اليوم الشعب المصري نحو الشاعرين ..... و يقاسمون الأمة المصرية مصابها .... و التي تبكي اليوم بعين و احدة لسانيها المعبرين عن آلامها و أمالها).

وبري الدكتور "تركي رابح" أن النادي يعتبر من الهيئات التي ساهمت في دعم حركة التعليم العربي الحر منذ وقت مبكر ، و كان مركزا لنشاط جمعية العلماء بعد تكوينها سنة 1931م، بل كان المكان الذي تبلورت فيه فكرة تكوينها ، و إخراجها من حيّز الأماني الى حيّز الوجود و الواقع ، فالنّادي إحتضن معظم الهيئات الجزائرية ذات الاتجاه العربي الإسلامي منذ تأسيسه حتى نهاية الإحتلال عام 1962 م، و شكّل منبرا للمحاضرات العليمة باللغة العربية

[1]– الشهاب :العدد 160، 17 اوت 1928، ص3–4

[2]– محمد ناصر : الصحف العربية الجزائرية 1847 الى 1939 ، المرجع السابق ص 138

و فضاء للدّروس الدينية و الإجتماعية التي تعالج أمراض و مشاكل المجتمع الجزائري على ضوء تعاليم الإسلام ، و أحكام الشريعة [1].

ويرى ايضا (... فاننا لا نبالغ إذا ما قلنا أنه ما من فكرة وطنية صالحة ظهرت في الجزائر بعد الحرب العالمية الأولى ، تتّصل بالشخصية العربية الإسلامية للشعب الجزائري إلا كان لنادي الترقي نصيب فيها سواءا قلّ هذا النصيب أم كثر)[2].

لقد كان من الأثار الإيجابية أن شهد النادي القيام بتأسيس جمعية الفلاح ، تأسيس الجمعية الخيرية الاسلامية ، تكوين لجنة إعانة فلسطين ، محاولة تكوين البنك الإسلامي ، إجتماع مؤتمر طلاب شمال افريقيا.[3]

يلخص " المدني " أهمية النادي و دوره فيه بالقول[4] : (ربما كانت الخدمة التي قدّمتها به لوطني أجل و أنفع خدمة قدّمها مناضل لأمته و لبلاده ، لقد كان نادي الترقي صفحة بيضاء في تاريخ الجزائر ، لا الجزائر العاصمة وحدها ، بل الجزائر الوطن المترامي الحدود.و إني لأعجب العجب كلّه لهؤلاء المؤر خين الجدد الذين يضربون بسهم في إنشاء تاريخ الجزائر الحديث و يغلقون أو يتغافلون عن ذكر نادي الترقي ، و عن ذكر آثاره).

-**نشاطه في الجمعية الخيرية الاسلامية** : والتي جاءت كثمرة جهود بعض المصلحين و الأعيان العاملين بنادي الترقي يتقدمهم "الطيب العقبي" و"محمود بن ونيش"و"عباس تركي" و" محمد شريف الزهار" و" إبن شلحة محمد" و" محمد بن الباي" و" احمد توفيق المدني" وغيرهم وهي جمعية برّ وإحسان ، تأسست بالجزائر العاصمة في أواخر سنة 1933 م، و قد جاء في القانون الاساسي

---

[1]- تركي رابح :التعليم القومي و الشخصية الجزائرية 1931- 1956 ، المرجع السابق ، ص 231.

[2]- تركي رابح :التعليم القومي و الشخصية الجزائرية 1931-1956 ، المرجع السابق ، ص232

[3]- المدني : حياة كفاح ، ج2 المصدر السابق ،ص 114

[4]- المدني :حياة كفاح ، ج2 المصدر السابق ، ص109

للجمعية الخيرية الذي تضمّن خمسة فصول ، إنّها تعمل على إلعاف المعوز ّين من الأفراد و العائلات ماديّا و معنويا، و إعانة عابري السبيل و مساعدتهم على الرجوع الى أوطانهم[1].

قد أسندت رئاستها الى"العقبي" بإجماع هيأتها الادارية ، و كانت الخيرية تعقد دورة عادية في السنة كما تعقد دورة استثنائية إذا تطلّب الأمر ذلك ، و بطلب من ثلثي أعضاء المجلس الإداري المنتخب ، وذلك لتقييم نشاطاتها السنوية و جمع التبرعات ، مع دراسة إمكانية توسيع فرو ع الخيرية كما حدث في السنوات الأولى من تأسيسها[2]،و في المناسبات الدينية كانت الجمعية تقيم حفلا جامعا و بقاعة الماجستيك بالعاصمة ، و في الثاني من افريل 1934 م و أقامت حفلا ضخما حضره ما يزيد عن خمسة آلاف شخص علّقت عليه مجلة "الشهاب " "بعنوان" اليوم الأغر في عاصمة الجزائ" وكتبت تقول (لم يكن إجتماع الثاني من أفريل نصرا مبينا للجمعيّة الخيرية الإسلامية وحدها ، و ما كان نصرا مبينا لفكرة الإحسان فقط ، بل نصرا عظيما لليقظة الإسلامية الجسيمة) [3] ،إذ كانت اجتماعات الخيرية بمثابة مهرجان إجتماعي ، و أدبي ، تلقي فيها الخطب و الأشعار، و قد حضره أعضاء جمعية العلماء ورئيسها "عبد الحميد بن باديس" ، و بعد إفتتاحية العقبي ألقي "توفيق المدني"كلمة وصفتها الشهاب بالمؤثر ّة و التي قوطعت بالتصفيق مرارا بيّن فيها واجبات الأمة نحو البائسين ، مستنهضا الهمم ، داعيا الاغنياء الى التجنّد لمساعدة الأطفال و العاطلين عن العمل و الفقراء. و مما جاء في كلمته الموجهه للحاضرين قوله:(اذا جلستم الى موائد الطعام مهما كانت تافهة فتذكّروا أولئك الذين حطّمهم الجوع ، وربّما ماتوا و لم يجدوا الى القوت سبيلا) [4].

4–احمد مريوش:الشيخ الطيب العقبي و دوره في القضية الوطنية ، رسالة ماجيستر ، معهد التاريخ ، جامعة .

[1]الجزائر :1992،ص332

1- احمد مريوش:المرجع السابق،ص334.

[3]– الشهاب : " اليوم الأغر في عاصمة الجزائر " ، ج5 ،م10، افريل 1934، ص243

[4]- المصدر نفسه ، ص244

في أوائل عام 1940م و باقتراح من أعضاء الجمعية الخيرية ، تم إنتخاب الهيئة الادارية الجديدة ، و قلّص عدد أفرادها ، و انتخب "العقبي" بالإجتماع رئيسا لها ، و "أحمد توفيق المدني" نائبا أولا ، و"محمد شريف الزهار" كاتبا عاما ، و"الحاج يوسف دامراجي" مراقبا عاما.[1]

لقد تعدى نشاط الجمعية من إيواء إبن السبيل و تربية الجيل الصاعد أخلاقيا و مهنيا الى العلاج المجاني ، ففتحت عيادة لمعاينة المرضى و تطبيبهم ،و كوّنت مجلسا إداريا للهيئة الطّبية يتشكّل من خمسة أعضاء ، و هم دكاترة متخصّصون في مختلف الأمراض[2].

لذا فقد كانت الجمعية متفتّحة على محيطها الخارجي ، و لها علاقات بجمعية العلماء و غيرها من الجمعيات ، وهذا ما جعلها مستهدفتا من وراء ذلك النشاط من قبل الإدرة الإستعمارية رغم الدعم المالي الذي كانت تخصّصه لها ولو ضئيل إذا ما قيس بإيرادات الجمعية ، إذ يذكر "المدني" (أن ميزانية الجمعية وصلت سنة 1949 م الى أربعة ملايين فرنك ، حيث لم تتعدّ المساهمة الفرنسية 700 ألف فرنك أما الباقي فهو تبرعات الأمة الجزائرية[3]

خلال حفلاتها السنوية كانت الجمعية تعرض كل ما توصلت اليه من أنشطة ثقافية ومهنية و كانت تجمعاتها يغلب عليها الطّابع الإسلامي ، كتلاوة القر آن الكريم و ترديد الأناشيد الإسلامية ، و تمثيل المسرحيات ،و الرّوايات الاسلامية الهادفة التي كانت تقدّمها فرقة الكشّافة التابعة للخيرية برئاسة "ديفر بلقاسم"، كما تخصّص أجنحة لعرض إنتاجات الأشغال اليدوية المنجزة من طرف الأطفال والفتيات [4].

رغم الخلافات التي دبّت في السنوات الأخيرة بين الشيخ "الطيب العقبي" و الشيخ "توفيق المدني"خاصة عندما عارض و ألغى رئيس الجمعية قرارا إتّخذه مجلسها برئاسة المدني

---

[1]–جريدة الاصلاح: العدد 17 ، 28 جانفي 1940.

[2]–جريدة الاصلاح : العدد 55 ، 11 جويلية 1947

[3]– احمد توفيق المدني : حياة كفاح ،ج2، المصدر السابق ،ص112.

[4]- احمد مريوش: المرجع السابق ،ص339

يقضي بتقديم مساعدة مادية مالية للتونسيين بعد نكبة طبيعية مما ، أدى الى استقالة "المدني" من أعمال الجمعية ، بعد أن كان صاحب دور كبير في نشاط هذه الجمعية ، التي أولاها عناية خاصة و شارك الى جانب زملائه في رفع الغبن عن مئات المشرّدين ، و تكوين العقول و ذلك وسط ظروف ستعمارية قاهرة.

المبحث الثاني :إسهاماتــه الوطنية في الحركة الوطنية الجزائرية

لقد كانت لـ"أحمد توفيق المدني" ، مواقف و بصمات في أهم التحركات السياسية و الأحداث الوطنية التي شهدتها الجزائر في المرحلة التي تلت دخوله إليها مبعدا من تونس سنة 1925 م ، الى غاية إندلاع الثورة التحريرية عام 1954 م ، والتي تميّزت بنشاطه و حيويّته ولعلّ اهم المحطّات السياية التي تبرز هذا الحضور المتميّز هي :

- **مشاركته في بيان الشعب الجزائري 1943م : إذ** عرفت الجزائر خلال فترة الحرب العالمية الثانية (1939-1945م) أحداث وتطورات سياسية و عسكرية ، و كانت بعض أجزاء من أراضيها مسرحا لمواجهات عسكرية بين قوات المحور و الحلفاء و بالتالي كانت إحدى الجبهات الحربية فكيف تفاعل الجزائريون مع هذه التطورات ؟ و ما هو دور "توفيق المدني" ونشاطه كمفكر وكسياسي خلال هذه الفترة ؟.

لقد كان إنزال الحلفاء في 08 نوفمبر 1942م بالسواحل الجزائرية (شاطئ مسلمون بولاية تيبازة حاليا) ، وقد رحّب الجزائريون المسلمون بهذا النّزول ، لإعتقادهم (مخدوعين) بأنّ الحلفاء جاؤوا لتحرير الشعوب المحتلّة وفقا لشعاراتهم المرفوعة ،المتعلقة بالحرية والديمقراطية، كما نصّت عليه مبادئ ميثاق الأطلسي[1] ، وتميزت هذه الفترة من الناحية السياسية بنشاط مكثّف للحركة الوطنية بتياراتها المختلفة ، وفي هذا المسعى وقعت إتصالات بين الجزائريين و الفرنسيين و الحلفاء ، بهدف وضع إيطار لمستقبلهم ، و قد دعي "المدني" من قبل الجنرال "جيرو" للتباحث

[1]- ابو القاسم سعد الله : الحركة الوطنية الجزائرية 1930-1945 م ،ج3 المرجع السابق ، ص190

حول إلتفاف الجزائريين الى جانب فرنسا و الحلفاء و مساندتهم ، و خلال المقابلة طرح "المدني" مطالب التونسيين و الجزائريين و شرح آلام الشعبين ،لإّ أن المناقشات لم تسفر على أيّة نتيجة مما أدى بالمدني الى وصف الجنرال "جيرو"بأنه" بغل مصفح"[1] ،و في نفس الأجواء ، ذكر الشيخ "توفيق المدني" ، أنه خلال شهر ديسمبر 1942 م أعلمه صديقه الأستاذ "فرحات عباس" بأن الجنرالين "دارلان"، و"جيرو" قد طلبا منه، و من مجموعة من النواب ، أن يفكّروا في إمداد فرنسا الحرة بالرّجال الجزائريين قصد المشاركة في الحرب[2] ، واستغل "فرحات عباس" الظرف وسارع الى تحضير مطالب لتقديمها للأمريكيين ، تعتمد كأساس للإصلاح ، حيث قدم رسالة للسلطات الفرنسيةو الحلفاء يوم 20 ديسمبر 1942 م و أتبعها برسالة ثانية ، تحمل بعض التغييرات يوم 22 ديسمبر1942 م [3] موجّهة الى السلطات الفرنسية عنوانها :"رسالة من ممثلي المسلمين الى السلطات الفرنسية" ، إعترف خلالها بسيادة فرنسا على الجزائر ، وقدّم مشروع إصلاحها للتّخفيف من معاناة الجزائريين ، و تعتبر هذه الرسالة كمسودة لبيان الشعب الجزائري فيما بعد إلا أن هذه المطالب رفضت سواء من قبل الفرنسيين أم الحلفاء بحجج واهية [4] ،و أمام تعنّت إدارة الاحتلال و عدم ترحيب الحلفاء بالمطالب المقدّمة ، أصبح لمام قادة الحركة الوطنية ، وعلى ر أسهم "فرحات عباس" ووطنيين آخرين نشطين من مختلف الأتجاهات ضرورة تغيير موافقتهم ، و تجذير مطالبهم.

وكان "توفيق المدني" من السبّاقين لإغتنام أيّه فرصة للتّعبير عن الرّغبة الصادقة في التّخلص من الهيمنة الاستعمارية ، لذلك فإنه لم يتوان في تسجيل حضوره في كل تحرك، ومن ذلك ما ذكره عن الإعداد للبيان حيث ذكر انه في شهر جانفي من سنة 1943م إتّفق الأخوان "عباس فرحات"و"الحكيم ابن جلول" على الدّعوة لعقد إجتماع سياسي تأسيسي يضمّ النخبة الصالحة

---

[1]–المدني : حياة كفاح ، ج2 : المصدر السابق ،ص366

[2]–. المدني : حياة كفاح ، ج2 : المصدر السابق ، ص366

[3]-Mohamed ,harbi , le F L N , mirage et réalité édition ,jeune Afrique ,paris :1980,pp45-62.

[4] -Benjamin stora ,Zakya Daoud :ferhatabbas une autre Alérie , , édition, casbah , Alger :1995,p115

من رجال الشعب الجزائري ، لكي يضع أسس المطالبة ، و يقول كلمته الصريحة في شأن مستقبله و كنت (أي المدني) مدعو لحضور ذلك الاجتماع ، و قد أشعر مسيو "مورفي" ممثّل امريكا بالأمر لما عسى أن تفعله فرنسا".[1]MURPHY فدعا "فرحات عباس" الى عقد إجتماع في مكتب المحامي الاستاذ "بومنجل" بالعاصمة حضره الدكتور "تامزالي" و"غرسي احمد"،"قاضي عبد القادر" الدكتور "الامين الدباغين"، و "حسين عسلة "، و الشيوخ "العربي التبسي "،"محمد خير الدين" "احمد توفيق المدني"، "و الدكتور إبن جلول"، "فرحات عباس" ، "الدكتور سعدان"، مستشار عام و"محمد الهادي جمام" بالإضافة الى مستشارين عامّين ، و مندوبين ماليين، إتفقوا كلهم على إصدار ميثاق جديد خاص بالجزائر وحسب "المدني" فإن الاجتماع حضرته حوالي50 شخصية من المعروفين من رجال المجتمع السياسي الجزائري ، تر أّسه الدكتور"ابن جلول"، و قد طرح "توفيق المدني"مجموعة مطالب ، ر أي أنّها تمثّل مطالب الشعب الجزائري لخّصها في عشر نقاط أهمها:

- إنشاء مجلس تأسيسي و تحرير دستور دولة الجزائر[2].

- تكوين حكومة جزائرية مستقلة معترف بها ، تشارك مع فرنسا و الحلفاء في الحرب.

- إلغاء تبعيّة الجزائر لفرنسا، و إبرام معاهدة لتنظيم العلاقات بينها.

- إنشاء النّقد الجزائري الخاص بالدّولة الجزائرية على قاعدة الدينار يساوي 1000 فرنك[3] .

وكلف "فرحات عباس"بتحرير نص ّ البيان ، الذي وقع بتاريخ 10 فيفري 1943 م ،و كان بعنوان "الجزائر أمام الصراع الدولي، بيان الشعب الجزائري "و تركّز على خمسة مطالب أساسية.[4]

1- تطبيق مبدأ تقرير المصير لكل الشعوب سواء كانت صغيرة أم كبيرة.1

---

[1] - احمد توفيق المدني : حياة كفاح ،ج2، المصدر السابق ،ص367 انظر ايضا : عبد الرحمن بن ابراهيم بن العقون : الكفاح القومي و السياسي من خلالمذكرات

[2]-فرحات عباس :حرب الجزائر و ثوراتها – ليل الاستعمار ،المصدر السابق ،ص140

[3]احمد توفيق المدني: حياة كفاح ،ج2،المصدر السابق ص367-368

[4]-فرحات عباس : حرب الجزائر وثروتها- ليل الاستعمار ،المصدر السابق ص140

2- إدانة الاحتلال و تصفيته، بمعنى إنهاء سياسة الإلحاق و إستغلال شعب لشعب آخر.

3- منح الجزائر دستورا خاصا بها يضمن لها:

ا- الحرية و المساواة المطلقة لكل سكانها بدون تمييز عرقي أوديني.

ب- إنهاء الملكية الاقطاعية بتطبيق إصلاح زراعي واسع يضمن الرفاهية و الرخاء للطبقة الواسعة من البروليتاريا الفلاحية.

ج- الإعتراف باللّغة العربية لغة رسمية الى جانب اللغة الفرنسية.

د- حرية الصحافة وحق إنشاء الجمعيات.

هـ- التعليم المجّاني و الإجباري لكل الأطفال ذكورا و اناثا.

و- حرية الديانة لكل السكان ، و تطبيق فصل كل الديانات عن الدولة.

4- المشاركة الفورية و الفعّالة للمسلمين الجزائريين في حكومة بلادهم.

5- إطلاق سراح جميع المساجين السياسيين المحكوم عليهم مهما كان الحزب الذي ينتمون اليه[1].

وقد جمع هذا البيان بين أفكار حزب تلإحاد الشعب الجز ائري ،و جمعية العلماء المسلمين وفئات عريضة من الجزائريين ، فالتّصدي للإستعمار الفرنسي مهمة تتطلب تآزر الجميع ، و قد عبّر عنه المحامي "احمد بومنجل" بأنه نضال سياسي سيؤدي الى إحداث قطيعة نهائية مع الاندماج ، و يقوي الر ّوح الوطنية عند الجزائريين[2] و هو جوهر نضال "توفيق المدني".

و بخصوص التقارب بين النّخبة و العلماء ، يرى الدكتور"عبد الكريم بوصفصاف" أن ذلك كان ناتجا أساسا عن تطور النّخبة ، و يأسها من الديمقراطية الفرنسية ، أما قبول العلماء التعاون

1- Anonyme , du Manifeste à la république Algérienne, édition libération , Alger :1948,pp40-41

2- حميد عبد القادر : فرحات عباس رجل الجمهورية ، دار المعرفة ،الجزائر :2001،ص88

مع هؤلاء ، فقد كان ناتجا عن قناعاتهم بالموقف الجديدة ، و التي أثبت منذ سنة 1943 م قطيعة رجال النخبة نهائيا مع المستعمر من جهة ، و الإمكانيات السياسية التي يتمتّع بها أعضاء النّخبة من جهة أخرى).[1]

وبعد إعداد البيان ولإمضاءه قام وفد على ر أسه "فرحات عباس" ، بتسليم نصّه ألى الوالي العام "مارسيل بيروتون" بتاريخ 31 مارس 1943 م، و الذي وعد بأن يأخذ المطالب بعين الإعتبار كأساس لدستور الجزائر، و تمّ تشكيل لجنة سمّيت " لجنة البحث الإقتصادي و الإجتماعي" يوم 03 افريل 1943 [2] ، وقد وصف "المدني" أنذاك هذه اللّجنة بأنها ألعوبة ، فهي لم تدرس أي مشروع جدّي لإصلاح أحوال المسلمين بالصيغة التي يطلبونها ، و مع ذلك فقد تقدّم أمامها "فرحات عباس" بعد التشاور مع موقّعي البيان ،و عرض مطالب محدّدة بصفة ملحق للبيان ، خلال شهر ماي 1943 م[3]، و في هذا يرى الدكتور "أبو القاسم سعد الله" (إن البيان و ملحقة وثيقة واحدة يحتوي على مزيج من المطالب السابقة للنّخبة ، والعلماء ، وحزب الشعب، و أنّها من وحي التجارب الماضية للجزائريين مع الإستعمار)[4].

و بهذا فإن الشيخ "أحمد توفيق المدني" شارك بفعالية في البيان التاريخي، و عبّر الى جانب زملائه عن أمال الجزائريين ، و جسّد خطّه السياسي الذي يهدف الى توحيد الجهود الوطنية لمناهضة المستعمر، الذي كان يعتقد دوما أنه لا يرجو ولا يريد الخير لهذا الشعب، و قد تأكدت نوايا فرنسا من خلال الر ّد الذي كان على لسان "ديغول" بمدينة قسنطينة خلال خطابه يوم 12 ديسمبر 1943م، و الذّي وعد فيه ببعض الحقوق ،جسّدها في أمر 07 مارس 1944م، الذي لم يرض به أحدا من المسلمين.

1- عبد الكريم بوصفصاف : جمعية العلماء و علاقاتها بالحركات الجزائرية الاخرى 1931-1945 دراسة تاريخية و إيديولوجية مقارنة منشورات، المتحف الوطني للمجاهد ،طبع المؤسسة الوطنية للاتصال و النشر و الاشهار ،الجزائر1996،ص286.

2- ابو القاسم سعد الله : الحركة الوطنية الجزائرية 1930-1945 ،ج3 ، المرجع السابق ،ص208

3- احمد توفيق المدني : حياة كفاح ، ج2،المصدر السابق ،ص375

4- ابو القاسم سعد الله : الحركة الوطنية الجزائرية 1930-1945،ج3،المرجع السابق،ص213

ويري "توفيق المدني" أنّ الرّد الفرنسي ، أدي الى إنتشار الوعي السياسي في كل طبقات الشعب الجزائري التي أجمعت على اليأس من إستماع فرنسا الصوت الحق[1]

– **مشاركته في الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية و احترامها 1951م:** لقد أعقبت عمليات القمع الفرنسية العنيفة الممارسة ضدّ الشّعب الجزائري خلال أحداث 08 ماي 1945م قفزة سياسية نشطة وتأثر الإتجاه الثوري بالضرابات التي تلقّتها المنظمّة الخاصة بتفكيكها في شهر مارس 1950،و قيام النظام الاستعماري بتزوير الانتخابات في شهر جوان 1951 م، و أمام هذه الأوضاع ، كان لابدّ من إعادة توحيد الجهود ، في إطار منظّم أو تجمّع ، يمكّنها من بعث الأمل في نفسية الشعب الجزائري المحطّمة ، فهل تمكّنت الحركة السياسية من تشكيل هذا الإتّحاد ؟ و ما دور أحمد توفيق المدني فيه؟، وبالفعل توّجت هذه الجهود بميلاد تكتّل ظهر باسم "الجبهة الجزائرية للدّفاع عن الحرية و إحترامها" ، حيث مهّد لظهورها عدّة لجان، وهي "لجنة إغاثة ضحايا القمع" التي أنشئت سنة 1948 م و لجنة "الدفاع عن حرية التعبي" التي أنشئت عام 1950 م[2] وهكذا إجتمعت لجنة لتأسيس هذه الجبهة يوم 25 جويلية 1951م بالجزائر العاصمة ضمّت ممثلين عن العلماء ، و الاتحاد الديمقراطية للبيان الجزائري ، و حركة الانتصار للحريات الديمقراطية والحزب الشيوعي الجزائري ، و شخصيات مستقلة ، و جّهت نداء الى جميع الجزائريين المهتمين بتحقيق الإتحاد[3] .

وقد علّقت جريدة "المنار" عن ميلاد هذا التكتل قائلة :(انها لبشرى تشرح الصدور و تنعش الآمال ، و تقوّي التفاؤل بمستقبل هذا الوطن..... هذه البشرى هي تكوين لجنة إنشائية لتأسيس جبهة جزائرية للدفاع عن الحرية و احترامها .... فان الذي نريده ، هو توحيد السياسة والعمل في

---

[1] – أحمد توفيق المدني : حياة كفاح ، ج2 المصدر السابق ،ص375–376.

[2]– أسعد لهلالي : الشيخ محمد خير الدين و جهوده الاصلاحية في الجزائر 1902–1993م ، مذكّرة ماجستير قسم التّاريخ ، جامعة منتوري ، قسنطينة : 2006

[3]– عبد الرحمن بن ابراهيم بن العقون : الكفاح القومي و السياسي من خلال مذكرات ، معاص ، ج3 ،المؤسسة ،الوطنية للكتاب ، الجزائر: 1986،ص 165

جبهة قومية ، تتمثل فيها مصالح الشعب الى الحرية و الإستقلال ... و هي خطوة عظيمة ، نرجو أن يتبعها توحيد البرامج السياسية ، في برنامج عام واحد يعبّر عن أماني الامة الجزائرية القومية [1].

و عقدت اللّجنة التأسيسية إجتماعا لها ، في قاعة سينما "دنيا زاد" بالجزائر يوم 05 اوت 1951 م ، شاركت فيه التشكيلات السياسية ، و شخصيات عديدة ، و جمهور غفير من المواطنين حيث أعلن رسميا عن ميلاد الجبهة ، ووقع الاتفاق على خمسة مطالب رئيسية هي :

1- إلغاء الإنتخابات التشريعية المزعومة التي جرت في 17 جوان 1951م.

2- إحترام حرية الانتخابات في القسم الثاني .

3-إحترام الحريات الأساسية (حرية الفكر ،الصحافة، و الإجتماع).

4-محاربة القمع بجميع أنواعه ،و تحرير المعتقلين السياسيين ، و إبطال التدابير الإستثنائية الواقعة على "مصالي الحاج".

5- إنهاء تدخل الإدارة في شؤون الدّيانة الإسلامية[2].

وتشكّل للجبهة مكتب دائم من عشرة أعضاء و هم :"العربي التبسي"، "محمد خير الدين" "احمد مزغنة "،"الاستاذ "كيوان" ،"احمد بومنجل"،"قدور ساطور"،"احمد توفيق المدني"،"السيد كالبير و" و"كوش يونس"،"الاستاذ مندوز"(غيابيا) ، يتولى هذا المكتب العمل على تحقيق المبادئ المتعلقة بتوحيد الجزائريين ، و لمّ الشّمل و الدّفاع عن الحرية[3].

وتدخل مشاركة الشيخ "احمد توفيق المدني" في الجبهة في إطار نضاله المستمر و عمله الدّؤوب ،الهادف إلى جمع كلمة الجزائريين، توحيد صفوفهم، وتوجيه جهودهم لمناهضة

---

[1] – محمد بوزوزو : "بارقة امل خطوة كبيرة في سبيل تحقيق الاتحاد القومي "جريدة المنار ،العدد 06 ،الجزائر :30 جويلية 1951،ص01

[2]– جريدة المنار، الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية و احترامها مولود جديد في حاجة الى عناية العدد 07 ،الجزائر:15 اوت 1951 ،ص01

[3] – نفس المكان

الاستعمار،وفي هذا وصف المدني الجبهة قائلا :إن حركتنا هذه ليست حركة عنف ، و ليست حركة قوّة ، بل هي حركة عقل و حكمة ، حركة حجّة و إقناع ، هي حركة مجموع الأمة الناهضة التي تريد بواسطة الحجج القوية الدّامغة ،و بواسطة المنطق السليم الراجح ، أن ترغم الخصوم على التخلي عن مظالمهم ،و امتيازاتهمالجارحة ، و تدليسهم السخيف ، و أن تنتزع من بين أيديهم انتزاعا حقوقها، وحياتها الشريفة السّامية)[1]

فكان الشيخ من المتحمسين للدّفاع عن المبادئ التي تشكّلت من أجلها الجبهة ، و في مقدّمتها الحرية و الدّيمقر اطية ، فخلال خطاب ألقاه بتاريخ 19 أوت 1951 م ، بالملعب البلدي بحسين داي ، حضره آلاف الأشخاص ، خاطب الحضور قائلا: [2](إنّ السّبب الأصلي في نجاح النظم الاستعمارية هو الخلاف ، و أن دواءنا هو الإتحاد ، إنّ الحرية أيها القوم هي كل شيء فالأمة المتمتعة بالحريات الأساسية ، هي الأمة التي تستطيع أن تبني بيدها جدار مستقبلها السعيد ....وإذا ساد في بلادنا كل الحريات الديمقراطية ، فقولوا يومئذ حي على الفلاح، و اعلموا يومئذ أن الأمة قد خطت خطواتها الموفّقة الصّالحة ، و سارت سيرها الطبيعي .....إ علموا أنه مهما كان الطريق وعرا شائكا.....فإن كفاح هذه الجبهة المتحدة الموفقة سيبوء بالإنتصار العظيم لتحقيق سعادة الأمة برفع لواء الحرية).

وقد علّق المدني ، آمالا كبيرة على تشكيل هذه الجبهة ،إذ كتب في جريدة البصائر عن الحدث:[3] قائلا (الحمد الله و الله أكبر، لقد تحقّق الرّجاء ، و كلّلت جهود العاملين في سبيل جمع كلمة الأمة ، و تحقيق وحدتها بفوز عظيم فهذه الجبهة إنما هي طليعة إتحاد الجزائر المقدس.....فوجود طائفة من العلماء الصالحين المستقلّين من جهة ، ووجود الرّغبة الصادقة عند سائر الأحزاب لمباشرة العمل المشترك ، في سبيل الجزائر الحر ة الجديدة).

---

[1] – جريدة المنار: الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية و احترامهاتقف أمام الأمة، العدد08،الجزائر:31 اوت 1951،ص03 ،

[2] – نفس المكان

[3] - أبو محمد : الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية و احترامها ،اعظم موقف تتخذه الجزائر المجاهدة في تاريخها الحديث ،البصائر، العد 167،الجزائر:13 اوت 1951،ص01

و قد كانت للجبهة نشاطات قامت بها ، حيث سجّل المدني مشاركته فيها ، بصفته عضوا في المكتب الدائم ، رفضها المشاركة في الانتخابات العمّالية التي جرت في شهر اكتوبر 1951م رغم إعلان الحزب الشيوعي ، قراره بدخولها ، حيث صدر تصريح مشترك ، دعا الناخبين الى مقاطعة تلك الإنتخابات[1].

كما إهتمت الجبهة بمشاكل القطر، فكانت ترسل وفودا عنها إلى مختلف مناطق الوطن التي تشهد أحداثا ،مثلما حصل بالأوراس ، وهي الأحداث التي كانت متزامنة مع تشكيل الجبهة و بعد تلقّي التقارير ،تتم دراستها، و التوقيع على خلاصتها ، و ترسل إلى الإدارة الاستعمارية و تنشر في الصحف كما هو الحال مع تقرير الجبهة الذي نشر بالمنار بتاريخ 05 اكتوبر 1951[2] وقد تعدى نشاطها و اهتمامها ، و جاوز الإطار المحلي ، ليشمل البلدان المغاربية ، حيث شارك "المدني" في إرسال برقيات الإحتجاج و التضامن مع الشعب التونسي ، أثناء الأحداث الدامية التي تسببت فيها السلطات الفرنسية في مطلع سنة 1952م ، حين إعتقلت عددا كبيرا من الزعماء السياسيين ،و على راسهم "الحبيب بورقيبة" ، و"سليم المنجي" ، فقامت بتوجيه رسائل الى الهيئات الفرنسية،و هيئة الأمم المتحدة ،و تصدّر "توفيق المدني" ،إجتماعا بالعاصمة في 08 جانفي 1952 تأكيدا لهذا التضامن[3].

كما كان على رأس موقعي بيان التنديد و المساندة ،الذي أصدرته جمعية العلماء ،و كان حينها أمينها العام ،في شهر نوفمبر 1951 م إثر حوادث الدار البيضاء المغربية ، حيث أدان الإستعمار ، و أبرز تضامن الشعب الجزائري مع الاشقاء المغاربة [4].

---

[1]–جريدة المنار : "تصريح مشترك " العدد 09 ، الجزائر : 05 اكتوبر 1951،ص01

[2] عبد العزيز الثعالبي، تونس المجاهدة ، البصائر ،العدد182 ،الجزائر :01فيفري1952،ص01

[3] – البصائر : بيان من الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية و احترامها ،العدد 174،الجزائر :19 نوفمبر 1951،ص **08**

[4] - **Mahfoud Kaddache et Djilali sariMop-cit,p113**

ولقد برز نشاط الجبهة بشكل ملفت فرض نفسه على الساحة الوطنية في مطلع الخمسينيات ، و إن لم تعمر طويلا ،فقد إستطاعت لمّ شمل إتجاهات متناقضة ،و جمعها حول برنامج محدّد ، و هو ما يشكّل نقطة تحول هامة[1].

و في ري أحد معاصريها ، فإن الجبهة كانت جسما هشّا ،لأنها لم تكن مبنية على وحدة الإتّجاه ووحدة المبدأ ، و على إقتناع قلبي و عقائدي ، لذلك لم تستطيع مقاومة إختلاف الآراء و تلاشت شيئا فشيئا ، دون إنفجار ظاهر،و عن أسباب فشلها يرى أحد الكتاب انها تعود الى أهدافها البسيطة ، التي لم تسمح للأحزاب الوطنية المعادية للاحتلال ،أن تقدم برنامجها العملي الموحّد، وهذا بسبب الاختلاف فيما بينها ، من حيث النظرة الى الاستقلال[2] ، غير أن التجربة شكّلت حلقة من حلقات الوعي الوطني، إذ إعتبرها "المدني" إتحاد مقدّسا ،جمع مشارب متمايزة فكانت في نظره الومضة الاولى التي إنشق من بعدها نور الجبهة العظمى، جبهة التحرير الوطني الجزائري مبديا تعجّبه من إستصغار المؤرخين لها [3].

– **خطابه تجاه الاستعمار**: لقد نشأ المدني على كره الاستعمار ، و هوسليل عائلة معروفة بعدائها للاحتلال ، مما أدى الى تشرديها و قطع صلاتها بوطنها الأم ، ثم قطع صلات أبنها بها بعد إبعاده الى الجزائر عام 1925 م، بإعتبار أنه تصدّى منذ شبابه المبكّر للظّاهرة الإستعمارية بكل أبعادها. وهو ما جعله ، يولي أهمية للواقع الجزائري إجتماعيا و سياسيا ، هادفا من وراء كتاباته و مؤلفاته التاريخية ، و محاضراته، الى إيقاظ شعبه و جعله واعيا بماضيه و حاضره، و مستقبله فهو صاحب أثار ناطقة في مناهضة الإستعمار ، و تحرير الفكر العربي الجزائري[4].

---

[1] - André noshi : la naissance du nationalisme Algérien 1914-1954 , édition de minuit, parisM1962, p157

[2]– عبد الرحمن بن ابراهيم بن العقون الكفاح القومي و السياسي من خلال مذكرات معاصرة ج3 المصدر السابق ص180–181

[3]– أحمد توفيق المدني : حياة كفاح ،ج2 المصدر السابق ،ص402–403

4– أنيسة بركات درار : حياة في سبيل العلم و الجهاد ، مجلة التاريخ ، العدد 18 الجزائر :النصف الاول من سنة 1985 ص ص27–28

فالمتتبّع لمقالات "المدني" سواءا الجرائدوأ المجلات الصادرة خلال الرّبع الثاني من القرن العشرين يلمس فيها الرّوح الناقدة ،و الأسلوب القوي ،و النّعة التحريرية للرّجل ، الذي كانت له جولات قلمية مناهضة للمشاريع التي كان الاستعمار يطرحها من حين لأخر فكان يصفها بأسمائها الحقيقية ، فهي إما إصلاحات مزيّفة ، أو تجنيس و إدماج ،أو تحطيم للوحدة الوطنية ، و نشر للعنصرية و غيرها ، فالقضية الأساسية بالنسبة إليه ، هي التشبّث بالحق و الدّفاع عنه و الإيمان بالهوّية الشرقية ،و التمسك بمقوماتها، فموافقة الوطنية تلاحق المستعمر على كافة المستويات ، و تفضحه في الانتخابات و القضاء و الممارسات الإدارية، فقد كان يصف الواقع مبديا ر أيه علانية منتقدا الوضع الذي يعيش فيه مجتمعه بكلّ صراحة غير مكترث بما سيقع من ردّة فعل الإدارة و طبّق هذا الأسلوب على كل القضايا التي عالجها ، فأضحى طبيبا يصف الدّاء و الدّواء[1].

وكان "توفيق المدني"جريئا في طرحه ، منذ السنوات الأولى لدخوله الجزائر ، و ذلك عندما تساءل عن الحالة العامّة للمسلمين الجزائريين ، فوجد أن الجزائري من حيث المنطق و المعقول هو مسلم جزائريّ وكفى ، و من حيث القانون الدّولي فهو فرنسي ، و من حيث المعاملات الدّاخلية يعتبر رعيّة فرنسيّة ، يقوم بالو اجبات ، ولا يتمتع بالحقوق الفرنسية ، و إن أراد ذلك ، فيجب أن يتخلّى عن الأحوال الشّخصية ، ثم ختم تساؤله بالتّأكيد أن الشعب الجزائري ،قد فضّل البقاء على حالة الظلم و الإرهاق رافضا التّنازل عن دينه ، أو التقاضي بغير ما أنزل الله[2] ،رغم أن هذا الموقف المصرح به يعدّ خطيرا ، مقارنة بالوضع العام ، و لذلك نجد "ديبارمي" يذكر أن أفكار "المدني" ، و بعض أمثاله ، ليست سوى تعبيرا عمّا تردّده جميع فئات الشعب الجزائري[3]

ومن صور إنتقاد"المدني" للسيّاسة الاستعمارية ماكتبه في جريدة "الشهاب"،خلال شهر نوفمبر 1937 بعنوان "محاكمة حزب الشعب" ،يقول[4](إن الذي يدهشنا حقّا، و يفتح أبواب

---

[1] ميسوم بلقاسم : المرجع السابق ، ص ص121-122

[2] - احمد توفيق المدني : كتاب الجزائر ، المصدر السابق، ص328

[3]– بوضرساية بوعزة : "بعض جوانب الحركة الوطنية في منظور ديبارمي "الثقافة ، العدد 104 ،الجزائر سبتمبر ، اكتوبر 1994،ص110

[4] –تحمد توفيق المدني : حياة كفاح ، ج2، المصدر السابق ،ص294-295

الهواجس في أنفسنا ،هو ما يسلكه نحونا ، مهما إختلفت أحزابنا ، رجال الإدارة ..... فهم لا يريدون لنا أي رقي ،لا ضمن منطقة فرنسا و لا خارجها ..... لكننا نقول لهم بكل هدوء .... أن عاقبة هذه السياسة الخرقاء لن تكون لإ وخيمة ، مهما غتروّا بقوّتهم ، و غتر وا بسلطانهم .....وإن أرادو أن نعيش عبيدا اذلاء، فإننا نأبى أن نعيش إلاحرار ا سعداء)،وهو بهذا يعبّر على لسان جميع الجزائريين ، ملخّصا قناعاتهم ، تجاه الأساليب التي يستعملها الساسة الفرنسيون بالجزائر و أعوانهم ،بل ويعبّر أيضا عن شعور شعوب المنطقة المغاربية ، مبيّنا إزدواجية السياسة الفرنسية في التّعامل مع أهلها حين قال :[1](الحقيقة أنّ حكومة فرنسا ،كانت و لا تزال ،تجاه القضايا الإعلامية في الشّمال الإفريقي ، تكيل بمكيالين..) مضيفا (..أن العصر ،عصر قوة لاعصر حقّ فمادمنا نقدّم الحقّ ، وندافع عنه بصفته حقّا،لا يعتمد ، إلا على النظريات و الأقوال ، فسوف لا نلاقي في نضالنا ، إلا الخيبة و الاخفاق)، وعبّر "المدني" في مقال له بعنوان "الاستياء العام" نشره في شهر مارس 1938م ، طرح جملة من التساؤلات على السلطة الفرنسية ،ودعا حكومة الإحتلال ، الى ضرورة الإسراع بالتكفل بإصلاح الأوضاع السياسية قبل فوات الأوان ، و ممّا قاله [2](هل للجمود السياسي الفرنسي من حدّ ؟ وهل تدرك السياسة الفرنسية أخيرا ،أن الحبل قد أوشك أن ينفصم ، و أنّ الأزمة السياسة في الشّمال الإفريقي قد وصلت الى درجة حادّة ؟ ...إذا استمرّ الجمود السياسي الفرنسي على حاله ووقع الإكتفاء بالوعود ....فإن ذلك لن يطفئ نار الإستياء المتأجّجة في هذه الأقطار ، من المحيط الأطلسي الى سواحل طرابلس ....ولسنا ندري ما يكنّه المستقبل لهذه الأمة ، التي آملت كثيرا ، ثم ذهبت آمالها هباءا منثورا).

وقد زادت مواقف "توفيق المدني"، حدّة و جرأة ، بعد نهاية الحرب العالمية الثانية ، و خيبة الامل المعقود ، و تأثيرات مجازر الثامن ماي الرهيب ، و نلمس ذلك خصوصا في جريدة البصائر في سلسلتها الثانية ، حيث كان "للمدني" جولات طويلةفي الر كن الشهير،"منبر السياسة العالمية"

[1] – بدون امضاء:" الى متى ؟"في الشمال الافريقي" ،الشهاب ، ج1،م15،فيفري 1939،ص48–49

[2] – احمد توفيق المدني : حياة كفاح ، ج2 ، المصدر السابق ،ص288–289

فمن خلال مطالعتنا لغالبية الأعداد الصادرة بينا أعوام 1947 و 1954م ، سجّلنا الإشارات القوية التي كان يرسلها "المدني" الى الشعب الجزائري. و شعوب المغرب العربي ، تلميحا و تصريحا.

و سنكتفي بعرض ما ر أيناه يعبّر عن حقيقةللمواجهة مع المستعمر ، و عن الجر أة القوية في الطرح و المعالجة ، ففي كلمة له بنادي الترقي في 26 أفريل 1946م ، عبّر عن يأسه من الوعود الفرنسية الكاذبة،مبرزا الوضعية المأساوية للجزائر يين،حيث يقول: (فعلينا بالتكتل و توحيد الصّفوف ، فإذا تمكّنا من تأسيس جمهوريتنا الجزائرية نستطيع يومئذ ، أن نتخلص من سائر أوباء و مصائب الاستعمار ... أما الاستوار على هذه المطالب الجزئية ، و الحكومة ليست لنا و التشريع ليس بأيدينا ، فقد أرتنا التجارب منذ أمد طويل أن ذلك نوع من العبث)[1] ،وشنّ حملة انتقاد على الاساليب المراوغة الإستعمارية ،خلال الانتخابات الخاصّة بالمجلس النيابي التي جرت في يوم 04 أفريل 1948 م تحت إشراف الحاكم العام "تاجيلان" ،فكتب تحت عنوان"الانتخابات بين الارهاب و التدليس" يقول: (...نحن نعلم بكل ما فينا من قوة و يقين و إيمان ، و بكل ما تحمل نفوسنا من شرف،و عزّة و كرامة ، أن انتخابات المجلس النيابي الجزائري ، هي بالنسبة للمسلمين لإنتخابات زائفة مزوّرة ، و إنّ هذا المجلس لا يمثّل الأمّة في كثير و لا قليل ، و أنّ هذه الإنتخابات المدلّسة ، ستبقى وصمة عار في وجه الإستعمار[2]) ،كما شنّ "أحمد توفيق المدني" ، من خلال البصائر ،حملة عنيفة ضدّالمستعمر ، فاقت في جر أتها ، و شجاعتها كل ما كتب في الجزائر، قال فيه: (ألم تحتلّ فرنسا قطر الجزائر إنتقاما لضربة مروحية خيالية ؟،ألم تمزّق الإستقلال التونسي شر ممزّق ، و تفرض سلطانها الجائر على ذلك القطر ، بدعوى الدفاع عن الجزائر ضدّ غارة جماعة من قطاع الطرق بجبل خمير؟[3]) ، و يخلص الى القول: (نحن نعلم اليوم ،كما نعلم بالأمس أن القوة لا تزال هي الحكم الفصل في تقرير مصير الإنسانية) [4].

---

[1] – جريدة الإصلاح : العدد 49، 17 ماي 1947 .

[2] – ابو محمد : الانتخابات الجزائرية بين الارهاب و التدليس "البصائر ، العدد 32،الجزائر : 19افريل 1948، ص05

[3]– ابو محمد : "أقتلوا الاستعمار أو يقتلكم الاستعمار " البصائر ،العدد 02 ، الجزائر : 01 اوت 1947،ص03

[4]– نفس المكان

و لم يترك المدني فرصة أومناسبة ، إلا ووقف موجها خطابه الى الاستعمار و أعوانه الذين خاطبهم بصراحة ، قائلا [1] : (و هكذا ينهار على مر أى منا و مسمع ، و تحت مفعول الوعي القومي من جهة ، و إنتباه الضمير الإنساني من جهة أخرى ، النظام الاستعماري ....لكن هناك قوم من الإستعماريين الآثمين .... لا يرون مصرع الإستعمار العالمي، و لا يشاهدون تحرير الأمم ... أولئك القوم هم الفرنسيون ، الذين خيّل إليهم الطّمع ، أن كل إستعمار في العالم ينهار إلا إستعمارهم وحده فله طول البقاء ... إنه لموقف جهل و غباوة و غرور ، سوف يؤدي بالفرنسيين الى تجرّع مرارة العواقب....وربّما كان ذلك أقرب ممّا يظنّون).

و نظرا لحسّه السياسي العميق ، و نظرته الاستشرافية لنهاية الإستعمار، فقد توقّع إندلاع الحركات الثورية بالمنطقة المغاربية ،و يتجلى ذلك بوضوح في أكثر من عدد من صحيفة البصائر التي جاء في إحدها، ما يؤكد هذه النظرة ،فقد كتب في "منبر السياسة العالمية" تحت عنوان "طوفان ببلاد المغرب العربي" يقول :(لقد أصبح من الظاهر الجلّي ، أن موجه هائلة من الطغيان الإستعماري، تطغى اليوم على بلاد المغرب العربي، و يتفاقم أمرها شيئا فشيئا ، حتى أصبحنا نعتقد أنّها مقدّمة لطوفان عنيف ، سوف يغمر هذه الارض الفسيحة ، التي يعتقد ساسة باريس ، أنها خلقت لتبقى الى أبد الآبدين نموذجا للنّظام الإستعماري الممقوت اللّعين .... لقد أفلست السياسة الإستعمارية الفرنسية بهذه الأقطار ،إفلاسا منقطع النظير)[2] .

و يرى الشيخ "أحمد توفيق المدني" و بتتبّعه للسياسة الإستعمارية في الجزائر و بلدان المغرب العربي وعبر مناطق العالم ، الى أن الإنتعمار ظاهرة مصيرها الزّوال مظهرا إيمانه العميق بتحقيق الحرية ، حين كتب[3] :(ستنهار لا محالة طال الزمن أو قصر، كل النّظم الإستعمارية

---

[1]– ابو محمد : "منبر السياسة العالمية " البصائر ، العدد 04، الجزائر :29 اوت 1947،ص04

[2] –ابو محمد :"منبر السياسة العالمية "البصائر ،العدد 23 ، الجزائر : 16 فيفري 1948،ص04

[3]- ابو محمد : "منبر السياسة العالمية "البصائر ، العدد 79 ، الجزائر :09 ماي 1949،ص05

في هذه الدّنيا ، وسنرى و نحن على قيد الحياة إن شاء الله ، تمتع كل أمة من امم العالم ، بحريتها الكاملة ، و استقلالها المطلق ، و لن يبقى الإستعمار إلا صفحة سوداء في بطون التاريخ).

و لقد حصل بالفعل ما كان يتوقعه المدني و هو لا يزال على قيد الحياة ، حيث شهد العالم انتشار موجه التحرر ، و إنهيار الإستعمار في صورته الكلاسيكية عبر العالم ولو أن الظّاهرة الإستعمارية أخذت اشكالا جديدة ، اقتصادية وثقافية .

المبحث الثالث : دوره في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

شهدت الجزائر بروز الحركة الإصلاحية ، نتيجة تحرّك المجتمع بعد الحرب العالمية الأولى ، و إنتشر صيتها بالتوازي مع حركة الشبان بزعامة "الأمير خالد" و قد كان إلتقاء العلماء الذين تكوّنوا في مدارس مختلفة مغاربية ، و شرقية فتحا ،أعطى ميلاد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في مطلع الثلاثينيات[1] ، التي كان ظهورها كتنظيم إصلاحي جامع ووطني ، شكلت محطة هامة لمناقشات المؤرخين ، و تلاميذه الجمعية و معاصريها ، و ما زاد حدّة ، تضارب الروايات لدى المؤسسين أنفسهم ، و تباعدها في نقاط و تقاطعها في أخرى ، و قد توصلنا من خلال رحلة البحث التي شملت أهم الدّراسات و الشهادات المتعلقة بهذه المسالة ، إلى تبيان حقيقة الدّور الذي لعبه "توفيق المدني" و ذلك بتتبّعنا لمراحل التكوين اذ أن فكرة إنشاء تجمع للعلماء تحت سلم من الأسماء ، قد أثيرت بعد الحرب العالمية الأولى و كرّرها "ابن باديس" و"الإبراهيمي" سنة 1924م [2]،حين التقيا فأبلغ "إبن باديس" "الإبراهيمي"بأنّه يريد أن"يؤسس "جمعية الإخاء العلمي" تتكون أساسا من علماء إقليم قسنطينة ، و شرح أغراضها ، و طلب من "الإبراهيمي" صياغة قانون أساسي لها ، فإستجاب لذلك ، ووضع القانون الذيقدّمه " ابن باديس" و لكن التّجربة فشلت، لأن أغلب العلماء كانوا مرتبطين بالوظيف، قليلي الإقبال على عمل الجماعة ، فإقتنع "ابن باديس"

[1]- **Mohamed teguia , l'Algérie en guerre office des publications universitaires , Alger 1988 . pp 34 -36**

[2]– عبد الكريم بوصفصاف : جمعية العلماء المسلمين الجزائريين: المرجع السابق ، ص 93

بوجوب التمهيد لمثل هذه المؤسسة بواسطة صحافة حرة [1] ، و دعت إليها جريدة " الشهاب " سنة 1925 ، من خلال توجيه نداء لعلماء القطر للتفكير في كيفية تأسيس حزب ديني يدافع عن الإسلام و يعمل على إحياء الثقافة العربية [2] .

كما طرح " محمد السعيد الزاهري " ، مشروع تكوين حزب إصلاحي ديني ، سنة 1928 م و خط له قانونه الأساسي لكن لم يتحقق الإجماع على الفكرة و بالتالي لم ير النور [3].

و الواقع أن التفكير في وضع أسس هذه الهيئة ، و إخراجها كان هاجسا شغل العلماء المصلحين سنوات العشرينيات ، و لمّا حلّت سنة 1930م ، و إحتفلت فرنسا بمئويتها في الجزائر و ما رافقها من مظاهر و تصريحات ، فكان بروز الجمعية تلبية لإجماع الأمة ، و بما يشبه الاضطرار ، و في هذا يقول "محمد الطيب العلوي": (فإنشاء جمعية العلماء كان في الوقت المناسب ، و كان ضرورة قصوى تقتضيها الظروف و التحدّيات) [4] .

وجاء في مذكرات الشيخ "محمد خير الدين" ،أن"ابن باديس" هو الذي دعا "محمد عبابسة" لزيارته بقسنطينة ، و طلب منه إختيار جماعة لا تحوم حولها شكوك الحكومة ، أو مخاوف أصحاب الزوايا على أن تتولّى هذه الجماعة توجيه الدّعوة إلى العلماء لتأسيس الجمعية بنادي الترقي بالعاصمة ، فلبّى الطلب و إختار إلى جانبه "عمر إسماعيل" ، و "الشيخ محمد العاصمي" و السيد "احمد توفيق المدني" ، فتشكّلت اللّجنة التحضيرية ، و عن عدم مشاركة ابن باديس في

---

[1]– أحمد حماني : المصدر السابق ، ص ص 237–238 .

[2]–عبد الكريم بوصفصاف : جمعية العلماء و دورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية 1931–1945 المرجع السابق ، ص 77

[3]– احمد بالعجال:الخطاب الإصلاحي عند محمد السعيد الزهري 1900–944 ،مذكرة ماجستير،قسم تاريخ جامعة منتوري،قسنطينة 2006: ص 154

[4]– محمد الطيب العلوي : مظاهر المقاومة الجزائرية من عام 1830 حتى ثورة نوفمبر 1954 ، ط 1 ، دار البعث للطباعة و النشر ، قسنطينة 1985 ، ص 110

اجتماع اليوم الأول ، فذكر بأنها مقصودة ، و أن الرّجل أبلغه سرا رفقة "مبارك الميلي" بهذا الغياب حتى توجّه له الدّعوة رسميا ، فيكون مدعوّا لا داعيا[1].

كما ذكرالشيخ "احمد توفيق المدني" تفاصيل التأسيس بصفته أحد المساهمين و الدّاعين إلى تكوين الجمعية ، حيث قال(أن جماعة من الفضلاء ذوي الإتجاه الإصلاحي العربي الإسلامي كانوا يتردّدون على نادي التّرقي ، لمناقشة الأوضاع التي آلت إليها البلاد ، وخاصة عقب الإحتفالات المئوية المهينة ، وقد عدّدهم في ثلاثة وهم : "محمد العاصمي" و "عمر إسماعيل" و "محمد عبابسة" بالإضافة إلى شخصه ، حيث تناقشوا بإسهاب خلال شهر جويلية 1930، فرأوا وجوب تأسيس هيئة للعلماء توحد جهودهم) [2] ، و يقول أيضا: (..و جاء دور التفكير في إنشاء مثل هذه الحركة ، و إخراجها من طور الفكرة إلى طور التنفيذ ، وتداولنا نحن الأربعة في الأمر و أخيرا هدانا التفكير إلى وجوب جمع علماء المسلمين في الأرض الجزائرية ، أو على الأقل جمع ما يلبي النداء منهم ، و تأسيس جمعية إسلامية عالية ...قال العاصمي : و كان له فضل السبق في هذا المجال ، لندعها إذن جمعية علماء المسلمين الجزائريين ، فتفاءلنا خيرا بالاسم) [3] .

و عن الخطوات العملية لتجسيد الفكرة، ذكر أن "عمر إسماعيل" و كان أحد الأغنياء بادر إلى عرض جائزة مالية قدرها 1000 فرنك، لمن يتوصل إلى إنجاز هذا المشروع ، ومن ثمة كتب "محمد العاصمي"، بإيعاز من "أاحمد توفيق المدني" لمجلة الشهاب مبشّرا بالموضوع[4]. كما كتب احد المعاصرين في هذا الإطار أن "عمر إسماعيل"إجتمع "بابن باديس" بعد ذلك و التزم بدفع 1000 فرنك لمن يوفّق من العلماء في تأسيس جمعية تحت إسم "جمعية العلماء" و قد نشرت

[1]– محمد خير الدين : مذكرات ج 1 المؤسسة الوطنية للكتاب بلا تاريخ ص 105

[2]– عبد الكريم وبصفصاف جمعية العلماء و علاقتها بالحركات الجزائرية لاخرى 1931–1945 المرجع السابق ، ص 100

[3]–احمد توفيق المدني: حياة كفاح ج 2 ، المصدر السابق ، ص ص 172–175

[4]– نفسه ص 175

"الشهاب" النّداء في 05 فبراير 1931م[1] ، و لقيت المبادرة استحسانا كبيرا ، فتهاطلت على إدارة الشهاب مئات الرسائل من علماء و طلبة ، من مختلف القطر مشجعة الفكرة [2].

و كان المدني من الدّاعين إلى أن تكون الهيئة الجديدة لكل المذاهب و الإتجاهات الإصلاحية و الطرقية ، حتى تمثل وحدة وطنية صميمة[3] . و عليه فقد تشكلت لجنة تحضيرية بنادي الترقي ، تولّت أمر الإعداد للإجتماع التأسيسي و يذكر "حمزة بوكوشة" أحد المعاصرين و المساهمين في ميدان الجمعية بخصوص هذه النقطة [4]: (تأسست سنة 1931م لجنة تحضيرية بنادي الترقي متألفة من أربعة فضلاء الجزائر ، جعلوا على رأسها السيد "عمر إسماعيل" و قد قام السيد "عبابسة الأخضري" رحمه الله ، و كان من الهيئة بالتنقل بين الجزائر و قسنطينة ، و بسكرة لهذا الشأن ، ثم أعلنت اللّجنة عن يوم الإجتماع للتأسيس و مكانه ، فبعثت الدّعوة إلى الذين توصلت إلى عناوينهم من علماء القطر و طلبته و عددهم 120 ، و كانت رسائل الدعوة قد كتبها الأستاذ "احمد توفيق المدني" و أمضاها السيد "عمر إسماعيل" فأجاب منهم الدعوة 80 ، وما كان صباح اليوم الثلاثاء الموافق لـ 05 مايو 1931 م حتى إجتمع بنادي الترقي بعاصمة الجزائر 72 من علماء القطر ، لتحقيق فكرة تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين) .

و جرى هذا الاجتماع ، في شكل جمعية عامة لبحث القانون الأساسي للجمعية ، و تمّ تعيين "أبي يعلى الزواوي" للرئاسة المؤقتة ، و للكتابة العامة الأستاذ "الأمين العمودي" فتلى على الحاضرين القانون الأساسي الذي حرّره الأستاذ "أحمد توفيق المدني" ، و بعث به مع رسائل الدعوة فأقرّته الجمعية بالإجماع و ترجمه إلى اللغة الفرنسية"الأمين العمودي" الذي عيّن أمينا عاما، وتمّ إنتخاب الهيئة الإدارية عن طريق اللّجوء إلى التّعيين (الاقتراح) ، فعرضت أسماء ثلاثة عشر

---

[1]–عبد الرحمان بن ابراهيم بن العقون : الكفاح القومي و السياسي من خلال مذكرات معاصر ، ج 1 ، المصدر السابق ، ص 174

[2]– احمد توفيق المدني: حياة كفاح ج 2 ، المصدر السابق ، ص ص 175

[3]– نفس المكان

[4]– البصائر العدد 713 ، 06 ماي 1955 .

عضوا ، جرى إعتمادهم من قبل الحاضرين بالإجماع ، وهي طريقة ذكيّة مكّنت من فوز العلماء المصلحين المجدّدين و أنتخب "عبد الحميد بن باديس" رئيسا غيابيا حيث لم يحضر الإجتماع في اليوم الأول و حضره فيما بعد[1] .

بهذا فقد كان للشيخ "احمد توفيق المدني" مساهمات فعّالة في تأسيس الجمعية كما سبق ذكره ، و هو مايؤكده أيضا "حمزة بوكوشة" في مقالين منفصلين نشـرهما بمجلتي "المعرفة" و"حضارة الإسلام" خلال سنة 1964 م[2] ،كما يرى الدكتور " أبو القاسم سعد الله " بأنه ليس غريبا أن يكون "المدني" و راء إحتضان فكرة التأسيس ، فهذه الفكرة تتماشى مع تكوينه ، و الأفكار التي ينادي بها ، فالرّجل كانت علاقاته قويّة بالروّاد ، فهو على صلات "بابن باديس" و "الابراهيمي" وكان يترجم "لمبارك الميلي"[3] ، و كان "توفيق المدني" قد أشار في مقال له بجريدة البصائر سنة 1948م إلى مشاركته في تأسيس جمعية العلماء و لم توجّه إليه أية انتقادات حينها ، لكون معاصريه من رجال الجمعية كانوا على دراية بذلك [4] .

ما نخلص إليه في مسألة التأسيس أن دور " أحمد توفيق المدني" كان رائدا ، وذلك كونه أحد أعضاء اللّجنة التحضيرية (اللّجنة الرّباعية) ، التي تدعى اللّجنة التأسيسيةوهو الذي حرّر

---

[1]– عبد الكريم وبصفصاف جمعية العلماء و علاقتها بالحركات الجزائرية لاخرى 1931–1945 المرجع السابق ، ص ص 101 103–

3 – حمزة بوكوشة " الامام عبد الحميد بن باديس في ذكراه ، مجلة المعرفة ، العدد 10 ، الجزائر : افريل 1964 ، ص 315 انظر ايضا موقع :www.chihab.net /module .php؟ §sid=872 §file =article =new name

[3]– ابو القاسم سعد الله : أبو القاسم سعد الله : دروس التحضير لشهادة الماجستير ،السنة الجامعية 2012/2011، قسم التاريخ، جامعة بوزريعة 2.

[4]– المدني : "مبارك الميلي مؤرخ الجزائر " البصائر " العدد 26 الجزائر 08 مارس 1948 ، ص 04

قانونها الأساسي الأول الذي ترجمه " الأمين العمودي"[1] إلى اللّغة الفرنسية ، أرسله مع رسائل الدّعوة ، وقدّمه المجلس بالإجماع.

غير أن الغريب أن العديد من الدّراسات التي تناولت الحركة الإصلاحية ، وظهور جمعية العلماء ، قد تجاهلت الدّور الكبير الذي لعبه " توفيق المدني" في التأسيس ، أو تعمّدت القفز عليه لدوافع لا علاقة لها بالموضوعية في الكتابة التاريخية ، وكأثر من ذاك تعرّض " الشيخ المدني" الى حملة إنتقاد و تجريح ، وردت في كتاب "محمد الطاهر فضلاء " بعنوان "التحريف والتزييف في كتاب حياة كفاح " حيث إدعى مؤلّفه أن "احمد توفيق المدني" لم يشارك لا في التأسيس ، و لا في التحضير و لم يكن بالنسبة للجمعية لا في العير ، و لا في النفير ، وهو ما يظهر في ردّ"المدني" بخصوص هذه النقطة مدعّما بالحجج و الشهادات ، خاصة شهادة "حمزة بوكوشة " في مقاله بالعدد 317 من "البصائر" عندما كان مراقبا عاما لجمعية العلماء حيث ذكر "المدني" ذلك قائلا : (فالذين جاءوا بعد ذلك –أي بعد نشر المقال سنة 1955م – بنيف و أربعين سنة ، شنّوا عليّ غارة شعواء ، وإدعوا أنّني لم أكنبالنسبة للجمعية لا في العير، و لا في النّفير، لا يكذّبونني انا فقط،بل يكذبون نفس الجمعية العلماء في مقالها الآنف الذكر ، و المنشور بقلم مراقبها العام في صحيفتها الرّسمية "البصائر"، أيام كان رجال الجمعية أحياء يرزقون ، يعملون و يجاهدون ، ما عادا الشيخين الجليلين "عبد الحميد بن باديس" و"مبارك الميلي" ، إذ التحقا بالرفيق الاعلى)[2]

كما أورد الشيخ "احمد توفيق المدني" مجموعة أخرى من الأدلّة تؤكّد مساهمته في الجمعية ومن ذلك أن القانون الأساسي المودع لدى الولاية العامة ممضي بخط يده بإسم"ابن باديس" الذي لم

---

[1] (*)-الأمين العمودي : محامي و صحفي و أديب جزائري ، ولد سنة 1980 بواد سوف بالجنوب الجزائري درس بقسنطينة ، شارك في الحياة السياسية و اختير امينا عاما لجمعية العلماء عند تشكيلها سنة 1931 ، لاجادته اللغتين العربية و الفرنسية ، خرج من عضويتها في العام 1935 م ، انشا جريدة باللغة الفرنسية عنوانها الدفاع كان المترجم الخاص لعبد الحميد بن باديس . شارك في المؤتمر الاسلامي سنة 1936 ، كان مناصرا للمراة و قال فيها العديد من القصائد ، اغتالته منظمة اليد الحمراء الفرنسية عام 1957 .

[2] - حمزة بوكوشة " البصائر العدد 317 ،

يحضر عند إيداع القانون ، بالإضافة إلى قائمة أعضاء المجلس الإداري للجمعية و أعضاء لجنة العمل ممضاة هي الأخرى بخط يده باسم "ابن باديس، واذ لم يكن المدني ضمن الهيئة الإدارية المنبثقة ، فقد فسّر ذلك على أنه كان مقصودا لتجنّب رد فعل الإدارة الاستعمارية الفرنسية باعتباره احد أعضاء اللجنة التنفيذية للحزب الدستوري،وحتى لا تعتبر الجمعية امتدادا لذلك التّيار، و يعلّق المدني على ميلاد الجمعية بالقول:(و هكذا نشأت و الحكومة مدهوشة لا تدري ماذا تصنع ، ولا تعرف بماذا تقابل جمعية العلماء ، فكانت النور ، وكانت النار، و كانت العمل وتحقيق للأمل)[1] .

و كان إبن باديس يرى في "المدني" الموهبة و الكّاء و قوّة الخطابة و أنه صاحب نظرة سياسية ثاقبة ، حتّى قال عنه أنه خلق من أجل النشاط ، و هذا أحسن إعتراف، و ظلّ الشيخ "احمد توفيق المدني" مشاركا في نشاطها ، مدافعا عن توجهاتها ، دون أن يكون رسميا في عضويتها ، وهذه المسالة جعلت البعض يوجه انتقاداته للرّجل ، معتبرين ذلك الأمر تخاذلا منه، و أنه حريصا على رضا الجميع ، فلم ينضم رسميالإ في الزّمن الأخير ، بعد أن هدأت الزوابع [2] .

وقد إختار الحذر، نظرا لوضعيته السياسية باعتباره كان منفيا و مراقبا من السلطات الاستعمارية ، و لعلاقته بحركته الأصلية (الحزب الدّستوري)، لكن إقتناعه بمبادئ الجمعية كان مبكّراولا شكّ فيه .

ويدخل "توفيق المدني" رسميّا في عضويّة الجمعية ، خلال المؤتمر الذي عقد بالعاصمة بقاعة سينما " دنيا زاد " في شهر أكتوبر سنة 1951 م، فعيّن في الهيئة الإدارية بناءا على رغبة شباب جمعية العلماء للاستفادة من كفاءته ، وهو موقف ناتج عن تقدير"المدني" واحترامهو حرصهم على تقوية الجمعية برجال ذوي كفاءة فكرية [3] ، و بانضمامه الرسمي فقد سدّ فراغا كبيرا خاصة و أن التنظيم الاصلاحي كان قد خسر من صفوفه شخصيات بارزة "كالطيب العقبي" و

---

[1]–احمد توفيق المدني: حياة كفاح ج 2 ، المصدر السابق ، ص ص 180–181

[2]– محمد الطاهر فضلاء : المصدر السابق ص 283

[3]– عمر بن قينة اتجاهات الرحالين الجزائريين في الرحلة العربية الحديثة ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1995 ص 355

"الامين العمودي" و "محمد السعيد الزاهري" ،كما وصل إلى علم قيادة جمعية العلماء أن حركة الانتصار للحريات الديمقراطية تحوم حول جذب "توفيق المدني" إلى صفوفها ، و حسب الاستاذ "محمد الصالح رمضان" فان انضمام "المدني" كان باقتراح منه ، و من الشيخين "محمد الغسيري" و "محمد مرحوم".

و الراجح أن الشيخ "البشير الإبراهيمي" كان وراء الانضمام ، حيث تصدّى لبعض الاصوات المعارضة قائلا: (أعطوني أحدا في مستوى "توفيق المدني" قلم سيّال ، و ثقافة واسعة و علاقات عامة ممتازة)، و هو ما أكدّه المدني في ردّه على منتقديه ، موضحا أن الشيخ "العربي التبسي" ، وقف إلى جانبه أيضا عكس ما إدعاه البعض ، حيث قال: (وقد كان رحمه الله أي "العربي التبسي" مع شيخنا الجليل "محمد البشير الإبراهيمي" ، ممن انتدبوني لتولي منصب الأمانة للجمعية العظيمة سنة 1951م ، و ألحّ عليّ في ذلك إلحاحا كبيرا) [1] .

ومهما يكن فإن استفادة جمعية العلماء ، كانت كبيرة ، فقد أعطاها دخول " المدني " دفعة قوية بحيويته و مبادر اته ، و قد مثّل اتجاهها المعتدل ، و كان متفتّحا و حضريا ، بحيث يقبل الر أي الآخر ، ولا يرضى بالتنازل عن المبادئ.

وقد مثّل الشيخ "أحمد توفيق المدني" الجمعية ، في العديد من النشاطات في إتجاهات مختلفة ، بصفته الأمين العام للجمعية ، و من ذلك مشاركته في الإحتفال بالذكرى السابعة لتأسيس جامعة الدول العربية (عيد العروبة) بتونس سنة 1952 م، حيث ألقى خطابا حماسيا دار حول الكفاح و التحرر [2] ، و أحدث خطابه تفاعلا كبيرا من لدن الحاضرين ، و كان من بينهم الاستاذ

---

[1]– ابو القاسم سعد الله : أبو القاسم سعد الله : دروس التحضير لشهادة الماجستير ،السنة الجامعية 2012/2011، قسم التاريخ، جامعة بوزريعة 2.

[2]– احمد توفيق المدني: حياة كفاح ج 2 ، المصدر السابق ، ص ص 406

"عبد الرحمان شيبان" أحد قدماء الزيتونيين ، و هو ما أدى بالإدارة الاستعمارية الفرنسية إلى إصدار قرار بإبعاده من جديد [1].

و بمناسبة نفي الملك المغربي "محمد الخامس" ، في 20 أوت 1952 م كتب رسالة إحتجاج إلى السلطات الفرنسية مما جاء فيها :[2] (جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ترفع باسم مسلمي القطر الجزائري ، الإحتجاج الصارخ العنيف على خلع جلالة السلطان محمد بن يوسف بصفة غير شرعية ، إثر مؤامرة دبّرها الاستعماريون ... و تعلن أن وجهة النظر الدينية تعتبر هذا لغوا ، و منافيا لأحكام الإسلام .... و تسجّل جمعية العلماء بغاية الأسى لأ الهوّة السحيقة بين فرنسا و الإسلام تزداد كل يوم إتساعا و عمقا لغلطات الحكومة الفرنسية المتوالية، و بعدها عن فهم الحقائق)، وبعد عودة الملك في شهر نوفمبر 1955 م قام "توفيق المدني" برحلة رفقة قيادة الجمعية إلى المغرب لتهنئة الشعب المغربي والملك "محمد الخامس" بالعودة ، و إعلان التضامن و ضمّ الوفد إلى جانبه الشيوخ "العربي التبسي" و "محمد خير الدين" و "عبد اللطيف سلطاني"[3] و قد تمّ بإستقباله بحفاوة كبيرة ، و كان أوّل وفد يقابله الملك شخصيا لجمعية العلماء[4] .

وفي الدّاخل ، فقد باشر "المدني" مهامه، إلى جانب الشيوخ "العربي التبسي" نائب رئيس الجمعية "محمد خير الدين [5] النائب الثاني، و بإشراف رئيس الجمعية الشيخ البشير الإبراهيمي

---

[1]– احمد توفيق المدني: حياة كفاح ج 2 ، المصدر السابق ، ص ص 406

[2]– احمد توفيق المدني: حياة كفاح ج 2 ، المصدر السابق ، ص ص 406

[3]– البصائر " جمعية العلماء الجزائريين شكر و ولاء و تقدير " العدد 343 ، 02 ديسمبر 1955 ص 01

[4]– عمر بن قينة : اتجاهات الرحالين الجزائريين في الرحلة العربية الحديثة ، المرجع السابق ، ص 193

[5] - محمد خير الدين ، مصلح و علامة جزائري ، ولد ببلدة فرفارة ببسكرة عام 1902 ، درس بقسنطينة و بجامع الزيتونة بتونس و تخرج فيه سنة 1925 شارك في تاسيس جمعية العلماء المسلمين و تولى منصب المراقب العام ، ثم اصبح نائبا ثانيا لرئيس الجمعية بعد وفاة ابن باديس اشتغل طويلا في التربية و التعليم ، و عند اندلاع الثورة التحريرية عين ممثلا لجبهة التحرير الوطن بالمغرب و عضوا بالمجلس الوطني للثورة الجزائرية ، و بعد الاستقلال عين نائبا في اول برلمان جزائري اختلف مع القيادة السياسة في البلاد ، توفي سنة 1993 ، من اثاره ، مذكراته في جزئين .

المتواجد بالقاهرة في تلك الآونة ، إذ قام بزيارات لمختلف مناطق البلاد لتفقّد أحوال المدارس و التّقرب من الطبقات الشعبية، والمساهمة بالخطب في توعية و إيقاظ الأمة [1].

و اعترافا بقيمته و دوره في حركة النهضة الوطنية، و بعث و إحياء الأمة، نظّمت له إدارة جمعية العلماء حفل تكريم بمناسبة مرور ثلاثين سنة على نضالة بالجزائر ، و ذلك خلال شهر جويلية 1955 م .

و في سبيل أداء رسالتها الإصلاحية ، فقد عانت جمعية العلماء الكثير من المشاكل والمصاعب ،فبعد وفاة الإمام " الحميد بن باديس" عام 1940م، ظهرت أولى الأزمات المتعلقة بالخلافة ، لتشتّد خاصة بعد وفاة الشيخ "مبارك الميلي" و غياب الرئيس "البشير الابراهيمي" عن الجزائر منذ سنة 1952 م، و وسط هذه الأجواء و الظروف جاء ،نعقاد المجلس الإداري في أواخر شهر سبتمبر سنة 1954م و هي ظروف شبيهة بما أصاب حزب حركة الانتصار للحريات الديمقراطية ، كما يرى "أبو القاسم سعد الله" (أن الجمعية كانت خفيّة ، و لم تصل إلى درجة الإنقسام العلني و أنّه لولا إندلاع الثورة لحدث لها ما حدث لحركة الانتصار) [2]؛ و عقد الإجتماع برعاية النائب الثاني الشيخ "محمد خير الدين" و الأمين العام "أحمد توفيق المدني" و بحضور سبعة عشر (17) عضوا ، من أصل سبعة و عشرين (27) عضوا ، بحيث عرض "المدني" تقريرا مفصّلا عن حالة الجمعية من ناحيتها الأدبية ، و استعرض انجازاتها ، و أفاقها للسنة القادمة وقد إقترح لتحديث هياكل الجمعية ، أن يشكّل المجلس لجانا ، تبحث كل واحدة جانبا معيّنا ولقي اقتراحه القبول ، فتمّ إنتخاب عدّة لجان،و عيّن الشيخ "أحمد توفيق المدني" على رأس لجنة الطبع و النشر ، التي تتمثل مهامها في إدارة صحف الجمعية ، و طبع نشرياتها ، و كان الى جانبه الشيوخ "احمد سحنون" و "باعزيز بن عمر" و "حمزة بوكوشة " [3].

---

[1]– احمد توفيق المدني: حياة كفاح ج 2 ، المصدر السابق ، ص ص 408 .

[2]– ابو القاسم سعد : ابحاث و اراء في تاريخ الجزائر ، ج 2 المرجع السابق ص ص 65–66

[3]–نفسه ص 71

كما تقرّ رفي الاجتماع أيضا إعداد قانون أساسي جديد للجمعية ، يتماشى مع إتساع حركة الجمعية ، و تعدّد ميادين نشاطها ، وكلّف بذلك الشيوخ"محمد البشيرالإبراهيمي"،" محمد خير الدين" و"الفضيل الورتلاني" و"أحمد توفيق المدني"[1].

وفي ظل هذه الظروف التي كانت تعيشها الجمعية إندلعت ثورة أول نوفمبر فكان الشيخ "توفيق المدني" الى جانب رفاقه في الجمعية ، في طليعة المساندين – رغم تحفّظات البعض على موقفهم –فحولّ صحيفة الجمعية الرّسمية (البصائر) إلى منبر لصالح القضية الجزائرية إلى أن إلتحق بالقاهرة ممثلا لجبهة التحرير الوطني ، و حل جمعية العلماء سنة 1956 م .

المبحث الرابع : مواقفــه من بعض القضايا الوطنية.

أولا – موقفه من قضية التجنيس : الواقع أن فكرة تجنيس الجزائريين ليست وليدة العشرينيات أو الثلاثينيات من القرن العشرين ، و إنما ترجع الى العهود الأولى للإحتلال، حيث أعطت لها صبغة قانونية بصدور قانون سناتوس كونسليت (senatus consulte) في 14 جويلية 1865 م و الذي نصّ على أن الجزائريين رعايا فرنسيون يحتفظون بقانون الأحوال الشخصية الإسلامية يمكن استدعائهم للوظائف الإدارية ، و بناء على طلباتهم ، يمكنهم كذلك الحصول على الجنسية الفرنسية ، و لكن بشرط التّخلي عن أحوالهم الشخصية الإسلامية ، وفي هذه الحالة سوف يتمتعون بكامل الحقوق السياسية التي يتمتع بها الفرنسيون ، و هذا القانون كان خطيرا و أقلق المعنيين بالتّجنس، رغم أن الطلبات كانت ضعيفة بحيث شهدت الفترة 1865–1916م ، تقديم 2207 طلب رفض منها 482 طلبا [2].

[1]– ابو القاسم سعد : ابحاث و اراء في تاريخ الجزائر ، ج 2 المرجع السابق ص ص 79–84 .

[2]– المرجع نفسه ص ص 74–75

ولذا فمسألة تجنيس الجزائريين المسلمين ، لقيت ضجّة كبرى في أوساط النخبة الجزائرية و العلماء المسلمين الجزائريين و حتى في أوساط المحتلين الذين رفضوا أن يكون الإنسان الجزائري المسلم فرنسيا. [1]

و بعد نهاية الحرب العالمية الأولى، وصدور أحكام قانون 04 فيفري 1919 م ، مما شجّع عددا كبيرا من الجزائريين على طلب المواطنة (الجنسية) الفرنسية ، لذلك تضاعفت حركة التجنس ، و تسارعت بعد سنة 1930 م ، مقارنة بالسنوات السابقة ، و يعود ذلك إلى تأثيرات الإحتفالات المئوية الفرنسية و أن هذه المسالة أخذت انتباه العلماء الإصلاحيين فتحرّكت صحافتهم لتحذير الرأي العام من تفاقم الظاهرة [2] ، و كان "احمد توفيق المدني" من الأوائل الذين حاربوا فكرة التجنس ، فقد كتب ضدّها في الصحف العربية منذ أن كان بتونس حوالي سنة 1920 م ، و ندّد بهذا المشروع ، الذي قدّر أنه سيقضي على التوازن الإجتماعي بالهيئة التونسية [3] ، و الذي أوضح بطريقة حاسمة ، و بصراحة تامة مدى الخطر الملحق ، الذي ينتظر الأمة من وراء مشروع التجنيس [4] .

ومن أبرزمواقف المدني المعادية للتجنيس ما ورد في مقالا في جريدة "الإصلاح" ممضيا باسمه المستعار "المنصو" ، يعتبر من أشمل و أدق ما كتبه عن خطر التجنس بالبلاد ، حسبما ذهب إليه الدكتور "محمد ناصر" [5] ، و قد أعطاه عنوانا مثيرا : "بين الموت و الحياة" ، و الذي اعتبره الكاتب "علي مراد" بمثابة نداء إستغاثة [6].

---

[1]– عز الدين معزة : فرحات عباس و دوره في الحركة الوطنية و مرحلة الاستقلال 1899–1985 ، مذكرة ماسجتير ، قسم التاريخ ، جامعة منتوري قسنطينة 2004 ، ص 72

[2]- **ALI MERAD m OP – CIT , p 406**

[3]– انور الجندي الفكر و الثقافة المعاصرة في شمال افريقيا ، الدار القومية للطباعة و النشر ، القاهرة : 1965 ، ص 79

[4]–محمد ناصر : الصحف العربية الجزائرية من 1847 الى 1939 ، المرجع السابق ، ص 9

[5]– محمد ناصر : المقالة الصحفية الجزائرية نشاتها و تطورها و اعلامها ، م 1 المرجع السابق ، ص 375

[6]- **ALI MERAD m OP – CIT , p 406**

و مما جاء فيه قوله :[1] (الخطر محدق بنا ...إنه لخطر الإضمحلال .. إننا الآن في منعطف صعب من تاريخ حياتنا القومية ... و هل يمكن لشعب الجزائر العربي المسلم ، ان يصبح شعبا فرنسيا خالصا في آدابه و لغته و تقاليده و عوائده ، و يتخلّص و لو في عدة قرون من دمه الخالص ... و كل مميزاته و وراثته ؟ إن ذلك هو عين المستحيل ... فسياسة التجنس و الاندماج قد أخفقت تماما ، و أفلست كل الإفلاس ، و هكذا كل أمر مخالف لسنن الطبيعة و قوانين الإجتماع) ،و أعطى "المدني" الجزائريين طريق الخلاص من مؤامرة التجنيس قائلا [2] : (فالطريقة التي أرى فيها أن الجزائر الفتيّة المسلمة يجب أن تسير عليها ، هي طريقة المحافظة على الذاتية الدينية ، و العربية ... و هذه المحافظة هي البرنامج الوحيد الذي يجب أن يكون برنامج الجزائر بأسرها في حاضرها ، و مستقبلها) ، "فالمدني"في هذا المقال ، يصوّر الأمة الجزائرية واقفة في حيرة ، و هي في منعطف خطير يتجاذبها المصلحون الذين يريدون لها المحافظة على الذّاتية الإسلامية ، و المتجنّسون الذين يريدون لها الانحلال و الذوبان في العنصر الغالب ، و هي من بين هؤلاء و هؤلاء تتعلق متلهفة بروح الحياة ، و تغالب سكرات الموت [3] .

كما يري "المدني" في فشل مشروع التجنيس ، ما أورده في مؤلفه الشهير "كتاب الجزائر" حين قال [4] : (فالذين يرون عن قصر نظر ، و قلة بحث ، و عدم دراسة للوسط الجزائري أنه يمكن أن يجعل هذا الشعب المسلم القومي الصلب ، شعبا فرنسيا بحتا مع طول الزمن ، في عوائده و أخلاقه و نظمه ، و تقاليده ، إنما هم قوم يعلّلون النفس برؤية البدر ساطعا في رائعة النهار)

---

[1]– المنصور : " بين الموت و الجياة " جريدة الاصلاح العدد 13 ، 27 فيفري 1930

– انظر ايضا : احمد توفيق المدني ، حياة كفاح ، ج ، ص ص 161 – 164

[2]– نفس المكان

[3]– محمد ناصر : المقالة الصحفية الجزائرية نشاتها و تطورها و اعلامها ، م 1 المرجع السابق ، ص ص 375 –376

[4]- **FADHILA YAHIAOUI : OP – CIT ,P57**

كما كتب ايضا [1] : (لم تر في التاريخ العالمي أمة من الأمم ، وقع عليها الإحتلال فاندمجت بكليّتها ذاتا و أخلاقا ، و لغة و نظاما في المحتل ، و أصبحت و إياه جزءا واحدا ، ذلك مخالف لنواميس الطبيعة ، و لسنن الله في كونه ، و لن تجد لسنة الله تبديلا ....فالجزائر ستبقى رغم كل شيء ، جزائر عربية مسلمة ، لن تترقى و لن تتقدم و لن تنهض من كبوتها ، إلا عن طريق الجزائر و العروبة و الإسلام) ، و في خطوة جريئة دعا المدني إلى رفض الفكرة ، موجها تحذيرا من الاستجابة لدعاة التجنس قائلا :[2] (.....وإياك ثم إياك أن تغترّ بمن يحاول أن يزيّن لك تلك الخرقاء الباطلة ، فكرة نبذ القومية ،و التجرّد عن كل صفاتك الجزائرية الإسلامية) .

كما ان "احمد توفيق المدني" لم ينّ حكمه على رأي الدّين في المسألة ، و إنما أبرز خطر التجنس على مستقبل الشخصية الذاتية للمسلمين ، فدعّم رأيه بأفكار إجتماعية و شواهد تاريخية [3]. و إن هذا الطّرح قد كان فيه تحدّ كبير للمشروع الإستعماري ، و شكّل ضربة للفرنسيين ، و إنتكاسه لمخططاتهم في غمرة احتفالاتهم بمئوية إحتلال الجزائر .

و من مواقف رفض"المدني" للتجنس وردا على مناصري الفكرة ، أطلق خلال شهر فيفري 1930م اسم "إسلام" على أول مولود رزق به و خاطب جمعا من المثقفين قائلا :[4] (يا جماعة بالأمس ولد لزعيم المتجنسين و لد دعاه كريستيان (CHRISTIEN) أي المسيحي ، و أبشركم بأنني رزقت ليلا بولد دعوته "إسلام"، ففي هذين الإسمين منهاج سياستين كسياسة التجنيس و سياسة العروبة و الوطنية و الإسلام)

ثانيا – موقفـه من الإحتفـلات المئويـة : بعد مرور قرن على إحتلال الجزائرعام 1930م ، قامت فرنسا بإحياء الذكرى المائة تخليدا للإجرام وإغتصاب حرية الشعب الجزائري بإقامة إحتفالات

---

[1]– احمد توفيق المدني : كتاب الجزائر ، المصدر السابق ص 329

[2]– ا نفسه ، ص 374

[3]– محمد ناصر : المقالة الصحفية الجزائرية نشاتها و تطورها و اعلامها ، م 1 المرجع السابق ، ص 379

[4]– احمد توفيق المدني: حياة كفاح ج 2 ، المصدر السابق ، ص 168

عارمة كبيرة ،وهو ما يعتبر حربا نفسية و تحدّيا سافرا لمشاعر الجزائريين ، فبما تميّزت هذه الإحتفالية ؟ وما موقف "المدني" منها ؟

يقول عنها، الدّكتور "عبد الكريم بوصفصاف"[1] : (أرادت فرنسا الإستعمارية أن تختبر قوّتها في الجزائر بعد مضيّ قرن من الزّمن على إحتلالها لإحدى زوايا المغرب العربي ، متجاهلة بذلك الوطنية الجزائرية ، و قدرة الجزائريين على ردّ الفعل) .

وتعود التحضيرات لهذا الإحتفال ، إلى عام 1927 م ، و هذا بغرض الإعداد الجيّد لهذه الإحتفائية المئويّة التي قضت على الدّولة الجزائرية ، التي كان وجودها مصدر إحراج لأوروبا خلال ثلاثة قرون[2] ، ولإعطاء صورة عن إنجازات فرنسا بالجزائر ، تم طبع سلسلة من الأعمال (مجموعة إحتفال المئوي) ،قامت بها أكادمية الجزائر تضمّنت بحوثا تاريخية لمختلف العصور التاريخية للجزائر[3] .

وقد إنطلقت الإحتفالات في شهر جانفي 1930م ، دامت أكثر من ستة أشهر ، حيث إنتهت في الخامس جويلية ، و هو تاريخ إستسلام حكومة "الداي حسين" ، و قد أشرف على هذه التظاهرات الحاكم العام "بيير بورد" الذي كان مترفا و حقودا على الجزائريين المسلمين و فخورا بالأعمال الإجرامية للمحتلين [4]، والتي خصّصت لها ميزانية ضخمة ، وصلت حوالي مليون فرنك[5] بحيث نشرت الصحافة الفرنسية أكثر من 14000إعلان إشهاري ، ووزّعت المكتبات الفرنسية

---

[1]– عبد الكريم وبصفصاف جمعية العلماء و علاقتها بالحركات الجزائرية لاخرى 1931–1945 المرجع السابق ، ص 85

[2]– ابو القاسم سعد الله الحركة الوطنية الجزائرية 1900–1930 ج 2 ، المرجع السابق ، ص 324

[3]– ميسوم بلقاسم : المرجع السابق ، ص 32

[4]– يحي بوعزيز : الاتجاه اليميني في الحركة الوطنية الجزائرية من خلال نصوصه (1912–1948) ، ديوان المطبوعات الجامعية ، 1987 ، ص 49

[5]– احمد توفيق المدني : كتاب الجزائر المصدر السابق ، ص 69

و المدارس 1200.000 كتيّب إشهاري لهذه الإحتفالات ، وخصّصت للدّعاية و حدها مبالغ كبيرة قدّرت بـ :61 مليون فرنك، وزار الجزائر 80.000 فرنسي ، منهم 306 برلماني[1] .

كما إشتملت الإحتفالات برنامج متنوع توزّع بين المعارض ، و الإستعراضات ، و المحاضرات و الألعاب ، و الأفلام السينمائية ، و تولّت وكالة الأنباء الفرنسية "هافاس" HAVAS إذاعة 532 بيانا إشهاريا لهذه الاحتفالات .

ولهذا فقد إعتبرت هذه الإحتفالات ، وما حملته من تصريحات ، وخطب مهينة للجزائريين في عقيدتهم و مهدّدة لشخصيتهم القومية ، حافزا للنّخبة خاصّة الإصلاحيين، للقيام بتحرك مضاد و أبرزهم الشيخ "أحمد توفيق المدني"الذي ر أى أن إحتفال الفرنسيين بمرور قرن على إحتلالهم أرض الجزائر قد قدّم القضية الجزائرية عشرين سنة على الأقل[2]بحيث كان موقفه واضحا وصريحا ضدّ إدّعاءات فرنسا بنشر الحضارة والتّمدن في الجزائر ، فكتب في جريدة "الإصلاح"و"الشهاب" مقال مؤثر جدّا جعل له عنوان "بين الموت و الحياة" منذرا بالخطر المحدق بالجزائريين ، قائلا :[3]

(على من تريدون أن تعتمدوا لحفظ دينكم ولغتكم أتعتمدون على الحكومة ؟ أن الحكومة قد عاشت اليوم معكم مائة عام فماذا كانت نتيجة جهودها لتعليمكم الإسلام و العربية) .

و يصف "المدني" شعوره أثناء الإحتفالات المهنية بالقول[4] (كنت أضطرم نارا ، كنت ألهب حماس القوم ، الذّين يكتفون بمقابلة ذلك بدموع سخيّة) ، كما قابل هذا التّحدي الإستعماري بالقيام بمساع و تحركات ، تكلّلت بإنشاء جمعية العلماء المسلمين سنة 1931م، وطرق بقوّة الباب التأليف لتأكيد هوّية الشعب من أقدم العصور إلى العام 1930 م، فظهر الكتاب الشهير : "كتاب الجزائر"

---

[1]– عز الدين معزة : المرجع السابق ص ص 85–86

[2]– احمد توفيق المدني هذه هي الجزائر ، المصدر السابق ص 166

[3]– نفسه ص 165 .

[4]– احمد توفيق المدني هذه هي الجزائر ، المصدر السابق ص 166

كما عزم على تأليف كتاب آخر ينفى عن الجزائر وصمة اللّصوصية ، والنّهب و الظّلم فكان "محمد عثمان باشا"، عام 1937 م[1] .

وإذا كانت فرنسا تري في تلك الإحتفالات المئوية ، تعبيرا عن عظمة الإستعمار و قوّته في الجزائر فإنها صارت وباءا على أصحابها ، حيث أضحت نقطة إنطلاق جديدة للحركة الوطنية الجزائرية [2].

ثالثا – موقفه من الطرق الصوفية : لقد إرتبطت الطرق الصوفية في المغرب العربي بالزوايا والمرابطين ، حيث بلغ عدد الزّوايا في الجزائر 349 زاوية ، إحتلّت مكانة مرموقة في الحياة الثّقافية و السياسية الوطنية حيثكانت مصدر للعلم ، والهداية والصلاح ومنبعا لليقظة و النّهضة و منبتا لثورات العديدة في الجزائر و هذا في مرحلتها الأولى[3]، وهو ما ذهب إليه "أحمد توفيق المدني" في قوله[4] : (لا تزال للطرق الصوفية بقطر الجزائر خطوة كبرى ، و نفوذ عظيم كما هو الشأن في بلاد المشرق ، لبعض الطرق الصوفية بقطرنا هذا، مزيّة تاريخية لا يستطيع أن ينكرها حتى المكابر هي أنّها إستطاعت أن تحفظ الإسلام بهذه البلاد في عصور الجهل و الظّلمات،عمل رجالها الكاملون الأولّون على تأسيس الزوايا و الرّباطات ،يرجعون فيها الضّالين إلى سواء السبيل يقومون بتعليم الناشئة و بثّالعلم في صدور الرّجال).

و يضيف مبرزا و مثمّنا الدّور الذّي قامت به[5] (و لو لا تلك الجهود العظيمة ،التي بذلوها و التي نقف أمامها موقف المعترف المعجب ، لما كنّا نجد الساعة في بلادنا أثرا للعربية و لا لعلوم الدّين فالزّوايا الكبرى هي التّي كوّنت دائما في هذه البلاد طبقة فاضلة من العلماء

---

[1]– احمد توفيق المدني هذه هي الجزائر المصدر السابق، ص 172 .

[2]– عبد الكريم وبصفصاف جمعية العلماء و علاقتها بالحركات الجزائرية لأخرى 1931–1945 المرجع السابق ، ص 92

[3]– نفسه ، ص ص 186–188

[4]– المدني كتاب الجزائر ، المصدر السابق ،ص350–351

[5]-نفسه ،ص.351

والفقهاء ، وكانت واسطة فعلية في نقل الإسلام إلى بلاد أقاصي الجنوب و السودان ، و كانت فوق ذلك ملجأ لعاجز و إبن السّبيل).

وقد عرفت الجزائر ، أكثر من ستة و عشرون طريقة منها أربعة فقط أنشئت خلال العهد الإستعماري ، و الباقي كان موجود منذ العهد العثماني و من هذا العدد ما هو مؤسس بالجزائر كالطّريقة التّجانية و الرّحمانية ، ومنها ما هو مؤسّس بالمغرب الأقصى كالدّرقاوية و العيساوية والطيبية ، أو ماهو مؤسّس في المشرق كالقادرية ، أمّا الشّاذلية ، فقد بدأت في تونس في حين أنّ أحدث الطرق التي عرفتها الجزائر وهي الطّريقة العلوية [1].

غير أنّ بعض هذه الطّرق، وحسب "توفيق المدني" شهدت إنحرافا و خروجا عن جادّة الطريق فوجب التّصدي لذلك ،حيث كتب[2]:(إنما أخذت الكثير من الزوايا بعد موت مؤسّسيها تنقلب من معاهد علم و إحسان و إرشاد ، الى معاهد خرافات و أباطيل تستثمر غفلة العامة ، و الأمر الكثير من الزوايا و الطّرق ، إلى إحداث وثنيّة في الإسلام بطقوسها ، و سلوك مريديها ، مما جعل الكثير من المتنوّرين ينفرون من الإسلام و ينبذونه) لذلك دعا كل المسلمين ، كل من في قلبه عاطفة إنسانية إلى السّعي في تحطيمها و محو أثرها من الوجود ، معتقدا أنّه بتضافر الجهود الإصلاحية ، لن يبقى في الجزائر بعد مدّة وجيزة ، إلاّ الزّوايا المترفّعة عن الخرافات ، والتّي توجّه جهودهالهداية الناس ، و بثّ العلم الصحيح [3]و هو نفس ر أي الحركة الإصلاحية ، إذ يتوافق مع نظرة كل من "علال الفاسي" و"عبد العزيز الثّعالبي"، حيث يشترك الجميع في إعتبار أن هذه الطّرق تقف عائقا في وجه العلم ، و تثير الشّك في العقول ، وبسببها إنتشرت الجهالة و العصبية

[1]– احمد بالعجال المرجع السابق ، ص 64 .

[2] – احمد توفيق المدني كتاب الجزائر ، المصدر السابق،ص 351.

[3]– نفسه ،ص352

و الضّلال ، و قد أرجع هؤلاء جميعا إنتشارها إلى عاملين أساسين تشجيع الإستعمار لها ، وعدم قيام علماء الدّين بواجبهم نحو الأمة لإزالة الجمود الفكري[1].

و لم يخفي"المدني" موقفه ، بل جهر به في الخطب ، و على أعمدة الصحف ، و من ذلك خطابه بالمسجد الحنفي بالعاصمة في صيف 1925م ،حيث وصف الطّرقية بالقول:[2] (طرق صوفية مضلّة ظاهرها الرحّمة ، و باطنها من قبلها العذاب ، فرّقت الشعب ، و شتّت الشمل و مزّقت عرى الدّين ، حتى أصبح كل منتسب لطريقة ما و ما أكثر الطرق ، يلعن و يسبّ و يشتم، بل يخرج من الدّين كل المنتسبين للطّرق الأخرى ، و بذلك تحكّم الإستعمار وساد).

ولذا فإن الحرب التي أعلنها العلماء ، بمن فيهم "توفيق المدني" ضدّ الطّرقية ، إنما كانت موجّهه للإستعمار الذّي يؤيّدها ، و يؤازرها ضدّ الحركة الإصلاحية ، وفي هذا يذكر المؤرخ "محفوظ قداش"[3]:(أن الطرقيين الذين حاربهم العلماء ، هدّدوا بواسطة إمتيازاتهم العائلية ،أن يكونوا سندا للإدارة التّي طلبوا منها حمايتهم) ،ولعلّ أشدّ صراع كان مع الطريقة العليوية ، التي كانت أكبر الطرق الصوفية إنتشارا في بداية القرن العشرين ، و إن صراع المصلحين من العلماء ، كان مع هذه الطّريقة ، لما ضمّت تحت لوائها من كثرة الأتباع ، و جنايتها على الدّين الإسلامي الصّحيح ،وفساد الإعتقاد وكثرة البدع ، وقد إتّخذت كغيرها قنوات لترويج مبادئها و أفكارها ،عبر الجرائد و المجلاّ ت و أشهر صحفها "البلاغ"[4] ، وقد تعجّب "المدني" ، عن كيفيّة تمكّن الشيخ "أحمد بن عليوة"من إنشاء هذه الطريقة و هو شبه أميّ؟، وقد شنّ عليه "أحمد توفيق المدني" حملة إنتقاد ووصفه بالأرعن المغرور ، المجسّد لصورة الشيطان في جسم إنسان [5] ، وكان سبب محاربة العلماء وعلى ر أسهم "المدني" للطّ يقة العليوية ، بسبب موالاتها للإستعمار و إتصالها بالفكر

---

[1]– محمد رحاي: المرجع السابق ص106–108

[2]–احمد توفيق المدني : حياة كفاح ، ج 2، المصدر السابق ، ص76–77

[3]-**Mahfoud kaddache : histoire du nationalisme Algérien 1919-1951,T2 ,S,N,E,D,Alger :1980 ;p338**

[4]-**Alimerad :op –cit ,p71**

[5]–احمد توفيق المدني : حياة كفاح ، ج2 ،المصدر السابق ،ص72

المسيحي ، و إعتمادها على الصحافة دون غيرها من الطرق ، ممّا جعلها في مواجهة وجها لوجه مع الحركة الإصلاحية الناهضة [1] ،ويتجلّى ذلك في السجال القلمي الذّي إندلع بين صحف الجمعية ، وصحف الطّرقيين ، و خاصة بين صحيفتي "المرصاد" و"البلاغ"، و فيما بعد، بين "المعيار"و"الجحيم"، و لعب "المدني" دورا رائدا في تهدئه نار الفتنة ، و العدول عن تبادل الشتائم والتشهير بأعراض ر جال الأمة عندما رأى أنّ الشّحناء ، بلغت بين بعض الكتاب الإصلاحيين والطرقيين حدّا فاحشا ، و خرجت عن دائرة البحث النزيه ، و الجدال بالحجّة و البرهان، إلى دائرة القذف و التنابز بالألقاب ، وذلك من أجل توحيد جهود أبناء الأمة ومجابهة العدو الخارجي .

[1]–احمد بالعجال : المرجع السابق ، ص64

الفصـــــــــــل الثالث:

دور احمد توفيق المدني في الثورة التحريرية الكبرى 1954-1962م

-مدخل للفصل.

-<u>المبحث الاول</u>: موقف المدني من اندلاع الثورة التحريرية

-<u>المبحث الثاني</u>: .مهامه في الثورة التحريرية ما بين 1956 و1958م.

-<u>المبحث الثالث</u>: نشاطه السياسي ضمن الحكومة الجزائريةالمؤقتة 1958- 1962م.

مدخل للفصل

لم يبق أمام الجزائريين للتّخلص من الإستعمار إلاّ طريق الثّورة المسلّحة بعد إستنفاذ كافة البدائل السّياسية الدّيمقراطية في التّعامل مع فرنسا خاصّة بعد وصول أكثر العناصر المتفائلة في الحركة الوطنية إلى قمّة اليأس، من وعود الإدارة الإستعمارية.

كما أن السّياسة الكولونيالية القائمة على إستمرار تجاهل مطالب الشعب الجزائري والتنكّر للحقّ الوطني لأزيد من قرن وربع من الزّمن، جعلت "أحمد توفيق المدني" يستشرف نهاية حقبة الإحتلال، وعبّر عن ذلك صراحة بجريدة "البصائر" في نهاية الأربعينيات من القرن العشرين.

ولذلك فإن إندلاع الثورة في الفاتح من نوفبر 1954م، لم يفاجىء "المدني" الذّي نظر إلى الأمر على أنّه النّتيجة المنطقية للسياسة الإستعمارية، فمن الطبيعي إذن أن ينخرط في الثّورة التحريرية الهادفة إلى إستعادة الشّخصية الوطنية، التي ناضل أكثر من موقع دفاعا عنها وبشّر بحتمية إسترجاعها.

فكيف تفاعل "المدني" مع الثورة في بالجزائر؟ وما هي الأدوار التي لعبها على الأصعدة الإعلامية والديبلوماسية خلال تواجده بالقاهرة عضوا بالوفد الخارجي لجبهة التحرير الوطني ؟

وماطبيعة المسؤوليات التي أسندت إليه؟وكيف تعامل مع الصرّاعات في القمّة بين قادة الثورة ؟

المبحث الأول: موقف المدني من انـدلاع الثـورة 1954- 1956م.

لقد توّج كفاح الشعب الجزائري، طيلة ما يزيد عن مائة وعشرين عاما، باندلاع ثورة الفاتح من نوفمبر1954م، والتي إستهدفت تحرير البلاد والعباد، وشكّلت نقطة تحوّل تاريخي ليس في الجزائر وحسب، بل في العالم المستعمر قاطبة، وأنّ هذه الثورة كانت المنعطف الأخير للحركة الوطنية وللشعب الجزائري ، بعد تجربة مريرةمع الإستعمارجرّبت فيها كلّ البدائل السياسية.

ومن الطبيعي أن تكون جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، قد مثّلت طليعة المتصدين للسياسة الاستعمارية ، وكانت صاحبة فضل كبير في الإعداد الروحي لهذ الثورة، عبر مسيرة زمنية قاربت الرّبع قرن، فقد هيأت جيلا كاملا من الوطنيين والوطنيات المتشبّعين بمقومّات الهوّية الوطنية، المتعطّشين لرؤية الشّعب الجزائري يتمتّع بحريته ويعمل في دائرة العروبة والإسلام.

كما لا شك أنّ الشيخ "أحمد توفيق المدني"، من الذين هيأوا للثورة بأقلامهم الصحفية وخطبهم ومؤلفاتهم، ومن الذين أدركوا حقيقة المستعمر، بل ونلمس من خلال مقالاته بالبصائر في نهاية الأربعينيات قناعته بأن نهاية الإستعمار قد اقتربت،[1] وأشار إلى ذلك أكثر من مرّة، ولذلك فلا غرابة أن يقول المدني في مذكراته [2]: (ننني وإن كنت هيأت للثورة منذ أمد بعيد،لم أكن قائدا من قادتها، ولا بطلا من أبطالها، بل كنت خادما لها مطيعا لأوامرها).

فما حقيقة موقفه من الثورة؟ وكيف التحق بركبها؟ .

وما الدّور الذي لعبه سياسيا وإعلاميا لصالحها؟.

لا يمكن للباحث أن يفصل بين الموقف الشخصي للمدني، ومواقف جمعية العلماء المسلمين باعتباره أحد أقطابها، فهو أمينها العام وقت اندلاع الثورة، كما أنّه يرأس لجنة تحرير

---

[1]– أبو محمد:"منبر السلاسة العالمية "البصائر،العدد29،04أوت 1947،ص04.وأيضا"منبر السياسة العالمية "البصائر، العدد 79،09 ماي 1949، ص05.

[2]– أحمد توفيق المدني: حياة كفاح، ج3، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر: 1988، ص13.

البصائر، وهي أهم صحيفة ناطقة بالعربية في الجزائر في هذه الفترة، واللّسان المركزي للجمعية إضافة الى أنّ الموضوعية تقتضي عدم النظر إلى هذا الموقف بعيدا عن الظّروف العامة التي تعيشها الجزائر، والتّطورات السياسية للحركة الوطنية بصفة عامة.

ولفهم حقيقة موقف "أحمد توفيق المدني"، نتتبّع مختلف التطورات المصاحبة لإندلاع الثورةفهونفسه ذكر أنه أثناء زيارته لمدينة باتنة، في شهر أكتوبر 1954م للأشراف على افتتاح مدرسة تابعة لجمعية العلماء، حصدّل على معلومات تفيد بقرب إندلاع الثورة، وأنّ المناضل "عمر دردور" أوحى إليه بهذه الفكرة خلال جولة لهما في أطراف الأوراس[1] .

ويؤكّد "المدني" أيضا أنّه من مصدر موثوق بموعد إنطلاق الشرارة الأولى للثورة حين إتّصل بأحد رجال الحركة الوطنية، والذي أبلغه في سرّية تامّة بتاريخ الفاتح نوفمبر، موضّحا أن العلماء كانوا على إستعداد تام لتأييد هذه الحركة التحريرية الكبرى منذ البداية [2] .

وتعليقا على ما أورده ، كتب أحد المعاصرين قائلا [3] :(لا أريد تتبّع حالات موقف جمعية العلماء المسلمين..لكن فقط أشير إلى ما سجّله بعض أعضائها على ما فيه من تضارب واختلاف، فالأستاذ "توفيق المدني"، الكاتب الشهير، و الكاتت العام أنذاك للجمعية يسبق فيكتب في حماس غامر، وبدعوى غريزة تحتاج إلى إثبات) ليخلص إلى أنّ الأمر كان في غاية السّرية ففي نظره أنّ أقرب المسؤولين للثورة لم يكونوا على علم به، ناقلا في الإتجاه نفسه رواية الشيخ "محمدخير الدين" التي تناقض ما ذهب إليه "المدني"ولذلك فإنّ ما جاء به هذا الأخير بخصوص قضيّة معرفة موعد بدء الثور، لا يعد كونه حماسا يحتاج إلى إثبات[4]، وجاء في ردّ الشيخ"محمد

---

[1]– عمار بوحوش: التاريخ السياسي منذ البداية ولغاية 1962،ط1 ،دار الغرب الاسلامي ،بيروت ،لبنان،1997 ،ص ص274–275.

[2]– المدني: حياة كفاح، ج3، المصدر السابق، ص 19.

[3]– عبد الرحمان إبراهيم بن العقون : الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر، ج3، المصدر السابق ص ص 509–510.

[4]– نفسه، ص، 511

خير الدين " وهو النائب الثاني لرئيس جمعية العلماء تعليقا على ما ذكره "توفيق المدني " قوله (كل هذا ليس له أساس من الصّحة، فما كان أحد من أعضاء جمعية العلماء يعلم من أمر الثورة شيئا قبل إندلاعها لا توفيق ولاغيره يعلم) [1].

من جهته يرى "محمد العربي الزبيري"أن سر ّية الإعداد للثورة، خلقت عنصر المفاجأة،مما جعل المواقف تتباين حيث كتب[2] (أنّ السّرية التّامة التي حرص المعدّون للثورة على التحلي بها طوال الفترة التي تطلّبتها الأعمال التحضيرية، هي التي ساعدت على مضاعفة المفاجأة، وزرع الشكّ والحيرة في نفوس المواطنين بصفة عامة، والطليعة الوطنية بصفة خاصة).

الحقيقة أن مسألة توقع حصول الثورة أصبحت على لسان الكثيرين "ففرحات عباس" مثلا قال بأنه عندما كان بالقاهرة في شهر جويلية 1954 أعلمه "محمد خيضر" بإن أحداثا ستعرفها الجزائر عما قريب وستفرض وضعية جديدة على الجزائر، وسيكون كل الوطنيين الجزائريين مرتبطين بعمل واحد، وفي حزب واحد [3].

مهما يكن من تضارب في الآراء حول علم توفيق المدني بموعد إندلاع الثورة ،فالمؤكّد هو حرصه على الإستجابة لنداء الثورة ،إذ منذ البداية قام بالإتفاق مع الشيخ"محمد خير الدين" بدعوة أعضاء المجلس الإداري للجمعية للإجتماع يوم فاتح نوفمبر 1954م بمدينة قسنطينة، وقرّر المجلس بأن الجمعية تساند الثورة بدون تحفظ [4].

بعث "توفيق المدني" برسالة إلى الشيخ"محمد البشير الإبراهيمي" رئيس الجمعية الموجود بالقاهرة أبلغه فيها بأ الثور ة العارمة قد إنطلقت، وأسندت قيادتها لجبهة التحرير الوطني،وهي هيئة

---

[1]– محمد الطاهر فضلاء: المصدر السابق، ص 113.

[2]– محمد العربي الزبيري: الثورة الجزائرية في عامها الأول، ط1،دار البعث للطباعة و النشر،قسنطينة، الجزائر:1984،ص181.

[3]– عز الدين معزة: المرجع السابق، ص 223.

[4]– عمار و حوش:المرجع السابق، ص ص 274–275.

جماعية غير حزبية، وطلب منه أن ينشر بإسمه بصفته رئيسا للجمعية منشورا عاما يبارك الثّورة، ويمجّدها ويدعو الأمة للمشاركة فيها روحا، وبدنا ومالا [1].

وقد إستجاب الشيخ"البشير الإبراهيمي"لهذه الرّسالة، وقام بمشاركة،"الفضيل الورتلاني" بإصدار بيان للشعب الجزائري في يوم الثالث من شهر نوفمبر 1954م، نشرته الجرائد المصرية وغيرها، بارك من خلاله الجهاد الثوري في الجزائر، ومما جاء في النداء [2]: (حيّاكم الله أيها الثّائرون الأبطال، وبارك الله في جهادكم..لقد أثبتّم بثورتكم المقدّسة هذه عدّة حقائق..إنّ الخلاص من هذا الإستبعاد قد أصبح اليوم واجبا عامّا مقدّسا...لإنكم اليوم أمام أمرين، إمّا حياة أو موت.وإمّا بقاء كريم أو فناء شريف).

وعلى المستوى الدّاخلي، يؤكّد "المدني"أنّ المجلس الإداري الذي إجتمع بقسنطينة في أول أيام الثورة كان قراره مع الثورة، لكنّه رأى وجوب التزام الحذر بغية المحافظة على مكتسبات الجمعية،وضمان مواصلة نشاطها في أداء رسالتها تدعيمها للثورة)[3].

وبناءا على هذا الموقف، ومنذ الأيام الأولى لإندلاع الثورة إجتمعت لجنة تحرير البصائر المتكوّنة من السادة " أحمد توفيق المدني"،"حمزة بوكوشة"،"أحمد سحنون"،"عبد اللطيف سلطاني"،"باعزيز بن عمر"، وبحضور "الشيخ العربي التبسي"، و"الشيخ محمد خير الدين" واتفق الجميع على أن يتولى المدني"، تحرير الإفتتاحية، وتحرير مقال لتغطية أحداث الثورة، بعنوان "يوميات الأزمة الجزائرية"، وتحرير موضوع السياسة العالمية، وموضوع الإبتكارات العلمية [4].

و عليه فإن "المدني" كان أمام مسؤولية تاريخية كبيرة، فما يصدر عن البصائر، كان يمر على الرقابة الإستعمارية الفرنسية، وتحت أنظار ممثّلي جبهة التحرير الوطني، وفي هذا الصدد

---

[1]– المدني حياة كفاح،ج3، ص ص 26–30

[2]– الفضيل الورتلاني: المصدر السابق، ص ص 170–171

[3]– المدني: حياة كفاح، ج3 المصدر السابق، ص 23.

[4] – تركي رابح عمامرة:"التعريف بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين"موقع www.binbadis.NET/Dirasat/Lire-Rabah-turki-amamra1.Htm.

يقول المدني في مذكراته [1] (إنّي وضعت البصائر منذ اليوم الأوّل، وبإتفاق العلماء في صميم المعركة..ولم يكن الأمر يسيرا، فقد كان عليّ أوّلا أن أتولى النّضال عن حق الشعب الجزائري في الحرية والإستقلال..وكان عليّ ثانيا أن أتجنّب في مقالاتي ما تتّخذ منه الحكومة ذريعة للإقاع بالبصائر وضرب جمعية العلماء..وكان عليّ ثالثا أن أعرض كل مقال افتتاحي بصفة سرّية بحتة على المكلف من طرف قيّادة الثورة)،ولذا فإن القارئ لأعداد جريدة البصائر يلمس أسلوب الحذر الذي أشار إليه"المدني"، ففي افتتاحيتها ليوم 05 نوفمبر1954 م وفي أول تعليق لها عن خبر اندلاع الثور ة جعلت عنوانها، "حوادث اللّيلة اللّيلاء" ،مما جاء في المقال: (فوجئت البلاد الجزائرية بعدد عظيم من الحوادث المزعجة...إنّنا إلى حدّ هذه لساعة لا نملك التفاصيل المقنعة عن هذه الحوادث وأسبابها..فلا نستطيع أن نعلّق عليها لأدنى تعليق...فليس من شان البصائر أن تتسرع في مثل هذه المواطن) [2].

لقد رأى البعض في هذا المقال موقفا سلبيا، وإنتقده آخرون ومنهم الأستاذ "مولود قاسم نايت بلقاسم [3] الذي لام الجمعية وصحيفتها الرّسمية على الجهر بموقف كبقية الأحزاب والجرائد،وكتب يقول: (والبصائر التي يلزمها إسمها،بأن تكون بصيرة بالأمور قبل غيرها،لم ترد التّبصر هذه المرة).[4]

الواقع أن قيادة الجمعية في الدّاخل، وفي مقدّمتها الشيخ"أحمد توفيق المدني"وإن لم تصدر بلاغا أو تعليقا مؤيّدا ومباركا بلغة صريحة لأنباء الثورة، فإنّها لم تنشر بالمقابل ما يطعن أم يشكك

---

[1]– أحمد توفيق المدني: حياة كفاح،ج3 المصدر السابق، ص ص 62-63

[2]– مولود قاسم نايت بلقاسم: ردود الفعل الأولية داخلا وخارجا على غرة نوفمبر أو بعض مآثر فاتح نوفمبر،ط1، دار البعث للطباعة والنشر ،قسنطينة:1984،ص ص 65-66.

[3] - مولود قاسم: هو مولود قاسم نايت بلقاسم ولد سنة 1927 بضواحي بلدية اقبو ببجاية، سياسي ومفكر جزائري، ناضل في حزب الشعب الجزائري إنظم إلى الثورة وعين بعد سنة 1958 في الوفد الدائم في بون بألمانيا،تقلد بعد الإستقلال عدة مناصب أهمها وزيرا للتعليم الأصلي والشؤون الدينية بين 70-1977 إرتبط اسمه بمجلة الأصالة وملتقيات الفكر الإسلامي توفي سنة 1992.

[4]– مولود قاسم نايت بلقاسم:المرجع السابق، ص 65.

في أهدافها، وطبيعتها،ووطنيتها، ولعلّ موقفها هذا جاء زيادة على ما أشرنا إليه من قبل منسجما مع التعاطي العام مع أخبار الثورة، وهذا الموقف عبّر عنه الدكتور"عبد الكريم بوصفصاف" بالقول: (فالعلماء لم يكونوا يختلفون سنة 1954 م عن غيرهم من الحركات الوطنية الأخرى، حيث كان فيهم الثوريون والمحافظون..وإذا كان بعض زعماء ومناضلي حركة الإنتصار قد وقفوا ضد الثورة فإن بعض العلماء الذين لم يبادروا بالإنضمام إلى الثورة في أول الأمر، لم يقفوا ضدها) [1].

ويواصل "المدني" الدّفاع عن آمال الشعب الجزائري، متتبعا أخبار الثّ ة التحريرية، جاعلا من البصائروإفتتاحياتها سهاما تلاحق المستعمرين، ففي مقال بتاريخ 19 نوفمبر 1954م،وبعد أن وصف الأحداث بالأعمال الكبيرة، وتحدّث عما أسماهم بالذين رفعوا لواء الثورة ردّا على تصريحات المسؤولين الفرنسيين من رئيس الحكومة "بيير منديس"، ووزير الداخلية "فرنسوا ميتران"وأحد الضبّاط الفرنسيين المتخصّصين في علم الإجتماع "سر فييه"، الذي كتب في جريدة العالم" le monde"أنّ جمعية العلماء هي المسؤولة عن هذه الحوادث، وخلص "المدني" في افتتاحيّه تلك، إلى أنّ الأسباب التي تقف وراءها هي الإستياء الشعبي العام من السياسة الفرنسية[2] .

إن هذه المواقف وغيرها أدّت على تعرض أعداد البصائر للمصادرة في أكثر من مرة، وهو الأمر الذي تصدّى له "توفيق المدني"في كل مرة تنديدا وإستهجانا، ومن ذلك ما كتبه بالعدد 332 بتاريخ 09 سبتمبر 1955م تحت عنوان"لا رجوع إلى الوراء" مما جاء فيه:[3] (فمصادرة البصائر إنما هي في الحقيقة مصادرة صوت الأمّة، ومحاولة تحطيم البصائر إنما هي محاولة إخماد أنفاس الأمّة، والأمّة التي سارت كسير الأمّة الجزائرية إلى الأمام في ثبات وحركة جريئة مدهشة، لا ترجع أبدا إلى الوراء كلّفها ذلك ما كلّفها).

---

[1]– عبد الكريم بوصفصاف: جمعية العلماء ،المرجع السابق، ص 149.

[2]– مولود قاسم نايت بلقاسم:المر جع السابق، ص 67.

[3]– أحمد توفيق المدني: حياة كفاح،ج3، المصدر السابق،ص ص 81-83.

كما أن مواقف "المدني" وقيادة الجمعية في الدّاخل وتفاعلها مع خطّ الثورة، لم تكن بمعزل عن توجيهات الرّئيس المتواجد بالقاهرة، فالإتصالات لم تنقطع، فقد تلقّى "المدني" العديد من الرّسائل التي يشيد فيها الشيخ"البشير الإبراهيمي" بأعمال الجمعية ومواقف أمينها العام "المدني"،والذي أورد العديد من هذه الرسائل في مذكّاته، وفي كتاباته في الرّسائل ، وقد جاء في إحدى الرسّائل المؤرّخة بالقاهرة في يوم 22 أوت 1955م قول "الإبراهيمي" (أذكر فضلكم وموقفكم، ورفعكم لقيمة البصائر في هذه الزعازع ممّا يحمده لكم كلّ منصف، ويحسدكم عليه كل متعسّف، لكن حسبكم الله، ورضائي عنكم)،وقد جاء بيان الجمعية الحاسم في 07 جانفي 1956 م تحت عنوان:"بلاغ من الإجتماع العام لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين عن الحالة الحاضرة بالقطر الجزائري وموقف الجمعية منها"، حيث يقول"المدني" أن هذا البيان التاريخي،صدر بعد إنعقاد الإجتماع العام بمركز الجمعية وشمل الحضور 230 من الأعضاء العاملين وأنّه شخصيا قام بتحرير هذا البيان بتكليف من الشيخ"العربي التبسي" الذّي تفاعل بقوّة معه، حيث قال أنّ من لم يوافق عليه فليس بمسلم، وتمّ عرضه قبل نشره على قيّادة جبهة التحريربالعاصمة فأقرّته[1].

وممّا ورد في هذا البيان الشهير:[2](نقول كلمة صريحة علنية نرجو أن يسمعها المسؤولون في باريس، وأن يسمعها العالم أجمع، وهي أنّه لا يمكن حلّ القضية الجزائرية بصفة سليمة وسريعة إلاّ بالإعتراف العلني الصّريح بكيان الأمّة الجزائرية الحرّة ونؤكّد أنّه لا يمكن وضع حدّ لحالة الحرب الحاضرة، والإقدام على بناء النّظام الحرّ الجديد إلاّ بواسطة التفاهم الصّريح المخلص مع سائر الممثلين الحقيقيّين للشعب الجزائري من رجال الحلّ والعقد الذّين أظهرهم الكفاح الجزائري).

ومن جانب التّعامل و التّفاعل مع الثورة، فقد تجنّد رجال الجمعية وأخذت الإتّصالات بين قيّادة جبهة التحرير الوطني بالعاصمة وباقي المناطق، تمر عبر مركز الجمعية حسبما يؤكد "المدني" الذي كان يتلقى بريد الجبهة عن طريق أحد المناضلين دعاه بالأخ "ساطور" الخياط بناحية

---

[1]– أحمد توفيق المدني: حياة كفاح،ج3، المصدر السابق،ص ص 34–37.

[2]– مولود قاسم نايت: المرجع السابق، ص ص 74–75.

بلكور، وكان عدد من عناصر الجمعية يتولّون إصاله وذكر منهم الشيوخ:"حمزة بوكوشة" و"أحمدسحنون"، "الجيلالي الفارسي" و "مصباح الحويذق"[1].

و ذلك رغم أنّ خلال هذه المرحلة حاولت السلطات الإستعمارية إستمالة جمعية العلماءوجرّها إلى الدّخول في مفاوضات، وهي خطّة ماكرة حاول تجريبها الحاكم العام الجديد "جاك سوستيل" الذي تولّى منصبه في بداية فبراير 1955م*،حيث قام باتصالات عن طريق أحد مساعديه الرائد "فانسان مونتاي vincent monteil"والذي توّجت مساعيه بمقابلة جرت بينه، وبين وفد يضمّ ممثّلين عن جناحي حركة الإنتصار للحريات الديمقراطية (مصاليين ومركزيين) و"أحمدفراسيس" ممثّلا عن البيانيين، والشيخ "محمد خير الدين" ممثلا عن العلماء،وقد وقع هذا اللقاء في شهر ماي 1955م، والذي لم ينكره الشيخ "محمد خير الدين" مؤكّدا أن جبهة التحرير إتصلت بهم و بباقي الوفد عن طريق المناضل "عبان رمضان" وطلبت منهم التفاوض بشرط عدم التورّط مع العدو[2].

ومن جهة أخرى أشار "محمد العربي الزبيري" إلى هذا اللّقاء، لكنّه وضعه في محلّ الشكّ كون منسق الجبهة"عبان رمضان"لم يترك وثائق أو مذكّرات تؤكّد ذلك،بل أن الشهادات تتحدث على أن "عبان"طلب من المفاوضين اتخاذ الإجراءات اللاّزمة لكي تستجيب تشكيلاتهم لنداء الفاتح من نوفمبر[3] .

وعليه فإن الشيخ "أحمد توفيق المدني"وإن لم تشر الكتابات التاريخية، إلى قيامه بأيّ شكل من أشكال الإتصال بالفرنسيين بما يخالف توجيهات ومبادىء جبهة التحرير الوطني، فقد ذكر في مذكّراته، أن الفرنسيين تصلوا به مرّتين، الأولى عن طريق الأستاذ "ريمون هارون"، والثانية خلال

---

[1]– أحمد توفيق المدني: حياة كفاح،ج3، المصدر السابق،ص 42.

[2]– عبد الرحمن بن إبراهيم بن القعون الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر، المرجع السابق، ص 506.

[3]– محمد العربي الزبيري : الثورة الجزائرية في عامها الأول، المرجع السابق، ص ص 188–189.

زيارة رئيس الحكومة الفرنسية، "غي مولي Guy Moullet للجزائر، الذي رغب مقابلته إلاّ أنّ شيئا من ذلك لم يقع إستجابة لمعارضة جبهة التحرير لذلك، كما نذكر إلى أن "المدني" لم يحدّد في مذكّراته تاريخ المحاولتين، لكنّه ذكر أنّهما كانتا في فترة لاحقة لإصدار البيان التاريخي للجمعية في مطلع جانفي 1956 م[1] .

-المبحث الثاني: مهامه في الثورة التحريرية ما بين 1956-1958م.

مع إستمرارية الثّورة الجزائرية وتصاعد نشاطها العسكري في الداخل ، وتأكيد شعبيتها وشموليتها لا سيما بعد هجومات 20أوت 1955م بالشّمال القسنطيني، أضحت الحاجة ماسّة وملحّة إلى تجنيد كل الفئات والطّاقات الوطنية، وهي إستراتيجية تبنّتها جبهة التحرير الوطني، حيث دعت الجميع إلى الإنضواء تحت لوائها طوعا، أو كرها ،وكان يجب على القيادة تدعيم صفوفها بكفاءات سياسية وفكرية، بما يمكنها مخاطبة العالم والتعريف أكثر بالقضية الجزائرية.

وفي هذا الإطار تلقّى الشيخ "أحمدتوفيق المدني" تكليف من جبهة التحرير الوطني،بالإلتحاق بوفدها الخارجي العامل بالقاهرة، وعن الإتّصالات التي جرت بينه وبين قيادة جبهة التحرير الوطني بالجزائر، ذكر"المدني"أنّ الشهيد "عبان رمضان"، إتصل به في أوائل عام 1956 م ليعلمه بقرار الجبهة باعتماده ليكون ضمن الوفد الخارجي بالقاهرة، موضحا أن "عبان رمضان" خاطبه بالقول:[2](إننا لنشعر بنقص كبير بين صفوف وفدنا الخارجي، فسر إليهم بأسرع ما يمكن، ولتعمّر ذلك الفراغ، وأعلم أن حظّك في الجهاد هنالك يعادل أو يفوق حظّك لو أنّك عمدت إلى جبل وحملت بين إخوانك السّلاح)ويذكر أنّ اللّقاء والمقابلة جرت في منزل المجاهد "عباس التركي" ليتّصل به بعد مدّة "الشيخ العباس بن الشيخ الحسين" العائد من القاهرة، ويبلغه

[1]- أحمد توفيق المدني: حياة كفاح،ج3، المصدر السابق،ص 43-47.

[2]- نفسه ،ص 105.

بانتظار الوفد له، لذلك قام بإبلاغ رئاسة جمعية العلماء ممثّلة في الشيخ" العربي التبسي" الذي بارك الخطوة، رفقة النّائب الثاني الشيخ "محمد خير الدين" [1].

كما أنّ أحد المعاصرين – ونقلا عن الشيخ"محمد خير الدين" أورد بأن "توفيق المدني" تمّ تعيينه رفقة "العباس بن الشيخ حسين" من طرف[2] الشيخ "محمد خير الدين" وذلك بتكليف من السيّدين "عبان رمضان" و"إبن يوسف بن خدة" [3].

ومهما يكن من إختلاف حول ظروف إتصالات قيادة الثورة به،لتكليفه بالمهمة، فإنّ المؤكّد أن "المدني" قد إستجاب لدعوة الجبهة، فاستعمل حيلة لمغادرة الجزائر دون إثارة انتباه السلطات الإستعمارية الفرنسية، والتحق بباريس يوم 16 مارس 1956م [4].

وبعدها غادر باريس في 12 أفريل 1956م ،إلى سويسرا، وهناك بجنيف و في طريقه إلى القاهرة إلتقى رفقة زميله في الّضال"العباس الشيخ الحسين"بالسّيد "فرحات عباس" و"أحمدفرانسيس" و"قدور ساطور" الذين كانا يتأهّبان للسفر إلى القاهرة أيضا للإنضمام إلى الوفد الخارجي [5].

وعند الوصول إلى القاهرة وجد في إستقباله "محمد خيضر" و "أحمد بودا" وبدأ في تنشيط العمل، ففي اليوم الموالي مباشرة زار مكتب تحرير المغرب العربي[6]، وفتح مناقشات مع رئيس الوفد "محمدخيضر" الذي أطلعه على توزيع المسؤوليات، بحيث يتوفر الوفد على مكتبين، أحدهما للنّشاط

---

[1]– ا أحمد توفيق المدني: حياة كفاح،ج3، المصدر السابق ،،ص 106.

[2] – أكد الشيخ أحمد توفيق المدني في ردوده على ما جاء في كتاب التحريف التزييف لمحمد الطاهر فضلاء، أن الشيخ محمد خير الدين لم تكن له أيّة صلة لتعينه في الوفد الخارجي.

[3]– عبد الرحمان إبراهيم بن العقون : الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر، ج3، المصدر السابق ص ص 511–512.

[4]– أ حمد توفيق المدني: حياة كفاح،ج3، المصدر السابق،ص ص 106–108.

4-Benjamin stora.Zakya Daoud. Op-cit.p249.

[6] - مكتب تحرير المغرب العربي: تشكل بالقاهرة ضم ممثلين للأحزاب الإستقلالية من الجزائر، والمغرب وتونس ترأسه عبد الكريم الخطابي الذي أصدر بيانا شهيرا في 05 جانفي 1948، أعلن من خلاله رغبة الأحزاب المغربية في توحيد كفاحها على قاعدة الإستقلال التام لكل البلدان.

السياسي يشرف عليه "محمد خيضر" والآخـر للشؤون العسكرية يشرف عليه باستقلالية "أحمد بن بلّة"، ويذكر"المدني" بأنّه بعد إستقراره بالقاهرة ومباشرته لنشاطه لاحظ أنّ الأمور ليست على مايرام، فلا تنسيق بين الأعضاء إضافة إلى وجود توتّر في العلاقات الشّخصية، كما هيّ الحساسية بين "الأمين الدباغين" و"محمد خيضر".[1]

كما أنّ هذا الخلاف أصبح محلّ قلق لقادة الثورة في الدّاخل، وهو ما أكّده "فرحات عبّاس" الذي قال بعد إنتقاله إلى القاهـرة سنة 1956م، صدمت بالصّراع الموجود على مستوى القمّة في نظره فإن "أحمد بن بلّة" هو سبب المشاحنات، لكونه أراد أن يجعل من نفسه زعيما للثورة بالتعاون مع السلطات المصريــة [2].

إنّ هذا القرار الذي إتّخذته قيادة الثورة بتدعيم الوفد الخارجي بالقاهرة بشخصية توفيق المدني، يرى فيه الدكتور"أبو القاسم سعد الله" أن جبهة التحرير الوطني قد أحسنت الإختيار بهذا التّدعيم، فالرجل يتوفّر على مميّزات جعلته يملأ الفراغ، ويتصدّى لمخاطبة الأمة العربية ، إذ يمتلك ناصية اللّغة العربية، ويتمتّع بقدرات عالية في فنّ الخطابة، وله ثقافة متنوّعة وإطلاع واسع وخلفيات تاريخية معتبرة، وهو ما أهّله للتّفوق على باقي أعضاء الوفد، الذين ظهروا عاجزين عن أداء هذا الدور بالكيفية التي مارسها أحمد توفيق المدني"[3].

وفي 25 أفريل 1956م إلتحق "فرحات عبّاس"و"أحمد فرانسيس" بالقاهرة، حيث قاما بتنظيم لقاء بين القادة بمقر جمعية العلماء المسلمين أين يتواجد "البشير الإبراهيمي"،و تحضير نّدوة صحفية بفندق "سيميراميس semiramis" بحضور خمسين (50)صحفيّا ، يمثّلون مختلف وسائل الإعلام العالمية، وهناك أعلن "أحمد توفيق المدني"إنضمامه الرّسمي لجبهة التحرير الوطني، وقدّم عرضا شاملا للحالـة بالجزائر، مصوّرا القمع الفرنسي وحـالة البـؤس التي يعيشـها الشعب

---

[1]– أحمد توفيق المدني: حياة كفاح،ج3، المصدر السابق،ص ص 115–120.

[2]– عزالدين معزة: المرجع السابق، ص 236.

[3]– أبو قاسم سعد الله: أثناء تدريسه لنا كطلبة المجستير، وحدة تحليل مصادر، جامعة بوزريعة2 ،بتاريخ 2012.04.08 .

الجزائري، معلنا في الوقت نفسه بأنّه رجل سلام وليس داعية حرب، وخلال النّدوة المذكورة تولى "المدني" مهمة التّرجمة إلى اللّغة العربية لمحتوى خطاب "فرحات عباس" وغيره من ممثلي جبهة التحرير، كـ "حسين آيت أحمد" و"أمحمد يزيد" و"الأمين دبّاغين" و"أحمد بن بلة" و"محمد خيضر"[1]

وعليه فإن الظّهور العلني "لتوفيق المدني" متحدّثا باسم جبهة التحرير الوطني، ومتولّيا التّرجمة، قد أعطى الثورة بعدا جديدا، فانخراط العلماء والإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري بما يمثلانه من قاعدة إجتماعية عريضة ، خاصّة العلماء، من وزن سياسي على السّاحة الجزائرية، قد أكسب جبهة التحرير إنتصارات قويّة في صراعها العسكري والإعلامي مع العدو، حيث أنها في غضون سنة ونصف إستطاعت جمع كلّ ممثلي الشّعب الجزائري في خندق واحد[2].

والحقيقة أن نشاط المدني ضمن الوفد الخارجي، قد توزّع على العديد من الجبهات، فكان لا بدّ من إعادة تنظيم سير أعمال الوفد وتحريك الآلة الدّبلوماسية للثورة وتنشيط إستخدام سلاح الإعلام والدّعاية، وكان ذلك في إتجاهات العالم العربي والإسلامي، والرأي العام الدّولي، والجماهير الشعبية في داخل الجزائر، أرض المعركة.

وواصل الوفد الخارجي نشاطه بعقد إجتماعاته الدّورية لضبط أموره، بداية من الأسبوع الأخير من شهر أفريل 1956م بمشاركة "أحمد بن بلة"و"محمد خيضر" وأحمد بودا" و"فرحات عباس"و"أحمد فرانسيس"و"العباس بن الشيخ الحسين"، "الأمين دباغين"،"محمد بوجملين" و"بيوض" و"أحمد توفيق المدني"الذي ذكر أنه قدّم عدّة مقترحات لتفعيل النّشاط كتنظيم عقد الإجتماعات، وتحرير محاضر الجلسات، وتقسيم المهام، وتعيين مكلّف بالإتصال بالسلطات المصرية، وتنظيم العلاقة مع إدارة الثورة بالجزائر، وهو ما لقي ارتياحا لدى باقي الأعضاء[3] .

1-Benjamin stora.Zakya Daoud. Op-cit.pp250-251.
2-Mohamed teguia : Op-cit.p170.

[3]– أحمد توفيق المدني: حياة كفاح،ج3، المصدر السابق،ص ص 128–129.

والملاحظ انّه فعلا تحركت الدّيناميكية الإعلامية والدّعائية لصالح الثورة،حيث أخذت الندوات الصحفية تعقد ينشطها "فرحات عباس" باللّغة الفرنسية، ويتولى "المدني" تعريب نصّها والمشاركة في الرّدود على أسئلة الصحفيين إلى جانب الأمين دباغين [1].

وتمّ تكوين مكتب الصّحافة والإعلام، وقد ساهم "الشيخ توفيق المدني" في كتابة الحديث اليومي و تسجيله ليلا في إذاعة *"صوت العرب" من القاهرة، حيث تتواجد مكاتبه قرب مكتب تحرير المغرب العربي بشارع عبد الخالق ثروت[2]. وبعدها يسجّل الحديث بإذاعة "صوت العرب" ويذاع في ركن المغرب العربي بعد السّاعة العاشرة مساءا بتوقيت القاهرة بعنوان "وفد جبهة التحرير الوطني يخاطبكم من القاهرة" وهذا إعتبارا من صيف 1956م، وقد تولّى فيما بعد "تركي رابح عمامرة" مهمّة إذاعة الحديث بإسم صوت الثورة الجزائرية بإشراف توفيق المدني[3].

وإضافة إلى النّشاط الدّعائي والإعلامي ، تقرّر على مستوى البعثة الخارجية في نهاية جويلية 1956م تفعيل النّشاط الدّبلوماسي بالقيام بجولات دعائية لصالح الثورة بحثا عن التأييد المادي والمعنوي،وإسماع صوت الثّورة للرأي العام شملت بلدان سوريا والكويت وسويسرا وأمريكا والسودان.

وخلال جولاته الدبلوماسية وتواجد"توفيق المدني" بالسّودان رفقة "العباس بن الشيخ الحسين" وإسماعيل بورغيدة" وعقده لندوة صحفية يوم 20 أوت 1956م في ختام الزيارة التي وصفها بالناجحة[4]، كانت الثورة تشهد حدثا بارزا رسم مستقبلها هو انعقاد "مؤتمر الصّومام"

---

[1]– أحمد توفيق المدني: حياة كفاح،ج3، المصدر السابق ،ص 130.

[2]– الإعلام ومهامه أثناء الثورة : سلسلة ملتقيات ودراسات وبحوث الملتقى الوطني الأول حول الإعلام والإعلام المضاد، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحرية الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، بلا تاريخ، ص ص 196–197.

[3]– أحمد توفيق المدني: حياة كفاح،ج3، المصدر السابق،ص 242.

*–إذاعة صوت العرب : تأسست في شهر جويلية 1952 بعد الإطاحة بالنظام الملكي المصري وقيام النظام الثوري الذي هذف عبر هذه القناة إلى مناصرة قضايا التحرر والإستقلال العربي إعلاميا وسياسيا وقد كانت هذه الإذاعة قوة موازية ومدعمة للثورة الجزائرية في مواجهة الدعاية الإعلامية الفرنسية.

[4]– أحمد توفيق المدني: حياة كفاح،ج3، المصدر السابق،ص ص 176–200.

في منطقة إيفري ببجاية في نفس هذا التاريخ، ودامت أشغاله إلى التاسع عشر سبتمبر 1956م،والذي حضر أشغاله القادة:"زيغود يوسف"،"لخضر بن طوبال"و "مصطفى بن عودة" و"علي كافي"، و"رويبح حوسين"، "إبراهيم مزهودي" عن المنطقة الثانية و"كريم بلقاسم" و"محمدي السعيد"، و"عميروش" و"قاسي" عن المنطقة الثالثة و"عمر أوعمران" و"سليمان دهيليس"و"أحمد بوقرة" عن المنطقة الرابعة، و"العربي بن مهيدي" عن المنطقة الخامسة و"علي ملاح" عن المنطقة السادسة، وكان "عبان رمضان" هو الأمين السياسي للمؤتمر، وهذا في غياب الوفد الخارجي وعدم حضور ممثلي الأوراس[1].

وكان من قرارات المؤتمر التي نصّت عليها وثيقة الصّومام هي تدعيم و تجهيز الثورة بمؤسسات قيادية قادرة على مجابهة التحدّيات الي فرضتها ظروف الثورة سياسيا وعسكريا، فكان إنشاء لجنة التنسيق والتنفيذ التي تكوّنت من خمسة أعضاء في أول الأمر وهم "عبان رمضان" و"العربي بن مهيدي"، "كريم بلقاسم" و"بن يوسف بن خدّة" و"سعد دحلب"، تمثّل هذه اللّجنة قيادة الأركان العليا لجبهة التحرير الوطني[2] ،وإستحداث مجلس وطني للثورة الجزائرية يضمّ 34 عضوا،منهم 17 عضوا دائمون، و17 عضوا إحتياطيون، ويجتمع المجلس الوطني مبدئيا مرّة واحدة في العام بدعوة من لجنة التّنسيق والتّنفيذ، ويمكن أن يجتمع إستثناءا عند إسدعاء الحاجة ، وهو المخول له وحده الأمر بوقف إطلاق النار، أو الدّخول في مفاوضات، وإحتفظ المؤتمر لجبهة التحرير الوطني بالحقّ الحصري بالتكلم بإسم الجزائر[3].

1-Benjamin stora.Zakya Daoud. Op-cit.pp264-265

2-Ben youcef ben khedda :Abane-ben ,M'hidi :leur apport à la révolution Algérienne,édition ;Dahleb,Alger :2000,p30

3- محمد حربي: الجزائر 1962,1954 جبهة التحرير الوطني الأسطورة الواقع' ترجمة كميل قيصر داغر، ط1،مؤسسة الأبحاث العربية، دار الكلمة للنشر، بيروت، لبنان: 1983، ص 154.

وفي هذا السّياق يصف الشيخ "أحمد توفيق المدني" مؤتمر الصومام بقوله:[1] (لا أعرف ثورة تمكّنت من إحداث ذلك الظّام، وإقرار تلك المسؤولية، وتحديد تلك الأهداف، كما نجحت الثورة الجزائرية العملاقة بذلك المؤتمر الصّغير في حجمه، العظيم بأعماله).

وحسب "سليمان الشيخ" فإنه بدءا من مؤتمر الصّومام أخذ ممثّلو التشكيلات السياسية القديمة في الوصول إلى مجلس إدارة الثورة، وهكذا نلاحظ في المجلس الوطني للثورة أسماء مثال:" فرحات عباس " و"أحمد فرانسيس" و" أحمد توفيق المدني" و "بن يوسف بن خدة"، أما لجنة التنسيق والتنفيذ فنلاحظ إلى جانب من كانوا في راس انطلاق الثورة كالعربي بن مهيدي و"كريم بلقاسم" ظهور أسماء من قدماء المركزيين وهما: "بن يوسف بن خدة" و"سعد دحلب" أما "عبان رمضان" العضو الخامس في اللجنة والمحرك الأول لمؤتمر الصومام، فكان أقل وضوحا من هذين الأخرين من ناحية الإنتماءات السابقة.

ويرى من جهة أخرى أن إدخال ممثلي التشكيلات السياسية القديمة، ولا سيّما الإصلاحيين منهم داخل المجلس القيّادي لجبهة التّحرير الوطني، أثار بين المؤتميرين جدل كبير من المناقشات الحادّة، فيها أنصار القطيعة مع الأحزاب القديمة، ضدّ أنصار الإنفتاح على رجال هذه الأحزاب،أي بعبارة أخرى بين من يريد أن تكون جبهة التحرير الوطني طليعية بالمعنى الكامل،وبين من لا يرى بأسا في التّعاون مع قدماء السياسيين ولكن الحل الليبرالي هو الذي غلب الحلول الأخرى[2].

وفي نظر توفيق المدني، فإن مؤتمر الصومام قد وضع حدا لحالة الإرتباك في القيادة وحالة الإضطراب السّياسي وذلك بخضوع الجميع لسلطة مركزية واحدة، حيث إتحدت مناطق النّفوذ

---

[1]– أحمد توفيق المدني: حياة كفاح،ج3، المصدر السابق،ص ص 230–231.

[2]– سليمان الشيخ: الجزائر تحمل السلاح دراسة في تاريخ الحركة لوطنية والثورة المسلحة، ترجمة حافظ الجمالي، منشورات الذكرى الأربعين للإستقلال، وزارة المجاهدين، 2002، ص 79.

ومناطق القبّلات، وإنتهت فوضى لجنة الستّة، فأصبح هو ورفاقه بالقاهرة يعرفون صفاتهم وتحدّدت وظيفتهم و واجباتهم، والجهة التي يتبعونها[1].

إن عضوية "المدني" في المجلس الوطني للثّورة الجزائرية وتعينه من بين أعضائه الـ17 الدّائمين، هو إعتراف من قيّادة الثورة بمكانته وأهمية الدّور الذّي يلعبه حيث أظهر كفاءة عاليةودبلوماسية نشطة، وحضورا إعلاميا مكثّفاو متميزا في ظرف لا يتعدى الأربعة أشهر من وصوله القاهرة .

وفي هذه الظّروف الدّاخلية والخارجية للثّورة التي ميّزها صدى مؤتمر الصّومام يفاجأ الجزائريون، والرأي العام العالمي بقيام سلاح الطّيران الفرنسي بعملية قرصنة جوّية باختطاف الطائرة المقلّة لوفد جبهة التّحرير الوطني المتّجه من المملكة المغربية إلى تونس لحضور ندوة مغاربية[2]. وذلك يوم 22 أكتوبر 1956م، ويتم إلقاء القبض على القادة الخمسة: "أحمد بن بلة"،"محمد خيضر"،"حسين آيت أحمد"،"محمد بوضياف"،"مصطفى الأشرف" .

وعن قضية الإختطاف هذه وظروف سفر هؤلاء القادة، ووقوع الإحتجاز، يقول "توفيقالمدني"، أنّه قبل الحادثة بنحو أسبوع إجتمع في 13 أكتوبر 1956م بمكتب العقيد "فتحي الذّيب" المكلّف بملف الثورة الجزائرية لدى الإستخبارات المصرية كلّ من "أحمد بن بلة" و"محمد خيضر"، "أحمد توفيق المدني"، وخلال اللّقاء الذي جرى تمّ إبلاغ المسؤول المصري بسفر الرّجلين إلى المملكة المغربية، وهو الأمر الذّي حذّر منه العقيد "فتحي الذيب" مذكّرا "أحمد بن بلة" بأنّموقف التحذير هذا، هو نفسه موقف الرّئيس "جمال عبد الناصر"كون القيادة المصرية توصّلت بمعلومات تفيد بتدبير مؤامرة ضدّالوفد، إلا أنّ "إبن بلةأصرّ على موقفه بالذّهاب تلبية لقرار قيادة الثورة[3] .

---

[1]– المدني: حياة كفاح،ج3، المصدر السابق،ص ص 230–231.

2-Benjamin stora.Zakya Daoud. Op-cit.p286

[3]– المدني: حياة كفاح،ج3، المصدر السابق،ص ص 213–214.

وفي هذه الظّرف وجد المدني نفسة وحيدا إزاء هذه المحنة بالقاهرة يباشر مهام البعثة من أعمال واتصالات، على إعتبار أنّ باقي الأعضاء كانوا في مهمات خارج مصر، حيث سافر كلّ من"محمد الأمين دباغين" و"أحمد فرانسيس" إلى تركيا، و"فرحات عبّاس" و"عبد الرحمن كيوان" إلى أمريكا الجنوبية[1].

لم تكن نظرة "توفيق المدني" إلى عملية الإختطاف وسجن القادة الخمسة وخصوصا "أحمد بن بلّة"و"محمد خيضر" هي أنّها قد أزالت عقبة في طريق وحدة القيّادة، وأنّ الحادثة قد أوجدت إتحاد بين مختلف الجزائريين بما في ذلك الذّين لم يشتركوا في إشعال نار الثّورة وهم قلّة.

بحيث يرى "توفيق المدني"أنّ الرّجلين لوبقيّ على رأس الوفد لما وافقا كلية على مقرّرات مؤتمر الصومام أو على جلّها، ولوقع تبعا لذلك خلاف مرير، كان حتما يضرّ بمصلحة الثّورة وبالتالي نجت الثّورة من حصول إنقسام خطير[2].

ولعلّ حرص "توفيق المدني" على وحدة القيّادة وعلى سمعة الثورة التحريرية وتفويت الفرصة على العدو الفرنسي، هي الخلفيات التي بنى عليها هذا الرأي، فـ"المدني"معروف ببعده عن كل المؤامرات وصراع المجموعات، فهدفه كمناضل شريف خدمة القضية الوطنية لا غير.

وبعد حادثة الاختطاف،وإنتشار الخبر قام "المدني" بالتنسيق مع القيّادة المصرية، وكان يمثّلها الرّجلان القويّان "فتحي الذيب"وعزّت سليمان" بتحليل الأوضاع فاتّضح للجميع عنصرالخيّانة والتآمر في وقائع الحادثة، وقد جرى تبادل النقاش حول آليات التحرك، واتفق على تحديد مخطط هدفه الحفاظ على معنويات جيش التحرير الوطني في الجزائرللحفاظ على إستمرار الثّورة[3].

---

[1]– أحمد توفيق المدني: حياة كفاح،ج3، المصدر السابق ،ص 214.

[2]– عمار بوحوش: المرجع السابق، ص ص 278–279.

[3]– فتحي الذيب: عبد الناصر وثورة الجزائر،ط1،دار المستقبل العربي للنشر والتوزيع، القاهرة: 1984ص268.

ويذكر "فتحي الذيب" أنّه طلب من "توفيق المدني" القيام بسلسلة من التّحركات وهذا بعد أخذ موافقة الرّئيس "جمال عبد الناصر" عليها من ضمنها :

- إذاعة بيان باسم جيش وجبهة التحرير الوطني من إذاعة "صوت العرب" عدّة مرّات لطمأنة الشّعب الجزائري والرأي العام العربي.

- تكليف السّيد "توفيق المدني"بإبلاغ مجلس الجامعة العربية، بأنّ الحادث لا يؤثر في سير الكفاح، والمطالبة بإعلان التّضامن مع الجزائر.

- تكليف توفيق المدني ممثّل جبهة التحرير الوطني، بإرسال برقيات إلى السّلطات المغربية والتّونسية لمطالبتها بالتّدخل العاجل وتحمّل مسؤوليتها تجاه الزّعماء المعتقلين.

- قيام "توفيق المدني" بعقد مؤتمر صحفي للتّنديد بالسّلوك الفرنسي، وإظهار تماسك الجبهة والجيش[1] .

والملاحظ أنّ "أحمد توفيق المدني" قد لعب دورا هاما في هذه التّحركات، حيث قام مساءا يوم 23 أكتوبر 1956م، بإذاعة بيان جبهة التحرير الوطني، عبر أمواج إذاعة "صوت العرب" موجّها إلى الشعب الجزائري عدة مرات[2]، مؤكّدا فيه، أنّ الثورة هي ثورة شعب لا ثورة أفراد، وأنّ لديها من الإمكانيات المادية والأدبية ما يقودها إلى الإنتصار.

كما دعا الأمّة العربية إلى إعلان الإضراب العام، وهو ما تحقّق فعلا يوم 28 أكتوبر 1956م، وقد نشر "توفيق المدني" بيانا بإسم الدّكتور"الأمين دبّاغين" من خلال إذاعة صوت العرب في نفس اليوم شكر أثناءه العرب على وقفتهم التّضامنية الشجاعة ،و سيّما مما جاء في البيان[3] :(أيّتها الأمّة العربية الماجدة بإسم جيش التحرير الوطني وبإسم جبهة التّحرير الوطني يرفع

---

[1]- فتحي الذيب: المصدر السابق،ص ص 268-270.

[2]- نفسه،ص 271.

[3]- المدني: حياة كفاح،ج3، المصدر السابق،ص ص 220-221.

الوفد الجزائري شكره العميق وإمتنانه للأمّة العربية في كل أجزاء الوطن العربي الكبير..إنّ إضراب اليوم كان إستفتاءا عربيا عامّا، أظهر للعالم أجمع متانة الوحدة العربية، لقد إزداد العرب بهذا اليوم إتحادا وإزدادت الجزائر بهذا اليوم ثقة بالنّصر).

هذا الإضراب الذّي علّق عليه"فتحي الذيب" بالقول[1] :(كان قرار الإضراب العام يوم 28 أكتوبر، تعبيرا واقعيّا لوحدة موقف جماهير الأمّة العربية، وعن رفضها للإستعمار ومؤامراته، ووقوفا إلى جانب الثّورة الجزائرية..ونجح الإضراب العام، وشمل كافّة أقطار وأنحاء الوطن العربي، الأمر الذّي جسّد وحدة الإرادة الشّعبية، وسخطها العام على التآمر الإستعماري).

وفي خضم التطورات التي عرفتها الثورة في هذه الاثناء، ووفقا لمبدأ تطور أسلوب العمل بشكل دائم، تقرر في الثامن من مارس 1957م، تشكيل مكتب القاهرة التابع للبعثة الخارجية لجبهة التحرير الوطني وقد عين "أحمد توفيق المدني" رئيسا له ،الدكتور "أحمد فرانسيس"كاتبا منسقا، وبعضوية كل من "العباس بن الشيخ الحسين"، "حامد روابحية"، و"عبد الرحمن كيوان"[2].

وقد كانت مهام المكتب، تنفيذ قرارت لجنة التنسيق والتنفيذ فيما يخص العلاقات مع الحكومة المصرية، الجامعة العربية، والسّلك الدّيبلوماسي المعتمد بالقاهرة، وكذا الشّخصيات والمنظمّات غير الحكومية العربية، بالإضافة إلى العمل الدّعائي عبر الصّحف والإذاعة لصالح الثورة ومتابعة كل ما ينشر، ويذاع عن القضية الجزائرية، وتقديم المعلومات والتصحيحات التي من الممكن أن يتطلّبها الأمر، وكذا القيام بنشاطات إدارية تتعلق بوضعية أعضائه، ورجال الوفد بصفة عامة من حيث الإقامة والتنّقلات، والإهتمام بشؤون الطّلبة الجزائريين بمصر[3] .

ور أى "توفيق المدني" أنّه يجب إيجاد وسيلة للتّعريف أكثر بالجزائر وتاريخها لدى العالم العربي والإسلامي، وفضح الدّعاية الإستعمارية التي حاولت فرنسا ترسيخها بفصل الجزائر عن

---

[1]– فتحي الذيب: المصدر السابق،ص280.

[2]– المدني: حياة كفاح،ج3، المصدر السابق،ص 286.

[3]– نفسه،ص 130.

إنتمائها الحضاري، فأصدر كتابا بعنوان "**هذه هي الجزائر**"، والذّي كان تعريفا وجوابا لكثير من الأسئلة التي كانت تلقى في مختلف أنحاء العالم [1]، وكان ذلك سنة1956 م[2]، وعن هذا الكتاب يقول صاحبه[3] (أنا لم أكتبه للدّعاية، إنّما كتبته تسجيلا للوقائع، وتعريفا علميا بهذا القطر وبهذا الشعب، هذه الأمّة التي أدهشت العالم بجهدها، وأبهرت الدّنيا بشبابها أمام أعظم قوة استعمارية...تشهد على يدها مصرع الظّالمين، وتمزيق آخر صفحة من صفحات الإستعمار).

كما أنّ نشاط "المدني" الدّبلوماسي ، شمل دوائر عديدة ، فزيادة على علاقاته و إتصالاته بالقيادة المصرية منذ دخوله القاهرة في شهر أفريل 1956 م، و"بالرئيس جمال عبد الناصر " شخصيا ، كان يعتبر مندوب البعثة لدى الجامعة العربية ، يحضر إجتماعاتها ، و يقدّم البيانات التي تتضمّن الحالة العامة لكفاح الشعب الجزائري ، فقد حضر إجتماع اللّجنة السّياسية للجامعة في09 مارس 1957م و بالمناسبة عرض تقريرا ، لاحظ من خلاله تقصيرا من جانب السفارات والمفوّضيات العربية فيما يخص الدّعاية لصالح القضية الجزائرية 4 .

وقد جال "المدني" معظم الأقطار العربية و الإسلامية ، في إطار مهامه السياسية ،المكف بها من قبل جبهة التحرير، مشاركا في الندوات ، أو داعيا لمؤازرة الثورة الجزائرية ماليا و سياسيا ففي الفترة ما بين أفريل 1956 و أفريل 1958زار ليبيا أربع مرّات و سوريا و العراق مرّتين وتونس خمس مرّات ، و الكويت و لبنان و السعودية و الأردن و السودان و المغرب الأقصى و أندونيسيا والباكستان و ماليزيا و سنغافورة ،و التقى خلالها بالعديد من القيادات السياسية و الشعبية

---

[1]– خليفة الجندي:" حوار حول كتاب 80 سنة على الجزائر العثمانية" مجلة الأصالة، العدد 20،الجزائر: ماي، جوان، 1974، ص 225.

[2] – انتهى المدني من تأليف الكتاب في أواخر جويلية 1956 وكان إنجازه بإلحاح من الدكتور "فؤاد جلال" رئيس الخريجين العرب، وقد رسم واجهة الكتاب أحد الرسامين اليونانيين

[3]– محمدال طمار: المرجع السابق، ص 446.

[4] – المدني : حياة كفاح ، ج3 ، المصدر السابق ، ص ص 289 –292 .

قابل معظم الزّعماء العرب الفاعلين آنذاك كالملك "سعود بن عبد العزيز"و"الملك "حسين بن طلال" والأمير"عبد الله السالم الصباحّ والملك"إدريس السنوسي" ، والرئيس" أحمد سوكارنو"1.

و بحنكته السياسية و دبلوماسيته ، و موهبته الخطابية إستطاع "توفيق المدني" كسب تعاطفا ومساعدة واسعة ماديّا و معنويا لصالح الثورة التحريرية .

و نذكر هنا بعض زياراته التي كان لها صدى طيب ، و أسهمت في حل إشكاليات مختلفة إعترضت مسيرة الثورة وخصوصا على الحدود الشرقية و الغربية للبلاد،حيث إستثمر"المدني" علاقاته الحسنة بدول الجوار لمصلحة الثورة و ركّز جهوده الدّبلوماسية بهذه المنطقة و يتجلّى ذلك من خلال رصد حركة الزيّارات التي قام بها إلى كل من ليبيا ،تونس و المغرب ، ففي ليبيا و نظرا لأهميتها في تسهيل مرور الدّعم العسكري ، فقد تركّزت جهود المسؤولين الجزائريين على تفعيل خطوط إمدادات الأسلحة برّا باتجاه الصحراء الجزائرية وعقد الوفد الجزائري الذي تكون أساسا من "توفيق المدني" و"الأمين دباغين" عدّة لقاءات مع المسؤولين اللّيبين بداية من شهر ماي 1956م والذين إستجابوا للمطالب الجزائرية 2 .

و بعد العدوان الثلاثي على مصر ، ساءت العلاقات المصرية اللّيبية نظرا للتواجد الإنجليزي بليبيا ، ممانعكس على قضية مرور الأسلحة برّا، فالحدود بين البلدين أصبحت شبه مغلقة وبسبب عدم الإتفاق المصري اللّيبي على كيفية مرور الأسلحة ،انتقل "المدني"مجدّدا إلى ليبيا في 04 ديسمبر 1956م، حيث قابل الملك "إدريس السنوسي"وإستطاع خلال المقابلة التّأثير على موقف الملك الذّي أمر بإعادة فتح الحدود ، و إعلان التضامن المطلق مع الجزائر 3 .

---

[1] – المدني : حياة كفاح ، ج3 ، المصدر السابق ، ص ص، 139 – 371 .

[2] –– انتهى المدني من تأليف الكتاب في أواخر جويلية 1956 وكان إنجازه بإلحاح من الدكتور "فؤاد جلال" رئيس الخريجين العرب، وقد رسم واجهة الكتاب أحد الرسامين اليونانيين مقلاتي عبد الله :" الموقف السياسي و الدبلوماسي الليبي الثورة الجزائرية " مجلة الحوار الفكري ،العدد 05 ،مخبر الدراسات التاريخية و الفلسفية ، جامعة قسنطينة :أوت 2003، ص 144 .

[3] – أحمد توفيق المدني : حياة كفاح ، ج3 ، المصدر السابق ، ص ص 145-146 .

أمّا إتصالاته بالمغرب الأقصى ، فجدير بالإشارة إلى أنّ العلاقات بين السلطات المغربية و جبهة التحرير الوطني قد شهدت عدّة خلافات تتعلق بمشاكل الجالية الجزائرية اللاّ جئة بالمغرب و مسألة إمدادات الأسلحة ،و تنقّل عناصر الجبهة داخل التراب المغربي ،بالإضافة إلى المطالب الترابية ،فيما يخص أجزاء من المناطق الجنوبية الغربية للجزائر ،علاوة على عدم فهم المغاربة بشكل جيد للتوجهات الايديولوجية لجبهة التحرير الوطني ،غير أنّ "توفيق المدني" ساهم خلال زيارته للمغرب رفقة "الأمين دباغين" في شهر فيفري1957م مقابلة القيادة المغربية وفي طليعتها الملك "محمد الخامس" في إحراز تسوية لإشكاليّة نقل الأسلحة داخل الأراضي المغربية من طرف عناصر الجبهة 1.

كما شارك في وفد رسمي لجبهة التحرير يقوده "الأمين دباغين " و" فرحات عباس "و ممثل الجبهة بالمغرب الشّيخ "محمد خير الدين"في لقاء مع وليّ العهد المغربي بتاريخ 23 أفريل 1957م لدراسة مقترحات أمريكية لحلّالمشكل الجزائري إلاّ أنّ اللقاء آل إلى الفشل لتصلب موقف ممثّلي الجبهة و عدم تقديم تنازلات 2، كما تمكّن "المدني" في شهر فيفري 1957م ،أن يقنع المغاربة حول إيديولوجية الثورة ،و يزيل عنها كل ضبابية ،حين أكّد على توجهاتها الإسلامية و العربية بالقول3 : (إن الثورة الجزائرية لا تعمل إلا في دائرة الإسلام و العروبة ، و وحدة المغرب العربي).

وفي سياق نشاطه الدّبلوماسي إستطاع " توفيق المدني " رفقة أعضاء الوفد الآخرين باقناع السفير التونسي بالقاهرة السيد "الصادق المقدم" بتغيير موقف الحكومة التونسية ونظرتها لممثلي الثورة"،بعد الأزمة التي أحدثها ممثل جبهة التحرير الوطني في تونس" أحمد محساس "، الذي إستطاع أن يقيم علاقات قويّة مع "الحبيب بورقيبة " الرئيس التونسي فضلا عن علاقاته " بأحمد بن بلة "، بسبب معارضته لقرارات مؤتمر الصومام مما خلق صعوبات للجنة التنسيق و التنفيذ واإستغل التونسيّون

---

[1] – المدني : حياة كفاح ،ج3 ،المصدر السابق ،ص ص 336–337 .

[2] – نفسه ،ص 340 .

[3] – عبد الكريم بوصفصاف و آخرون : القيم الفكرية و الانسانية في الثورة التحريرية الجزائرية 54 – 1962 ،ج 1 ،منشورات مخبر الدراسات التاريخية و الفلسفية ،جامعة منتوري قسنطينة : 2003 ص 285 .

هذا الإشقاق للضّغط على الجزائريّين ،ولذلك أرسل وفد بقيادة "الأمين دباغين"،في 05 ديسمبر 1956 م،لاقناع القيادة التونسية بوجوب التعامل مع القيادة التي أفرزها مؤتمر الصّومام ، وعدم الالتفات إلى الدّعاية التي يقوم بها " أحمد محساس "1 .

غير أن المشاكل إستجدّت بين العناصر الجزائرية النّشطة على الحدود التّونسية و السلطات التونسية و برزت أكثر بعد عدوان ساقية سيدي يوسف في 08 فيفري 1958 م،لذلك و لتطويق الموقف سافر" أحمد توفيق المدني" في 05 مارس 1958م الى تونس حيث أجرى عدّة إتصالات بقيادات الحزب الدستوري و مسؤولين رسميّين توّجت بإزالة عقبات الخلاف ،وتفويت الفرصة على المخابرات الفرنسية فهدأت الخواطر و عادت المياه إلى مجاريها 2 .

و عليه فإن النشاطات الدّبلوماسية و الإعلامية التي قام بها "أحمد توفيق المدني"،و بقيّة المناضلين و تحركاتهم في إتجاهات عديدة شكّلت أرضية مهّدت و هيّأت الظروف لميلاد الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية .

المبحث الثالث: نشاطه ضمن الحكومة الجزائرية المؤقّتة 1958-1962م .

خلال الإجتماع الثّاني للمجلس الوطني للثورة الجزائرية ، أوكل أمر تشكيل الحكومة المؤقتة إلى لجنة التنسيق و التّنفيذ و فوّضها الإعلان عن ذلك متى رأت الظّروف مناسبة .

و في هذا الصّدد يرى "توفيق المدني" الذّي كان عضوا دائما بالمجلس الوطني للثورة،أنّ مشاورات تعيين الحكومة قد شهدت الكثير من الخلافات،وأنّ القيادة المصرية لم تكن مؤيّدة لقيام هذه الحكومة خاصةّ و أن الزعّامات المقرّبة منها "كأحمد بن بلة " كانت في السّجن كما أنّ

---

[1] – المدني : حياة كفاح ،ج3 ،المصدر السابق ، ص336 .

[2] – نفسه ، ص ص ، 366 – 367 .

العلاقات بين المصريين و"فرحات عباس"، كان تتّسم بالفتور ،ومستوى الثقة كان متدنّيا بين الطّرفين ،فالمصريون ينظرون إليه على أنّه إختراق سياسي فرنسي للثورة [1] .

ويقول "علي كافي"[2] عن أمر تشكيل الحكومة الجزائرية المؤقّتة (أنّه رغم المآخذ على طريقة تشكيل هذه الحكومة إلاّ أنّها إعتبرت حدثا تاريخيا ،وبعثا للدّولة الجزائرية ،و إنتقاما ساطعا من لطخة سيدي فرج ذلك أنّ الشعب المهتمّ بكل ما يرجع له كرامته قد استقبل النبأ بكلّ حماس و فرحة إذ للمرّة الأولى منذ 1830م،تولد حكومة بجهد الشعب الجزائري)[3].

و رغم الصّعوبات االمختلفة فقد تمّ إعلان قيام أول حكومة مؤقتة للجمهورية الجزائرية يوم 19 سبتمبر 1958م بالقاهرة [4]،و التي حلّت محل لجنة التنسيق و التنفيذ [5] .

وقد ضمّت تشكيلة هذهالحكومة رئيسا و نائبين للرّئيس ،وأربعة وزراء دولة، وتسعة وزراء وثلاثة كتاب دولة [6] :

- فرحات عباس — رئيس المجلس الوزاري .
- كريم بلقاسم — نائب رئيس المجلس و وزير القوّات المسلحة.
- أحمد بن بلّة — نائب رئيس المجلس.

---

[1] – المدني : حياة كفاح ،ج3 ،المصدر السابق،ص 399 .

[2] -علي كافي : ولد بمدينة الحروش بسكيكدة ،درس بالكتانية بقسنطينة ،انتقل إلى جامع الزيتونة سنة 1950 ،و التحق صفوف جبهة التحرير سنة 1955،شارك في تحضير هجومات 20 أوت 1955 و في أشغال مؤتمر الصومام ، و أصبح قائد للولاية الثانية ، و عضوا بالمجلس الوطني للثورة الجزائرية ، و عين في شهر سبتمبر 1961 سفير بالقاهرة ، و بعد الاستقلال وصل أعلى هرم السلطة ، حين أصبح عضوا بالمجلس الأعلى للدولة سنة 1992 ، تم رئيسا له لمدة سنتين لغاية 1994.

[3] – علي كافي : مذكرات الرئيس علي كافي ،من المناضل السياسي إلى القائد العسكري 1946– 1962 ،دار القصبة للنشر الجزائر : 1999 ،ص 225 .

[4] - انظر الملحق رقم: 05.

[5] – بن يوسف بن خدة : نهاية حرب التحرير في الجزائر اتفاقيات إيفيان ، تعريب لحسن زغدار و محل العين جبائلي ،ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر : 1986، ص 52.

3-Benjamin stora zakya Daoud op-cit P299

- حسين آيت أحمد وزير دولة .
- محمد بوضياف وزير دولة .
- رابح بيطاط وزير دولة .
- محمد خيضر وزير دولة .
- محمد الأمين دباغين وزير الشؤون الخارجية .
- محمود الشريف وزير التسليح و التموين .
- لخضر بن طوبال وزير الداخلية .
- عبد الحفيظ بو الصوف وزير الاتصالات العامة و المواصلات
- عبد الحميد مهري وزير شؤون شمال إفريقيا .
- أحمد فرانسيس وزير المالية .
- أمحمد يزيد وزير الإعلام .
- بن يوسف بن خدة وزير الشؤون الاجتماعية .
- أحمد توفيق المدني وزير الشؤون الثقافية .
- عمر اوصديق كاتب دولة .
- لمين خان كاتب دولة .
- مصطفى أسطنبولي كاتب دولة .

و لقي تشكيل الحكومة الجزائرية إعترافات دوّلية كانت أوّلها وفي اليوم الأول، من الجمهورية العربية المتحدة(مصر+سوريا)،العراق، ليبيا الباكستان و اليمن [1] ،ثم جاءت الإعترافات من العربية السعودية ، الأردن و السودان، و قد توالت الإعترافات بها من بلدان القارتين الآسيوية و الافريقيـــة [2] .

[1] – أحمد توفيق المدني : حياة كفاح ،ج 3 ، المصدر السابق ، ص 400.

[2] -**Benjamin stora zakya Daoud op-cit p 301.**

و من خلال قراءة قائمة أعضاء الحكومة ، يتضح أن التّشكيلة ضمّت كل التّيارات السياسية التي ذابت في هيكل جبهة التحرير الوطني ، و لمّا كانت الحكومة مقيمة بالقاهرة فلا بدّ أن علاقتها و إتصالاتها بالقيادة المصرية كانت كبيرة ، و كان مهمّا جدّا لدى القيادة المصرية معرفة انتماءات و توجّهات الأعضاء المشكلين لها، و فيما يتعلق بهذه النقطة فقد قدّم " فتحي الذيب" تحليلا لشخصيات وراء الحكومة المؤقتة إلى الرّئيس"جمال عبد الناصر" ومنهم "احمد توفيق المدني" حيث كتب عن شخصيته يقول [1] : (من أعضاء جمعية العلماء الجزائريين الذين إنضمّوا للثورة بعد قيّامها ، مؤرخ عربي الأصل و التفكير و الثقافة و الإتجاه المخلص لعروبته و بلده يقف بعيدا عن الإلتزامات المتصارعة و إن كان يوافق على رأي الأغلبية بغضّ النظر عن قناعاته الشخصية) .

و حسب تشكيلة الحكومة فإن "المدني" أسندت له وزارة الشؤون الثقافية ، و عن نشاطاته بها بعد تعيينه فقد ذكر أنه خلال أول إجتماع للحكومة عقد في اليوم الثاني لتأسيسها أي يوم 20 سبتمبر 1958م، طرح فكرة رفع الحظر الذي ضربته جبهة التحرير الوطني على جامعة الجزائر ،يوم نادت الطّلاب إلى إضراب 19 ماي 1956م بالتخلّي عن الدّراسة في المدارس الحكومية ،و الإلتحاق بصفوف جيش التحرير الوطني، و هو ما صادق عليه الاتحاد العام للطّلاب الجزائريين ، و قد قامت فيما بعد لجنة التّنسيق و التّنفيذ في شهر أكتوبر 1957 م، بإصدار قرار يقضي بالسّماح لتلاميذ الثّانويات باستئناف دراستهم و أبقت الحظرعلى طلاب جامعة الجزائر، لذلك طالب "المدني" من مجلس الحكومة المؤقّتة إعلان رفع الحظر و هوما تقرّر فعلا و تجسّد في شهر أكتوبر 1958م ، و هذه المبادرة كانت أبعادها ترمي إلى إعداد إطارات الاستقلال [2].

ومن خلال الحوار الذي أجرته جريدة "المجاهد" بعد شهرين و نصف من تشكيل الحكومة مع السيد الوزير "أحمد توفيق المدني"(*) ، أكدّ خلاله أن الوزارة قد قامت بدراسة المشاكل التي

---

[1] – فتحي الذيب : المصدر السابق ، ص 394.

[2] – أحمد توفيق المدني : حياة كفاح ،ج3 ، المصدر السابق ، ص ص 404-405 .

(*) أنظر الملحق رقم: 06.

تواجه الطّلبة الجزائريين في جميع مراحل التعليم ،و عبر مختلف البلدان العربية و الأوربية و أنها قرّرت تأمين وسائل العلاج الطبي و المأوى للطّلبة الجزائريين المتواجدين بمصر ،وتونس، والمغرب و سوريا كما شكّلت لجنة علمية و فنّية لدراسة برامج التعليم في الجزائر في المستقبل، بما يتماشى و أرقى مناهج التعليم العصرية 1، فقد أعطى "المدني" كوزير للثقافة عناية خاصة لتكوين الطّلبة في مختلف التخصّصات و الإستفادة من التجارب العالمية ، تحضيرا للمستقبل ،حيث قال في هذا الإطار (أريد أن أرى في جزائر الغدّالقريب طائفة صالحة متخرّجة من كل جامعات الدنيا ، من أقصى مشرقها لأقصى مغربها ،حتى نتمكّن من الإسفادة من مجموع أوجه النّشاط الفكري و العلمي في العالم ، و نأخذ من كل طريقة أحسنها و أكثرها فائدة للقطر الجزائري) 2 .

و قد واجهت الحكومة خلال نشاطاتها السّياسية مشاكل عدّة منها التي أثارها "العقيدالعموري" مسؤول الولاية الأولى و مجموعة من الضباط بتشجيع من الجهات المصرية حسب تقديرات البعض لم يكن ينظر بعين الرّضى لبعض العناصر المشكّلة للحكومة ،و خاصة رئيسها " فرحات عباس "الرّافض للديكتاتوريات العربية ،و المتّهم حسبهم بميولاته للغرب ، و قد إكتشفت تلك المؤامرة بمساعدة المخابرات التونسية،و أقيمت محكمة عسكرية ترأسها العقيد" هواري بومدين" وتم الحكم بإعدام" العقيد العموري" و بعض معاونيه في شهر مارس 1959 م3 .

و كان موقف "المدني" من هذه الحادثة ، حيث يذكر أنّه لم يعلم كيف وقعت المحاكمة التي تولاّ ها وزير الحرب" كريم بلقاسم" ،مبرزا أنّ الحادثة خلّفت تأثيرات عميقة ،حيث تعكّرت الحالة بين الوزراء المدنيّين و العسكريين في الحكم ،و إزدادت شقّة الخلاف بينهما 4 .

و تتعرّض الحكومة المؤقتة إلى أزمة أخرى في شهر جانفي 1959 م عرفت بقضية "عميرة"و هذه الشخصية تعدّ أحد أعضاء حزب الشعب الجزائري وصديقا مقرّبا من" الأمين دبّاغين"

---

[1] – جريدة المجاهد : العدد 33، 08 ديسمبر 1958 ص 11 .

[2] – نفس المكان .

[3] – عز الدين معزة : المرجع السابق ، ص ص 243-244 .

[4] – أحمد توفيق المدني : حياة كفاح ، ج 3 ، المصدر السابق ص 406 .

وكان يشغل منصبا في ممثليّة الحكومة ببيروت ،ومن موقعه أخذ يشنّ حملة ضد الحكومة المؤقّتة و بعد إستدعائه إلى القاهرة في مطلع سنة 1959م، إنطلق في حملة ضد " فرحات عباس " جمعت بين الإساءة الشخصية و التّنديد السيّاسي و تتطوّر الأمور و تشتدّ الخصومة و يسقط ميّتا بالقرب من مقر الحكومة المؤقّتة بالقاهرة فاندلعت حرب الكتل وزاد الصّراع بين"الأمين دباغين" ورئيس الحكومة " فرحات عباس و" عبر هذه القضية حاولت السلطات المصرية تفجير الحكومة المؤقتة [1].

غير أنّ الشيء الإيجابي ،والملفت للإنتباه في مسار الثّورة ،أن هذه الصراعات و المشاكل ظلّت على مستوى القيادة ، و لم تنزل إلى الشارع الجزائري الذي ربما سمع ببعضها همسا دون أن يكون لها صدى مؤثر على تجنّده و إلتفافه حول زعماء ثورته، وبالمقابل لم تقف في طريق ممارسة أعضاء الحكومة الجزائرية لنشاطاتهم الدّعائية لصالح القضية الجزائرية ،من بينهم " توفيق المدني" الذي قام بمعركة دبلوماسية حقيقية لكسب الاعتراف العالمي بها، كممثل للثورة الجزائرية ،و مفاوض وحيد مع السلطات الاستعمارية الفرنسية و لبلوغ هذه الغاية تحرّك الوزراء في جميع الإتجاهات

وضمن نشاطه الدّبلوماسي في الحكومة المؤقتة ، زار العديد من بلدان المغرب العربي حيث انتقل إلى ليبيا ، رفقة رئيس الحكومة " فرحات عباس" و عدد من الوزراء في أواخر عام 1959 م، و حظي الوفد باستقبال جماهيري و رسمي كبير عبر عن مساندة الشعب اللّيبي المطلقة، وقد لمس إهتمام اللّيبيين باللاجئين من أبناء المجاهدين ،فقال منوّها [2] : (أن هؤلاء الأشبال ،وديعة غالية لديكم ،وأنّا لعاجزون عن شكركم عمّا قمتم به، نحو قضيتنا التي هي قضيتكم).

كما زار "المدني" تونس في شهر ديسمبر 1958م، و قضى بها أسبوعا درس خلاله مشاكل الطّلبة المادّية و التنظيمية ،و هو نفس الأمر الذي فعله في المملكة المغربية في أواخر شهر مارس 1959 م، و درس مع العقيد " هواري بومدين " مشاكل الجبهة الغربية و ذكر أنه تمكن

[1] – محمد حربي : الجزائر 1954 – 1962، جبهة التحرير الوطني الأسطورة و الواقع ، المرجع السابق ص 203 .

[2] – جريدة المجاهد : العدد 37-25 فيفري 1959.

من إقناع محدثة الذي وجهّ انتقادات كبيرة للحكومة المؤقتة فيما يتعلق بمسألة التموين بالعتاد و السلاح [1] ،

وواصل "توفيق المدني" الجولات الدّبلوماسية في إطار مهمّاته ضمن الحكومة المؤقّـة،للبلدان العربية في الفترة ما بين مارس 1959م إلى ماي 1959م، حيث زار كل من السعودية التي حصل بها على مساعدات مالية هامة ، و تلقّى بارتياح خطاب الملك السعودي "سعود بن عبد العزيز" الذي قال للوفد الجزائري:(أنتم تدفعون ضريبة الدّم ، و نحن ندفع ضريبة المال ، و الله يوفقنا جميعا) [2] ،كما زار الكويت و لبنان و السودان ،و العراق ،الذي حصل به على إمدادات كبيرة من الأسلحة و مبالغ مالية هامة.

و حسب إمكانات كل بلد تفاوتت قيمة المساعدات المالية و العسكرية الممنوحة من قبل هذه البلدان للجزائر ، إلاّ أنها تشترك في المواقف و في التضامن الشعبي و الرّسمي و التدعيم الدبلوماسي للقضية الجزائرية ،و خارج دائرة الوطن العربي والاسلامي ، كانت الصين الشعبية بثقلها البشري ، و وزنها السياسي و العسكري أول دولة تعترف بالحكومة المؤقتة، وذلك بعد ثلاثة أيام من تشكيلها ،أي في 22 سبتمبر 1958 م، ولقد إعتبر القائد الصيني " ماوتسي تونغ " في تصريح له: (بأن تشكيل الحكومة المؤقتة ، كان تعبيرا عن إرادة الشعب الجزائري غير المساومة مع الاستعمار) [3].

ويزور" توفيق المدني" و"بن يوسف بن خدة "الصّين بمناسبة العيد العاشر للثورة الصينية في أكتوبر 1959م، و تمثيل الجزائر في الاحتفالات المخلّدة لها ، وذلك تثمينا لمواقفها المؤيّدة للثورة حيث حصل الوفد على مساعدات مادية قيّمة لمصلحة اللاجئين ، و على تأييد سياسي[4]. كما أصبحت الصين محلّ إهتمام من طرف قادة الثورة ، و شكّلت وجهة للوفود الجزائرية.

---

[1] – أحمد توفيق المدني : حياة كفاح ، ج3، المصدر السابق ،ص ص 407–415.

[2] – نفسه، ص 414 .

[3] – إسماعيل دبش : السياسة العربية و المواقف الدولية تجاه الثورة الجزائرية 1954–1962 ،دار هومه للطباعة و النشر و التوزيع ، الجزائر : 2000 ، ص 146–148.

[4] – جريدة المجاهد : العدد 53–54 ، نوفمبر 1959.

وقدعزّزت هذهالزيارات الرّسمية موقف الحكومة المؤقتة من الوجهة الدّولية ، و جلبت لها مساعدات ماديّة هامة ، و هكذا فإن النّضال على الجبهة الخارجية أتاح للحكومة المؤقّتة بعد إنقضاء سنة كاملة على وجودها ، أن تسجل تقّدما ملحوظا و أن تحضر دورة الأمم المتحدة لسنة 1959م مع بعض التفاؤل[1] .

وقد سجّلت الحكومة الجزائرية إنتصارات دبلوماسية رغم ما كانت تعاني من صعوبات في عدم التّجانس داخل الحكومة المؤقّتة بين أعضاءها و علاقاتها بقيادات الدّاخل فيبدو أن الأمور لم تكن على مايرام ، و يظهر إختلال الحكومة أثناء الجلسة الشّهيرة التي عقدت بالقاهرة في 29 جوان 1959 م في غياب "محمد الأمين دباغين" الذي كان في وضعية إستقالة نظرية لخلافاته مع رئيس الحكومة " فرحات عباس" [2] .

لذا فقد عرض "المدني" في مذكّراته ، مختلف المواقف من نشاط الحكومة المؤقّتة ، والتي إتّفق معظمها على عدم قدرة تلك الحكومة على الإستجابة الفعّالة لتطلّعات الشعب الجزائري،فظهرت عاجزة عن مواجهة المشاكل المتفاقمة يوما بعد يوم ،و مما قال " لخضر بن طوبال " أحد العقداء الثلاثة الأقوياء ملخّصا حالة الحكومة : (لنا إحدى عشرة وزارة ،تمثّل إحدى عشرة حكومة ..فالجيش يحارب في الدّاخل كأنه لا توجد حرب، فأصبحنا بذلك حكومة غير جزائرية ،و صرنا نلقي التصريحات جزافا، فظهرت خلافاتنا ...إن الثورة في قلق) [3] .

و أعتبر "المدني"حالة اللاّ إنسجام قد وقعت إضطرارا ،حيث أن الوزراء المدنيّين ،وجدوا أنفسهم في عزلة عن العسكريين ، و بالتّالي لا إطلاع لهم على حقيقة الوضع داخل البلاد ،منتقدا في نفس الوقت إنفراد العسكريين بالإجراءات التي يجهلها أحيانا حتى رئيس الحكومة نفسه [4] .

---

[1] – سليمان الشيخ : المرجع السابق ، ص 95 .

[2] – علي كافي : النمصدر السابق ، ص 236.

[3] – أحمد توفيق المدني : حياة كفاح ، ج3 ،المصدر السابق، ص 438.

[4] – المصدر نفسه، ص 440 .

و في إحدى جلسات الحكومة وجّه"عبد الحفيظ بوالصوف " إنتقادا شديدا إلى "المدني"،قائلا: (أن الطّلبة الجزائريّين الذين يتخلّفون عن المعركة ، و يتوارون عنها، و هم يلتفّون حولك،و أنت تحميهم و تكوّن لهم المنح الدراسية ،و تنشيطهم على الفرار من المعركة هؤلاء الطلبة المنبثون في كل بلاد، لهم ضلع كبير في هذه الحالة السيئة). [1]

غير أن المدني ردعلى هذه الاتهامات ،مدافعا عن الطّلبة موضّحا أن وزارته على إستعداد لإقحام هؤلاء في المعركة ، إذا صدر قرار بذلك مع تحميل الجميع المسؤولية التاريخية ، و يتفق "سليمان الشيخ " مع ما ذهب اليه المدني من أن هذه الحكومة التي تمثّل ظاهريا صورة الكيان الموحّد ، فإنها تكشف من الداخل عن عدم تجانسها ، و على أنّها ثمرة توازنات و وحدة ظهرية مصطنعة [2] .

و خلال شهر أكتوبر 1959م و بتونس إقترح العقيد " عبد الحفيظ بو الصوف " تعيين مجلس وطني جديد للثورة الجزائرية بالإضافة الى رغبة " كريم بلقاسم " الشديدة في تولّي الرئاسة [3] فإنعقد المجلس الوطني، في دورة جديدة خلال الفترة ما بين 16 ديسمبر 1959 م الى 18 جانفي 1960م ، دامت جلساته 33 يوما، و كانت معتركا صاخبا حقيقيا سيطرت فيه الاتهامات الشخصية [4].

و لقد تم إستبعاد كل من "الأمين دباغين" و" أحمد توفيق المدني " و " محمود الشريف " و" محمد البجاوي" و" صالح الوانشي" و" عبد المالك تمام" من هذا المجلس الجديد [5].

---

[1] – أحمد توفيق المدني : حياة كفاح ، ج3 ،المصدر السابق، نفس ص440.

[2] – سليمان الشيخ : المرجع السابق ،ص 407 .

-4- Benjamin stora zakya Daoud op-cit P322

[4] – محمد حربي: الجزائر 1954–1962 جبهة التحرير الوطني الأسطورة و الواقع ، المرجع السابق ، ص ص 207–209.

[5] – نفسه ، ص 206 .

و إنبثق عن إجتماع المجلس تكوين حكومة مؤقتة ثانية ، عهدت رئاستها إلى " فرحات عباس " و في يوم 22 جانفي 1960م، عقد مجلس الحكومة المشكّلة حديثا أول جلسة له عيّن خلالها "احمد توفيق المدني سفيرا في القاهرة [1] .

و صدر قرار بتعيينه رئيسا للبعثة الجزائرية بالجمهورية العربية المتّحدة في 17 فبراير 1960م،زيادة على قيامه بتمثيل الجزائر بصفة دائمة لدى جامعة الدّول العربية بدرجة سفير [2] . و تعليقا على التعيين كتب المدني في مذكراته[3] : (و هكذا أصبحت مضطلعا و لحسن الحظ بمسؤولية محدّدة أقوم بها بعيدا إلى حد ما عن الدّسائس و الفتن و المناورات..و دخلت في الوسط الدّبلوماسي من أوسع أبوابه) ، و في ما بين09 و27أوت 1961م تم إنعقاد مؤتمر طرابلس و تغيير الحكومة، وتم تكليف "علي كافي " برئاسة بعثة القاهرة ، في حين إستقّل "المدني" بتمثيل الجزائر لدى جامعة الدّول العربية، و أثناء نشاطه الدّبلوماسي بها ، سجّل موقفا صلبا تجاه المطالب التونسية في الأراضي الجزائرية ، حين طالب" الحبيب بورقيبة "سنة 1959 م، بمراجعة الحدود بدعوى هضم حقوق تونس، و هي المطالب التي تجدّدت سنة 1961 م و لذلك فقد حذّر المدني ممثلي الدول العربية من أي تجاوب أو قبول للطرح التونسي قائلا: (أقول لكم إن كل تأييد لمطلب تونس في صيغته الحالية ،إنما هو وقوف علني ضد الثّورة الجزائرية ، و ضدّ أهدافها و ضدّ مجاهديها والجزائر لا تتسامح أبدا مع أيّ معتد عليها ،و على ترابها و لو كان شقيقا أو صديقا) [4].

و إلى جانب عمله الدّبلوماسي ، كان "المدني" بشارك في التعبئة المعنوية و الإعلامية بما فيها الأيام و الأسابيع الخاصة بالتّضامن مع الشعب الجزائري و من ذلك الإحتفال بالذّكرى السادسة للثورة نوفمبر 1960م، الذّي أقيم بمصر و حضره الرئيس"جمال عبد الناصر" و بالمناسبة أكّد المدني : (أنّ الشعب العربي في الجزائر قضى حياته منذ العصور الأولى مكافحا دون أن

---

[1] – فرحات عباس : تشريح ثورة – الفجر ، نقله إلى العربية عبد الوهاب شلالي ، بلا مكان ، بلا تاريخ ، ص ص 320–321 .

[2] – أحمد توفيق المدني : حياة كفاح ، ج3 ، المصدر السابق ، ص ص 499–500 .

[3] – نفسه ، ص 500 .

[4] – نفسه ، ص ص 500–502 .

يستكين للمستعمر ، فإذا غلبته القوة يوما تربّص بمغتصبيه ، ثم ثار و أشعل النار ليعيش عيشة الأحرار ، فالجزائريون يعرفون طريق الموت و يعرفون طريق النّصر ، و لكنّهم لا يعرفون طريق الخضوع و الاستسلام) 1.

سلتمر ّ المدني في نشاطه بالجامعة العربية مشاركا في أعمال لجنتها السيّاسية متتبّعا تطورات القضيّة الجزائرية إلى غاية إعلان الإستقلال في الخامس جويلية 1962 م و عاد توفيق المدني إلى الجزائر يوم 15 جويلية 1962م، مع أفراح الإستقلال قصد تتويج النّضل بضمّ الجزائر رسميا إلى جامعة الدّول العربية ، فوجد البلاد على وقع الخلافات المترتبة بعد عقد مؤتمر طرابلس في شهر جوان 1962م،إذ وصف خلال تواجده بالجزائر لقاءه "بابن يوسف بن خدة" بأنّه كان حزينا فالخلاف قد مز ّق جسم القيادة ، فجماعة تيزي وزو بزعامة " كريم بلقاسم " تدّعي بأنها هي الحكومة و جماعة المكتب السّياسي بتلمسان و بزعامة " أحمد بن بلة " تعلن أنها هي الحكومة بينما كان " ابن خدة " و من معه يصرخون بصوت ضعيف بأنهم الحكومة الشرعية 2.

وقد تأكّد "المدني" بأن كفّة ميزان القوة أضحت في يد جماعة المكتب السياسي بقيادة " ابن بلة " و" هواري بومدين " ، فانتقل إلى تلمسان ليحصل على تفويض مطلق ، لطلب إنضمام الجزائر إلى جامعة الدّول العربية ،وهو الأمر الذي قام به في القاهرة يوم 08 أوت 1962م ،مما جاء في كلمته بعد قبول العضوية: (إن دخول الجزائر عضوا كاملا في حقل العائلة العربية الكبرى ، متمثلة في جامعة الدّول العربية ، إنّما هو تتويج مشرف لجهاد دام في أرض الجزائر قرنا و ثلث قرن) 3.

---

[1] – اسماعيل دبش : السياسة العربية والمواقف الدولية تجاه الثورة الجزائرية1954–1962،دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع ،2000 ، ص ص 69–70 .

[2] – المدني : حياة كفاح ، ج3 ، المصدر السابق ، ص 577 .

[3] – نفسه ، ص 580 .

و بعد أيام تلقى "المدني" رسالة من " محمد خيضر"، دعاه من خلالها إلى العودة بسرعة إلى البلاد ،ليتمّ تعيينه رسميا يوم 28 سبتمبر 1962وزيرا للأوقاف بأول حكومة جزائرية مستقلة يتم تشكيلهابعد استعادة السيادة ا لوطنية[1] .

[1] – أحمد توفيق المدني : حياة كفاح ، ج3 ، المصدر السابق، ص 584 .

الـــــــــــــفصل الرابع

نشاطه في بناء الجزائر المستقلة 1962-1983م

- **مدخل للفصل.**
- **<u>المبحث الاول</u>:وظائفه الرّسمية في أجهزة الدّولة حتى وفاته.**
- **<u>المبحث الثاني</u>: جوانب من آثار "الشيخ توفيق المدني" .**

مدخل للفصل.

يلقي هذا الفصل الضّوء على نشاطات "أحمد توفيق المدني"منذ الإستقلال وإلى غاية وفاته سنة 1983م ، يعرض أعماله ضمن المسؤوليات السياسية و الدّبلوماسية التي تقلّدها ، كأول وزير للأوقاف في الجزائر بعد الإستقلال، عمل خلالها على الحفاظ على مقوّمات الشّخصية الجزائرية ببعث معاهد التّعليم الأصلي التي جاءت وسط صراعات أيدلوجية كبيرة بين مناصرين ومعارضين.

ليعيّن بعدها سفيرا في العديد من البلدان العربية و الإسلامية ، مثّل خلال مهمته هذه ، صورة الجزائر ،على السّاحة الخارجية بنزاهة و إخلاص ، كما أنّ كفاءته العلمية والدّينية رشّحته لخلافة العلاّمة "البشير الإبراهيمي"بأهمّ فضاء علمي عربي وهو مجمع اللّغة العربية بالقاهرة.

ورغم تقلّده المناصب السياسية والدّبلوماسية فلم يتوقف"المدني" عن حركة التّأليف التاريخي إذ تواصل إنتاجه ، وإستمر في مجال البحث بالمركز الوطني للدّراسات التاريخية ، وهي مواصلة لرسالته في الحفاظ و بعث الذاكرة الوطنية .

وعليه ماهي المسؤوليات التي تولّها "المدني" بعد الإستقلال وماهو دوره في بناء الدّولة الجزائرية المستقلّة وما الإسهامات التي قدّمها للحفاظ على الذّاكرة الوطنية ؟

كما نحاول معرفة خلفيّات حملة النّقد التي تعرّض لها بعد إصداره لمذكراته التي مثّلت خلاصة تجربته النّضالية ،وهل كانت حملة النّقد هذه مؤسّسة على موضوعية ؟ أم أنّها مجرد تحامل و تصفية حسابات ؟

ثم وفاة "توفيق المدني" وصداها على المستوى الوطني ، وفقدان الجزائر المستقلّة لأحد أعمدة الفكر والدّين والسياسة من رجالات الثورة ، وبالتّالي أفول إحدى الأقلام التي كتبت تاريخ الجزائر في صفحات مشرقة ، لكن أعمال الرّجل الجليلة ، وآثاره القيّمة من مؤلفات تاريخية وثقافية بقيت تذكره وكأنّه لم يمت .

المبحث الأول : وظائفـــهالرّسميـة في أجهزة الدّولـة حتى وفاته :

في صيف 1962م وفي الخامس من شهر جويلية ، إستعادت الجزائر رسميّا سيادتها بإعلان الإستقلال الوطني بعد تضحيّات جسام دفع خلالها الشعب الجزائري أكثر من مليون ونصف المليون من الشهداء ثمنا للحرية ،إضافة إلى التّركة الثّقيلة التي خلّفتها سنوات حرب التحرير على كافة الجبهات الإجتماعية والإقتصادية ، والتي كان على الجزائر المستقلّة معالجتها وتحمّل وزرها .

وعليه كان لزاما على القادة السياسيون والعسكريون، العمل معا من أجل تجهيز الدّولة بمؤسسات سياسية و إدارية ، وكان ذلك وسط حقل ملغّم من الصرّاعات والمؤمرات و تباين الإيديولوجيات .

كان المجلس الوطني التأسيسي ، أولى المؤسّسات السياسية التي شرع في تكوينها ، حيث إختلفت الآراء حول طريقة إجراء الإنتخابات و توفير الظّروف المناسبة لها ، و رغم الصّعوبات الكبيرة فقد جرت الإنتخابات يوم 20 سبتمبر 1962م بمشاركة 196 مرشّحا ، و كانت مشاركة الشّعب الجزائري واسعة ،آملا منها الخروج من أزمة صائفة 1962م وإبعاد شبح حرب أهلية بين الأشقاء،حيث فاقت نسبة التصويت 81%، فالشعب عبر بصدق عن رغبته في بناء مؤسّسات الدّولة الجزائرية [1].

كان الشيخ " أحمد توفيق المدني" من الشّخصيات التي إنتخبت لعضوية وأّل مجلس تأسيسي بعد الإستقلال برئاسته "فرحات عباس"، وضمّ شخصيات عديدة منها "ابن يوسف بن خدة"،"لخضربن طوبال"،"سعد دحلب"،"أحمدبن بلّة"،"بلعيد عبد السلام"،"أحمد مدّغري"،"هواري بومدين"،" بشير بو معزة"،"محمد خميستي"،"الطاهر الزبيري"،" رابح بيطاط "، "محمد السعيد "

1- Ali Haroum : L'été de la Discord – Algérie 1962 , édition Casbah , Alger : 2000 , p 198.

"أحمد فرانسيس " ،" أحمد بومنجل "،كما أنّ المكتب السّياسي لجبهة التحرير الوطني، هو الذّي إختار المرشّحين لعضوية المجلس الوطني التّأسيسي علاوة على الر ّئيس[1].

وبعد إنتخاب "فرحات عباس" يوم 25 سبتمبر 1962م رئيسا للمجلس الوطني التأسيسي وفي نفس اليوم وخلال الجلسة الأولى للمجلس أعلن عن قيام الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، وفي اليوم الموالي 26 سبتمبر إنتخب المجلس أول حكومة للجزائر المستقلّة برئاسة "أحمد بن بلة" وأصبح "المدني" فيها وزيرا للأوقاف[2].

ويذكر " توفيق المدني" أنّه كان بالقاهرة يمارس مهامه كسفير لدى الجامعة العربية فاتّصل برسالة مستعجلة من "محمد خيضر" دعيّ من خلالها إلى القدوم للجزائر،وأورد نص الدّعوة قائلا (تقديرا لجهادك، وإعترافا لماضيك و تضحيّتك، وإستثمارا لعلمك و جهودك الصّادقة في سبيل الحريّة فقد قر ّر الحزب أن تضطلع معنا بالحكم) [3].

وقد كان إنشاء وزارة الأوقاف بالجزائر، على غرار ما كان متّبعا في بلدان عربية أخرى حيث كان المغرب الأقصى أو ّل من أسس وزارة الشؤون الإسلامية، وإقتفت آثاره مصر و الكويت و الجزائر واذ كان يبدو أنّ الهدف المباشر من إنشائها لايتجاوز مدلول التسمية أي الإشراف على أملاك الوقف[4]، فإن "المدني" أعطاها أبعادها الحقيقيّة ، حيث أجرى تعديلات على الهيكلة الإدارية وأعطاها صبغة تنظيمية، فكانت نموذجا في التّسيير الإداري لباقي الوزارات فيما يتعلق بالإنضباط و النّظام. كما إهتم في عهده بإصلاح المساجد التي دمّرت من قبل سلطات الإحتلال الفرنسي،والإنطلاق في تشييد مساجد جديدة وذلك ضمن خطّة الوزارة الهادفة إلى بعث النّهضة الدينّية في البلاد، و العناية بالقيّم الروّحية للشعب الجزائري، انطلاقا من أنّ المساجد لاتنحصر

---

[1] - **Benjamin Stora , Zakia Daoud : op – cit , pp 369- 370**

[2] **-Ibid , p 13**

[3] – أحمد توفيق المدني : حياة كفاح ، ج3 ، المصدر السابق ، ص 583 – 584

[4] – علال الفاسي : " نهضة التعليم الأصلي في الجزائر " ، مجلة الأصالة ، العدد 07 ، الجزائر : مارس أفريل 1972 ص 89

(*) أنظر الملحق رقم: 07.

مهمتها في إقامة شعائر الصلاة و طقوس الوعظ و الإرشاد فقط ، وإنما هي قبل كل شيء مدارس لتربية الشعب، وتوجيهه إلى سبيل الخير و التّعاون في شتّى ميادين الحياة والعمران [1].

وفي عهده وضعت وزارة الأوقاف مشروع قانون الأوقاف وتنظيمها و تنميّتها ، و التّصرف في مواردها وعملت على حصر وتسجيل جانب هـام من الأوقـاف الإسلامية مستعينة في ذلك بالمفتّشيات التي أنشأتها في مناطق الوطن [2].

وفي إطار إستعادة مآثر الأمّة الإسلامية الجزائرية قام "المدني" بتاريخ 18 أكتوبر 1962م ، بفتح جامع كتشّاوة و إزال الصلّيب منه، و أديت فيه أول صلاة جمعة في نوفمبر 1962م بإمامة الشّيخ "البشير الإبراهيمي" للنّاس فكانت صلاة جمعة تاريخية بحضور أركان الدّولة و وفود إسلامية، وهكذا توالى تحرير المساجد عبر أنحاء القطر الجزائري، وكانت لعملية الاسترجاع هذه دلالاتها الخاصة [3].

ومن الأعمال التي تميّز عهد الوزير "أحمد توفيق المدني" هو إنشاؤه للمعاهد الإسلامية، أو ما عرف بمعاهد التعليم الأصلي لأوّل مرّة بالجزائر، وهو يقول عن ذلك: (إن هذه المعاهد إبتكر فكرتها "أحمد توفيق المدني" في شيخوخته، لكنّه ما أنشأها بنفسه وما إستقلّ بها ،بل هي أصبحت فكرة الدّولة الجزائرية). [4]

---

[1] – سليمة بوعسيلة : مجلات وزارة الشؤون الدينية و الأوقاف بالجزائر من ماي 1963 إلى أكتوبر 1999م ، دراسة وصفية و تاريخية ، مذكرة ماستير ، قسم الإعلام و الإتصال ، جامعة الجزائر : 2001 ، ص97

[2] – نفس المكان

[3] – البشير الإبراهيمي : آثار الإمام البشير الإبراهيمي،ج5، (1954– 1964)، تحقيق أحمد طالب الإبراهيمي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت : 1997 ص 306.

[4] – أحمد توفيق المدني : " الإسلام سلاحنا في المعركة " ، مجلة المعرفة العدد 13،الجزائر :جويلية 1964م، ص115.

وقد إستغل " المدني" علاقاته الجيّدة ببلدان المشرق وخاصة مصر، لجلب الأساتذة المختصّين في العلوم الإسلامية و اللّغة العربية من الأزهر،وفتح بدلك 17معهدا إسلاميا[1].

هذه التجربة، التي إعتبرها " محمد الميلي" أنها تطويرا للتّعليم الأصلي، الذّي كان في حدّ ذاته معقولا، فهو ردّ على الإستعمار و تأصيل للشخصية الجزائرية، كما أتاح الفرصة لعدد من التّلاميذ و الطلبة لم يكن بوسعهم ولوج إطار التّعليم العام، إلا أنه أشار إلى نقطة هامّة ربما مثّلت إحدى السّلبيات، و تتعلق ببعض الأفكار التي نشرها بعض الأساتذة الأجانب حين قال[2]: (وإذا كان من بينهمسأتذة أجلاّء، فقد كان من بينهم أيضا من كان يشعر بفشله في حلّ اشكالية الأصالة و لمعاصرة ببلاده، فحمل معه عقدا ومركّبات حرمان عملت بعض عملها في شباب بكر).

ولا يخفي الشّيخ "أحمد توفيق المدني" بأنّ الجزائر كانت تعيش صراعات حقيقيّة بين الوطنيين المحافظين على الشّخصية الجزائرية وبين التغريبّ، حيث صرّح في هذا الصّدد بمدينة بوسعادة في يوم 27 من جويليـة سنة 1964م ،بمناسبة إختتام السّنة الدّراسية بمعهد الوزارة قائلا: (...عندنا في الجزائر رجال يحاربون الله و رسوله، يقولون أوروبا هي الإيمان ، الغرب هو القبلة، علم الغرب هو الهدى و اليقين... فإذا تقدّمنا اليوم بطريقـة غير علميّة، و غير فنيّة– أقولها و أعترف بها أمامكم– وأنشأت وزارة الأوقاف هذه المعاهد الحاضرة، فإنّنا قد فرضناها فرضاو غلّبنا فيها الإرادة الإسلامية الوطنية)[3].

و بهذا فإنّ "للمدني" دورا كبيرا في عمليّة تأصيل التربية الوطنية، رغم انّـه صادف في طريقه صعوبات و تحدّيّات أكبر، وقد أعلن عن ذلك خلال أحد ملتقيات التّعرف على الفكر

---

[1] - فضيلة تكور:فاطمة تازير: المرجع السابق،ص 08.

[2] – محمد الميلي : ،مواقف جزائرية ، المؤسسة الوطنية للكتاب ط1، الجزائر:، 1984ص ص 264–265

[3] المدني : " الإسلام سلاحنا في المعركة " ، مجلة المعرفة ، المصدر السابق ، ص 114.

الإسلامي بالقول[1]:(إن أعزّ هذه الأمنيات الغالية التي شاهدت تحقيقها، هذه المعاهد الاسلامية العربية،والتي وإن كنت أعتز في حياتي بشيء فانني أعتز بشرف ابتكارها و تأسيسها وإخراجها من عالم الخيال إلى عالم الحقيقة... و يا الله كم قاسيت يومئذ في سبيل إنشائها من إرهاق، وكم تحمّلت من أذى ذوي القربى الذّين وحّت بيني و بينهم الأوطان، وفرّقت بيننا الأهداف)[2].

إلى جانب ذلك ،إنشاء "المدني" "لجنة الإفتاء" المركزية التّي كانت مهمّتها الردّ على المسائل و الإستفسارات المرفوعة من المواطنيين والهيئات ،تتكوّن من إطارات ذات كفاءات في الفقه وعلوم الدّين، ونشرا للثّقافة الإسلامية أصدرت وزارة الأوقاف في عهده "مجلّة المعرفة" في شهر ماي 1963م، فكانت توزّع على الدّوائر الحكومية والهيئات الرّسمية، و تمنح الآلاف منها مجانا إلى القراء[3]، وقد نوّه بها "المدني"عقب صدور عددها الأوّل، حيث كتب: (...هذه المجلة التي يسعد وزارة الأوقاف أن تقدّم عددها الأول إلى جمهور الشّعب العربي المسلم في الجزائر، ستكون بحول الله و قوّته رابطة روحية قويّة..وإنّنا لنرجو أن تسدّ هذه المجلّة ثلمة في بناء وطننا ، ونقصا ملموسا في مجتمعنا)[4].

ولم تنحصر نشاطات"المدني" على المستوى الدّاخلي بل تعدّتها إلى مساهمته في نشاطات دوّليّة منها مشاركته في ملتقى"التّقريب بين الأديان" الذي عقد بألمانيا الفدرالية في شهر جوان 1964م بحضور عدد كبير من رجال الفكر و قادة الرأي في العالم الإسلامي و الغربي، لبحث موقف الأديان المختلفة فيما يخص محاربة خطر الإلحاد و الإباحية، و إستغلّ المناسبة لإثارة قضيّة فلسطين،و أوضح بإسم رجال الإسلام:(أنّه إذا كان جدار برلين يفصل بين شطري ألمانيا

---

[1] - المدني : " كلمة جلسة إفتتاح الملتقى السابع للتعرف على الفكر الإسلامي " ، مجلة الأصالة ، العدد : 16الجزائر : سبتمبر ، أكتوبر 1973 ، ص 168 – 169

[2] المدني : " الإسلام سلاحنا في المعركة " ، مجلة المعرفة ، المصدر السابق ، ص 114.

[3] - - سليمة بوعسيلة : المرجع السابق ، ص 96

[4] المدني : "كلمة في الصميم" ، مجلة المعرفة ، العدد 01 ، الجزائر : ماي 1963 ، ص 06

فإنّه يوجد بالنسبة للعالم الاسلامي جدار أشد و أخطر وهو وجود إسرائيل التّي تفصل العالم الإسلامي) [1].

عضويته بمجمع اللغة العربية: في 10 ماي 1967م أختير" توفيق المدني" لعضوية مجمع اللّغة العربية الذّي يعتبر أعلى هيئة علمية في العالم الاسلامي، ولاينسب إليهلاّ كبار العلماء ، وذلك خلفا للمرحوم العلامة "البشير الابراهيمي"، ومن خلاله ساهم في إثراء المعاجم التّي يصدر ها المجمع، ومنها المعجم المتوسط و الكبير، كما كان يكتب في مجلة مجمع اللّغة العربية[2] .

و يذكر "المدني" في هذا المجال أنه قدّم بحوثا خاصّة بحرف " الجيم" عن الجزائر كدولة وعن مدينة الجزائر من النّلحية الجغرافية و التاريخية و الأدبية، وبحوثا أخرى خاصّة بحرف "التاء" عن تلمسان ولتفعيل مساهمة ممثلي بلدان المغرب العربي في الهيئة العلمية للمجمّع ، إقترح أن تكون اللّغة الفرنسية إلى جانب اللغة الانجليزية عند تقديم الكلمات المراد تعريبها، وهذا على إعتبار أن المغاربة يجيدون اللّغة الفرنسية، و لا يملكون ناصية اللّغة الانجليزية[3]. وقد ظلّ الشيخ ""أحمدتوفيق المدني" ناشطا حتى آخر أيامه، حيث حضر المؤتمر التاسع و الأربعين للمجمّع في أواخر فيفري و بداية مارس 1983م، وذلك أشهرا قبل وفاته، وتناول الكلمة بإسم المجمعيّين العرب من خارج مصر، فكانت كلمة مؤثّ ة علقت عليها مجلّة "المصور المصرية" ، فأوردت بأن ممثّل حركة تحرير في السيّبات لم يستطع إلاّ أن يثور بعروبته و يندّد بالهوان العربي[4].

تعيينه بالهيئة الدبلوماسية: تولّى المدني مهام دبلوماسية أيضا حيث عيّن في سنة 1966م سفيرا بإيران ، ثم أضحى إعتبارا من سنة 1967م إلى سنة 1970م سفيرا في كل من العراق

---

[1] - قلم التحرير : " حول ملتقى التقريب بين الأديان " ، مجلة المعرفة ، العدد 11- 12 ، الجزائر : ماي – جوان 1964

[2] - أحمد: حماني صراع بين السنة والبدعة، ج2،ط1،دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة : 1984 ص276

[3] - المدني : المؤتمر التاسع والاربعون لمجمع اللغة العربية بالقاهر،مجلة الثقافة ،العدد :77،الجزائر:سبتمبر –اكتوبر 1983،ص151.

[4] - نفسه ص ص139-145 .

وتركيا و إيران، وفي 26 جويلية 1971م[1] عيّنه الرّئيس " هواري بومدين " سفيرا مفوضا فوق العادةلدولة باكستان[2].

وكان للتّجربة الدّبلوماسية التي إكتسبها " المدني" خلال نشاطه ضمن الوفد الخارجي لجبهة التحرير، أو في ظلّ الحكومة المؤقّة وإحتكاكه بالكثير من القادة السّياسين و العسكرين في المحافل الدوّلية في دول عديدة بالعالم العربي و آسيا، تأثير إجابي إذ عندما أسندت له مهام تمثيل الجزائر دبلوماسيا في مرحلة الإنتقلال عمل على إستثمار هذا الرّصيد، و كان من الذينشرّفواالجزائر في الخارج ومثّلها أحسن تمثيل في الهيئات الدّولية .

نشاطه بالمركز الوطني للدّراسات التاريخية :

تأسس المركز الوطني للدّراسات التاريخية في سنة 1973م من طرف رئاسة الجمهورية وعيّن "المدني" كمستشارا ، مؤرخا و مشرفا على القسم العثماني[3] ، وهذا إعترافا بالجميل و تقديرا لأعماله و آثاره المتعلقة بهذه الحقبة ،كان المشرف الرّئيس على نشاطات المركز، وعلى تحرير مجلّة التّاريخ ، وكان يتصدّرالعديد من الملتقيات الوطنية و الدّولية ، حيث ينشّط المحاضرات والتّعقيبات ، بروح المبادرة و التحفيز و تطوير الأداء التي تعدّ إحدى سمات عمله بالمركز[4].

ويؤكد "فكري طونا" دائما تلك المميّزات عندما قال (كان الشيخ " أحمد توفيق المدني " بمثابة الحقيقة الكلّية في المركز ، والأب الروّحي له ، والمرشد الكامل ،والمؤرّخ الضّليع الذي يستنار

---

[1] - أنظر الملحق رقم: 08

[2] – فضيلة تكور:فاطمة تازير: المرجع السابق،ص 08.

[3] - الجريدة الرسمية ،للجمهورية الجزائرية ،العدد:62،الجزائر :30 جويلية 1971.

[4] – فكري طونا : المرجع السابق ، ص 69

بآرائه و أفكاره ومواقفه والأديب الماهر الذّي يستأنس بلُبه الر ّفيع ، والمجاهد الذّي يقتدي به في ميادين العمل و النّضال والجهاد) [1].

وفي إطار عمله بالمركز ، إنتدبته رئاسة الجمهورية إلى إسطنبول التّركية للبحث عن الوثائق العثمانية الخاصّة بتاريخ الجزائر ، وكان أول من يبحث بصفة رسمية عن المحفوظات التّركية ، فقد زار مواقع أرشيفية خاصّة جدّا ، وتمكّن من ذلك لعلاقاته الممتازة بالسّلطات التركية حيث إستثمر سنوات سفارته هناك في تمتين العلاقات بين الشّعبين الجزائري و التركي، وعن هذه المهمّة ذكر "المدني"[2](لقد كنت مغتبطا و سعيدا عندما إنتدبتني رئاسة الدّولة للقيام برحلة إلى إسطنبول بلد الذّكريات الخالدة ، لكي أضطلّع بمهمّة البحث عن الوثائق التّاريخية ، التي تنير صفحة العلاقات الوثيقة التي ربطت بلدينا خلال ما يزيد عن الثلاثمائة سنة).

وقد أكّد المدني من خلال اطّلاعه على الأرشيف العثماني ، أنّ الوثائق الجزائرية التي تخدم التاريخ الجزائري تبلغ نحو خمسة آلاف وثيقة على أقلّ تقدير[3]، إذ تمكّن من جلب ما يزيد عن 3300وثيقة ، وضعها تحت تصر ّف المركز الوطني للدّراسات التاريخية ، وقام بترتيبها و تنظيمها وتركها جاهزة للبحث و الترجمة[4].

و خلال الجمعية العامة للباحثين بالمركز الوطني للدّراسات التاريخية في : 06 ديسمبر 1979م ، دعى إلى أن تتضافر الجهور لتأليف كتاب ضخم يتناول (الجزائر خلال التاريخ

---

[1] – فكري طونا : المرجع السابق ،ص 51.

[2] – نفسه ،ص ص 69-70.

[3] المدني : " حوار حول كتاب 80 سنة على الجزائر العثمانية " ، مجلة الأصالة ، العدد 20 ، الجزائر : ماي- جوان 1974 ، ص 237- 238.

[4]- فكري طونا : المرجع السابق ، ص 71

العالمي) بحيث يمتدّ من أقدم العصور إلى السنة العشرين بعد الإستقلال الموافقة لعام 1982م وأن تكون طريقة معالجته مختلفة عمّا صدر من قبل ، فلا يجب أن يكون تكرارالتاريخ[1].

وكان الشيخ "أحمد توفيق المدني" مثابرا بالمركز رغم كبر سنّه ، كان لا يزال ميّالا إلى التأليف و خصوصا في التاريخ الوطني ، حتى آخر أيام حياته .

و خلاصة القول أن "الشّيخ المدني" ومن خلال مشاركته في أجهزة الدولة وزيرا و سفيرا كان بعيدا عن الصّراعات والحسابات الشّخصية الضيّقة، خدم وطنه، بكل بإمان وإخلاص لشعبه .

وفـــــــــــاته :

دأب المدني على العمل و النشاط ، وحركة التنقّلات سواء خلال ثورة التحرير ، أو في مرحلة الإستقلال لمّا تولى مهمّة التمثيل الدّبلوماسي في العديد من البلدان إلاّ أنّ مظاهر الإرهاق بدأت تظهر عليه في مطلع السبعينيات، و أخذ يتعرض لأزمات قلبية لذلك فضّل العودة إلى الجزائر عندما كان سفيرا في باكستان، حيث عالج مرضه هنا بالجزائر، و بالتزامن مع فترة العلاج لم يتوقف عن الكتابة،والخطابة والمشاركة في المؤتمرات والندوات داخل الجزائر و خارجها ،حيث عاش الشيخ "أحمد توفيق المدني" ثمانية عقود و نصف عاصر خلالها أهمّ أحداث القرن العشرين و تقلباتها على مستوى العالم و ظلّ الرّجل يتمتّع بشبابه و بذاكرته القويّة حيث نجده يؤلف مذكّراته في سنّ تجاوزت السّبعين ، فلم يكد يشعر بشيخوخته، و هذه الحيوية جعلته يردّ مرارا بعد أن تعدّى عتبة الثمانين من عمره أنّه يعيش شبابه للمرّة الرابعة ،ولذلك كان محل إعجاب وتقدير ممن عايشوه عن قرب في سنواته الأخيرة وخاصة زملاءه بالمركز الوطني للدراسات التاريخية ،وفي مطلع شهر أكتوبر 1983م تضاعفت حدّة الأزمات القلبية توفي على إثرها فجأة صباح الثلاثاء الموافق ل 18 أكتوبر 1983م بمسكنه العائلي بالأبيار بالجزائر العاصمة[2].

---

[1] – مجلة التاريخ: العدد08،الجزائر:1980 ،ص93.

[2]- جريدة الشعب: العدد 6213، الجزائر :19أكتوبر1983،ص01

و شيعت جنازته في اليوم الموالي بعد وصول الوفود، ومن بينها عائلة المدني المقيمة في تونس ، وشخصيات وطنية و تاريخية وفي أجهزة الحزب و الدّولة[1].

هذا و قد خلّفت وفاته أصداء على الساحة الوطنية و حتى خارجها ، حيث أعلن عن وفاته عبر وسائل الإعلام الوطنية كالإذاعة و التلفزيون، وبعث الرئيسان "الشاذلي بن جديد" والرئيس التونسي "الحبيب بورقيبة"برقيتي تعزية لعائلة الفقيد، ومن جهتها أوردت الصحف الوطنية الناطقة بالعربية "الشعب"، «النصر"، «الجمهورية" وصحيفة "المجاهد"الناطقة بالفرنسية في صدر صفحاتها صورة المرحوم مع خبر الوفاة[2].

وقد كتبت جريدة الشعب بعنوان :" فضيلة الشيخ أحمد توفيق المدني في ذمة الله" قائلة (انتقل إلى جوار ربه فجر أمس فضيلة الشيخ أحمد توفيق المدني الملقب بالمنصور عن عمر يناهز 85 سنة إثر نوبة قلبية)[3]، وعرضت مسيرته بإختصار، كما أوردت في صفحاتها الأولى خبر تعزية رئيس الجمهورية لعائلته ، حيث كتبت أرسل الرئيس "الشاذلي بن جديد " برقية تعزية إلى أسرة الفقيد الأستاذ "توفيق المدني"[4]ووصفت مراسيم تشييع الجنازة بالقول :"تم عقب صلاة ظهر أمس تشييع جثمان الشيخ "أحمد توفيق المدني" إلى مثواه الأخير بمقبرة سيدي عبد الرحمان الثعالبي ...

وحضر تشييع جنازة الفقيد عدد من كبار المسؤولين في الحزب و الدّولة ، إلى جانب أفراد أسرته و زملائه في المركز الوطني للدّراسات التاريخية ... وفي كلمة التأبين أشير إلى مناقب الفقيد في إثراء المكتبة الجزائرية و خدمة الثقافة العربية الإسلامية ، وفي الجهاد ضد الاستعمار"[5]

وخلال شهر ديسمبر 1983م نظّم إتحاد الكتّاب الجزائريين حفلا تأبينيا بمناسبة الأربعين ، ومما قاله "محمد الطاهر عدواني" بهذه المناسبة : (لقد عاهدناك ياشيخنا الجليل ، أنت الشباب و نحن الشيوخ

---

[1]- جريدة الشعب: العدد 6213، نفس المصدر،،ص01

[2] - انظر الملحق رقم:09

[3]- جريدة الشعب: العدد 6213، الجزائر :19أكتوبر1983،ص01.

[4]- نفس المكان.

[5]- جريدة الشعب : العدد 6214 ، الجزائر :20أكتوبر 1983،ص03.

... لقد علّمتنا كثيرا فأنت معلم جيل بحقّ ، يكفيك فخرا أنّك علّمته الإيمان ، الإيمان بالله ،و الإيمان بالوطن) [1].

المبحث الثاني : جوانب من آثار "الشيخ المدني" .

لقد ترك " الشيخ توفيق المدني " آثارا قيّمة،جسّدتها مؤلفاته التي غيّرت شكل ومضمون وطريقة ، الكتابات التّقليدية في ميدان تاريخ الجزائر و المغرب العربي [2]، و المعلوم أنّ معظم مؤلفاته نشرها بعد نفيه من طرف الإدارة الإستعمارية من تونس إلى الجزائر سنة، أي بعد سنة 1925مإلاّ ثلاثة منها نشرها خلال تواجده بتونس ، و يمكننا تتبّع أعماله التاريخية من خلال الكتب التالية :

كتاب تقويم المنصور : جاء في شكل مجلّة ، شمل خمسة أجزاء ،أصدر الثّلاثة الأولى بتونس بداية من العام 1922 م ، و أصدر الجزئين الرابع و الخامس في الجزائر سنوات 1926-1929م. وقد علّقت جريدة "الشهاب"على هذا المؤلف بالقول: (تقويم المنصور، و هو السفر السنوي الحافل الذي يدبجه صديقنا احمد توفيق المدني كل سنة هجرية... يشتمل ما لذ و طاب من مختلف المواضيع العلمية و الأدبية و التاريخية و الاجتماعية و غيرها، فحث كل قارئ يهمه رقي العربية و العلم و الأدب، أن يسارع إلى توجيه اشتراكه) [3].

كما نوّهت من جهتها جريدة "النجاح" بالتقويم فكتبت [4] : (أهدي لنا حضرة الكاتب السياسي المقتدر ، الأديب المطّلع السيد أحمد توفيق المدني ، تقويمه للسّنة الجارية فطالعناه ، فإذا هو حاو لأهّ الفوائد العلمية و الأدبية ، فيه من كل فاكهة زوجان ، فنحثّ القرّاء على إقتنائه من

---

[1]-مجلة الثقافة : العدد 77 ، الجزائر : سبتمبر – أكتوبر 1983 ،ص135.

[2]-الجيلالي صاري ، محفوظ قداش : الجزائر في التاريخ : المقاومة السياسية 1900 – 1954 الطريق الاصلاحي و الطريق الثوري ، ترجمة عبد القادر بن حراث ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1987 ، ص 244

[3]- الشهاب : " صدى تقويم المنصور لسنة 1345 هـ /1926 م ، العدد 29، 03 جوان1926 م ، ص 17 .

[4]- جريدة النجاح : العدد 339 ، 03 سبتمبر 1926 ، ص 03 .

النجاح) ، وقدإشتمل كتاب "تقويم المنصور"على العديد من الأبواب المتنوّعة ، و قد لخّصتها الشهاب في تقرير رائع حيث كتبت [1] : (تقويم المنصور ، تأليف النفيس ، علم حيوّ أدب غض ّ و تاريخ قومي ، و مختارات نفيسة ، و قطع فائقة في ستّة عشر بابا ، المباحث العلمية ، المباحث التاريخية ثمرات من بساتين العلوم ، مر آة العالم، طبيب الدّار ،أكبر الحوادث و أشهرالرجال، قطرنا العربي ،العالم الإسلامي ،الأقاصيص، عرائس الأفكار ، صحائف وقّ المنزل ، تراجم الر ّجال ، أثار القدمين ، من كل فاكهة زوجان ... و كفى بهذه الصورة المصغّرة منه باعثا لرغبة الأديب فيه،وموجبا لتقدير عمل هذا الكاتب البارع و الإعجاب به) ،كما حيّت "الشهاب" المؤلف على تفانيه ، وجدّيته رغم الظّروف التي كان يمر ّ بها فذكرت: (و مهما يكن من الإعجاب بنبوغ هذا الصديق و أدبه فإنه لا يضاهي الإعجاب بعزيمته وثباته، المصدّقين لشعاره :العزيمة و الثبات ،شاب مبعد عن أبويه وأحبابه ورفاقه و أترابه يثابر على عمله ، و يصدر تقويمه كل عام في وقته ، مترقيا في حلل الكمال حقاّ أنّك لفخر الشباب و قدوة الناهضين) [2].

ونظرا لصدى الكتاب، وما إحتواه من أفكار تحريريّة، كانت وراء قرار السّلطات الإستعماريّة الفرنسية بمصادرة الكتاب من جميــع بلاد المغرب العربي في 08 فبراير 1926 م [3] و قد أتاحت له البحوث التي أصدرها في تقويم المنصور ، فرصة البحث التاريخي و إستكشاف ماضي المنطقة وأعطت له الذّوق في التأليف التاريخي [4] .

كتاب قرطاجنة في أربعة عصور أو تاريخ شمال إفريقيا من عصر الحجارة إلى الفتح الإسلامي : تناول الكاب تاريخ إفريقيا الشمالية خلال أربعة قرون تحت حكم قرطاجنّة ، و صدر في عام 1927 م بتونس ، ضمّن 176 صفحة يتوزع الكتاب على مقدمّة و أربعة أجزاء ، و قد إستهلّه بمقدمّة عن دوافع بحثه و منهجه، أمّا المقدّمة فقد إستعرض فيها وصف بلاد المغرب من

---

[1]– لشهاب : " تقويم المنصور و شعاره الصادق " العدد 51 ، 03 اوت 1926 ، ص ص 9–10 .

[2]–الشهاب : "تقويم المنصور وشعاره الصادق " المصدر السابق ص 10.

[3]– حدث في العام الهجري (24 رجب) موقع www.islam online .net

[4]– ميسوم بلقاسم : المرجع السابق ، ص 108

حيث الجغرافيا الطبيعية و البشرية ،وخصّ القسم الأول لدولة قرطاجنّة فتحدّث عن نظامها السيّاسي، وعلاقتها مع البربر ، و الحياة العلمية والأدبية على أيامها،و دخولها في صـراع مع روما، و ما مزّ ذلك من حروب و تطوّرات إلى أن تمّ تخريب قرطاجنّة ، مفسرّا عوامل إزدهارها و خرابها،و أمّا القسم الثاني خصّصه لوصف قرطاجنّة على عهد الحكم الرّ وماني ، وما وقع من حروب بين البربر والرّ ومان، و عن الحياة السياسية و النظّ الرّ ومانية ثم إبرز نتائج الإحتلال الرّ وماني، و في القسم اللّث تطرّ ق لقرطاجنّة في العهد الوندالي مبيّنا سياسة الوندال التّخريبية بالبلادلى أن اصطدموا بالرّ وم الذين ورثوا إفريقيا الشّمالية [1].

والقسم الرّابع خصّصه للرّومان و حالة البربر في عهدهم ، إلى مجيء الفتح الإسلامي العربي ، الذّي إستعرض سيّره إلى سقوط الكاهنة ثم الخاتمة و كانت عن العرب و البربر و أسباب تقبّل البربر للإسلام .

وحسب الدّكتور"أبو القاسم سعد الله" فإن الكتاب قد تناول تاريخ الشّمال الإفريقي بمنظار وحدوي مغاربي ، محاولا تحقيق الإستمرارية الحضارية ، و الإرتباط لأمّة شمال إفريقيا ، وكان هذا الإهتمام بالتّاريخ القديم للمنطقة مرتبطا بالمستقبل السّياسي لها[2].

وقد نوّه المفكر التونسي"محمدالفاضل بن عاشور" بهذا العمل في صحيفة النهضة ونقلته "الشهاب"حيث قال:(كتاب السيد "أحمد توفيق المدني" الذّي سمّاه قرطاجنّة في أربعة عصور سدّ – والحقّ يقال – بعض ثلمة كبرى في الخزانة العربية) [3].

كماعلّقت الشّهاب على صدور الكتاب بالقول :(السفر النفيس الذي الفه صاحبه في هذا الموضوع ،الفقير من الكتابة فيه لساننا العربي ، فحرره في أسلوب و ترتيب محكم ، و استنتاج

---

[1]– الشهاب : العدد 92 ، 14 افريل 1927 ، ص ص 19–20

[2] – احمد توفيق المدني " مبارك الميلي مؤرخ الجزائر" ، البصائر ، العدد 26 ، 08 مارس 1948 ، ص 04

[3]– محمد الفاضل بن عاشور" علي هامش قرطاجنة في أربعة عصور، لفتح الإسلامي الأول لافريقية" " الشهاب "،العدد 10،121 نوفمبر 1927 ، ص 08

صحيح ، وتعليق معقول ، و ملاحظات وجيهة فحاجة كل إفريقي إلى هذا الكتاب اكيدة ، فنرجو ان يصادف ما يستحقه من الرواج و الانتشار) [1] .

كتاب الجزائر: و كان هذا الكتاب الذّي صدر سنة 1931م، ردّا من الشّيخ "أحمد توفيق المدني" على الإحتفالات المئوية الفرنسية الجارحة ، وكان معارضة صريحة للطّرح الفرنسي المزيّف للتاريخ ، و عنوانا لتجذّر الوطنية الجزائرية ، و قد لقي تنويها و تقديراحارّا من الشهاب[2]،حيث وضع بهذا الكتابشعارات الهوّية الوطنية ، بوضعه على غلاف الكتاب ثلاثية "الإسلام ديننا ، العربية لغتنا و الجزائروطننا" و عالج مشكلة الفراغ الذّهني التاريخي لدى الشباب الجزائري ، من مثقّفين بالفرنسية بعضهم تمزّق ذهنه إلى انجذاب نحو التّاريخ الدّخيل ، ونفور من التّاريخ الجزائري المشوّه ، و من مثقّفين بالعربية خانتهم المراجع الرّابطة للماضي بالأصالة و النزّاهة[3] ويصف"المدني" كتابه هذا بالقول: (هذا الكتاب صورة حقيقيّة لقطر الجزائر ، لم ترسمها ريشة مصور إنّما رسمها قلم باحث جعل همّه ذكر الحقائق كما هي)[4].

و يرى الدّكتور "أبو القاسم سعد الله" أنّ " كتاب الجزائر" يشبه إلى حدّ كبير"كتاب المرآة" لحمدان خوجة ، وقد ظهر المؤلف من خلال هذا الكتاب، و أنّه من دعاة التّجديد حين تحدثّ عن التعليم ، و المرأة ، و الصحافة و الشّباب و دعا إلى تكوين المدارس و التخرّج من المهن[5].

و يقول عنهأيضا المؤرّخ "محمد قنانش" (كلما رجعت إلى مقدمته أجدها شعلة وطنية تتقد حماسة ، و تفيض أحساسا و شعورا ، و أطوي الكتاب فتطلّ عليّ من الغلاف تلك الجمل الثلاث ، التي أصبحت شعارا للوطنيّة ، فلا ألبثّ أردّدها معه) [1].

---

[1]– الشهاب : العدد 115 ، 29 سبتمبر 1927 ، ص 21

[2]- Ali , merad : op-cit,p118

[3]– صالح خرفي " الابعاد التاريخية في الشعر الجزائري الحديث " الثقافة ، العدد 01 ، الجزائر : مارس 1971 ، ص 53

[4]– احمد توفيق المدني : كتاب الجزائر ، المصدر السابق ، ص 373

[5] – ابو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ، ج 7 ، المرجع السابق ص ص 422–423

يضمّ كتاب الجزائر أربعة عشر قسما ، مقسّمة إلى ثلاثة مواضيع هيّ التاريخ و الجغرافيا و الحالة الرّاهنة ، يضمّ الأقسام من 01 إلى 06 و هيّ تؤرّخ للجزائر من أقدم العصور إلى سنة 1930 م ، ضمّنها التّاريخ العلمي و الأدبي ، و قدّم خلاصة عن العنصر البربري من حيث أصوله و عوائده و نظمه و قبائله ، ثم العنصر العربي بنفس الكيفية ، إضافة إلى التّعرض للعناصر الأخرى المشكّلة لسكان الجزائر .

إما أقسام الجغرافيا فتضمّ السابع و الثامن، بحيث قدّم بطاقة تعريف للطّبيعة الجزائرية من حيث الموقع، و الحدود ، والمساحة، و المظاهر الطبيعية ، و أعقبها بعرض للنّاحية الإدارية وإحصاء السّكان ، مرفقة بترجمة (72) مدينة من أمهات المدن بالقطر الجزائري .

و خصص الأقسام من 09 إلى 14 للوضعية السياسية و القضائية و التعليمية، و الحالة الاقتصادية العامة في الجزائر.

و بعد صدور الكتاب لقيّ ردود إستحسانا كبيرا ، بتلقّي "توفيق المدني" رسائل التهنئة والتقدير التي بلغت المئات حسبما ذكره ، و قد أشاد به مفكرون ، و مؤرّخون كبار ، و منهم الأمير "شكيب أرسلان" بقوله(ظهر كتاب الجزائر بقلم الوطني الفاضل احمد توفيق المدني ، جمع هذا الكتاب كل ما تلزم معرفته من شؤون الجزائر ، بحيث لا يصح ان يخلو منه احد ممن يريدوا حق الاطلاع على أحوال المغرب الأوسط)[2]. و ما كتبته مجلات "القبس" ، ومجلة"البحوث الاسبانية" و"الأهرام" كما عنيّ بنقده والكتابة عنه والإقتباس منه جمهرة من العلـماء و الباحثين أمثال "شارل اندري جوليان" و"جاك بيري" و"شارل روبير أجيرون" و"ماسينيون"[3] ، كما كتب عنه الشيخ "عبدالحميد بن باديس" : (الخدمات التيّ يجب تقديهما للبلاد في مثل هذا الظّرف هي نظير ما

---

[1]– محمد قنانش : المواقف السياسية بين الاصلاح و الوطنية في فجر النهضة الحديثة ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر : بلا تاريخ ، ص ص 113 – 114

[2]– ميسوم بلقاسم : المرجع السابق ، ص 119 .

[3]– احمد توفيق المدني : حياة كفاح ، ج 2 المصدر السابق ، ص 207

إختطّه "توفيق المدني" ممّا جعل الشباب عارفين لوطنهم ... فاكتشاف كلّ ماكان للوطن من عزّ وسوء هو عمل مثمر، وتسمو بالوطن إلى كلّ مكانة يحمدها له العصر الحاضر و الظّف الرّاهن أجمل عمل ، فالذّي يحمل كلّ فكرة وطنية لا يصدق فيما يقول إلاّ إذا خدم الوطن من النّاحية التي خدمها المدني)[1].

و لقيمته التّاريخية والحضارية والتّجديدية ، قال عنه الأستاذ "مولود قاسم نايت بلقاسم":(لو لم يكن للأستاذ "أحمد وفيق المدني"لإ هذا الكتاب لكفاه فخرا)[2].

يعتبر كتاب الجزائر عظيم في أهميّته لدراسة التّاريخ العام في الجزائر، لأنّ المؤلف عرض فيه لأول مرّة تاريخ الجزائر وواقعها على حسب وجهة النّظر الجزائرية العربية الإسلامية ، مبرزا موقفه من الأوضاع السّائدة ، منتهجا قدرا كبيرا الدقّة والصدق في تصوير الواقع ، و الإحداث وقد كان إتقانه للّغة الفرنسية ، وإطّلاعه على القوانين الفرنسية المطبّقة ، وثقافته الواسعة دورا،في المزج بين التّريخ و الوطنية و الحضارة .

كتاب محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766-1791 م: كان الهدف من تأليف هذا الكتاب التّاريخي إظهار حقيقة الوجود العثماني بالجزائر ، و تكذيب الخرافات التي إصطنعها الإستعمار من أجل تشويه ذلك الوجود [3] . صدر الكتاب سنة 1937 م وهو عبارة عن حياة أطول الدّايات حكما ، ويقع في 191صفحة ، و المعروف أنّ المدرسة التّاريخية الفرنسية قد شنّت حملة

---

[1]- عبد الحميد بن باديس : " كتاب الجزائر و كذلك و بمثل ذلك يؤدي الواجب ايها الجزائري الناشئ " الشهاب،ج، م8 ،مارس 1932 ص 160 .

[2]- محمد الطاهر عدواني : المرجع السابق ، ص 169

[3]- احمد توفيق المدني : مذكرات الحاج احمد الشريف الزهار 1754-1830 ، ط 2،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر : 1980 ، ص 07

واسعة لتبرير التواجد الإستعماري بإلصاق الأحكام المزيّفة عن ذلك العهد و تصويره بالتّخلف الحضاري و اللصوصية [1]

وقد تضمّنت مقدمة الكتاب إهداء خصّصه المؤلف للشيخ "عبد الحميد بن باديس" مما جاء فيه: (إلى الرّجل الذي أيقظ أمّة ، و أنشا جيلا ، و ربط بين ماضي الوطن و حاضره ، و هيّأ له مستقبله في ميدان العلم و الشرف ، فكان شخصه الكريم نقطة الإتصال بين الجزائر الغابرة الماجدة و الجزائر الحاضرة المجاهدة و الجزائر المقبلة الخالدة) [2] .

كما ضمّنها تمهيد لدراسة التّاريخ التّركي في القطر الجزائري ، و أربعة أقسام عرض في القسم الأول منها خلاصة عن الولاّة و الحوادث في العصر التّركي من عام 1515 م إلى 1830 م و القسم الثاني للحديث عن سيرة "محمد عثمان باشا" ، وعن تولّيه الحكم ، وسيرته و نشاطاته الدّاخلية و الخارجية ، وضمّن القسم الثالث أهمّ ما كتب بدفتر التّشريفات ، و السجل الرّسمي الحكومي الذّي كانت الإدارة التّركية بالجزائر ترسم فيه أعماله و مذكّراتها العامّة ،و أمّا القسم الأخير عبارة عن مقتطفات من مذكّرات المستشرق الفرنسي "فونتير دي باردي" و المتعلّقة بعصر "عثمان باشا "، و قد دعّم المؤلف الكتاب بعشرين صورة متنوّعة.

و بعد صدوره قال عنه الإمام "عبد الحميد بن باديس"في ركن ثمار العقول و المطابع بمجلّة الشّهاب: (...هذا إسم السّفر الجليل الذّي ألّفه الأخ الأستاذ "أحمد توفيق المـدني" لخصّ فيه تاريخ الجزائر التّركي ، و بيّن حالته الأجتماعية و الأدبية و السياسية بأسلوب بديع ، جمع فيه الفصاحة و التّاسق ، و عرض للتاريخ بين دلائل العلم و مباهج الفنّ و بروح إسلامية لا تعرف إلاّ الصدق ، عربية لا تفارقها العزّة و الشّهامة ، و إذا كان الوطن هو تاريخ الوطن ... ولا حياة لأمّة

[1]– ناصر الدين سعيدون دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر ، الفترة الحديثة المعاصرة ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر : 1984 ، ص 37

[2]– احمد توفيق المدني : محمد عثمان باشا داي الجزائر الجزائر 1766 –1791 ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ص 05

إلا بإحياء ماضيها .فالأخ الأستاذ المدني بكتابة هذا، لم يكن كاتبا بليغا و مؤرّخا حكيما فحسب بل كان فوق ذلك خير من بعثوا أوطانا و أحيوا أمما) [1].

كما دعا الشباب المسلم إلى مطالعته قائلا [2] : (إنّه يتحتّم على كلّ مسلم جزائري أن يقرأ هذا الكتاب إلى – إذا ختمته أيها المسلم الجزائري – لا بدّ أن تخرج منه تحب من يجب أن تحب و تبغض من يجب أن تبغض)، و هذا ما يعتبر إعتراف بأهميّة الكتاب من طرف زعيم الحركة الإصلاحية في الجزائر .

ومن خلال هذا الكتاب فإن "توفيق المدني" إستطاع أن يقدّم دراسة هامّة تتّصف بقدر كبير من الموضوعية في معالجة الوجود التّركي بالجزائر ، و أن يتصدّى للأفكار الغربية المناهضة، و تزداد أهميته الكتاب في أنه صدر في الظّروف الصّعبة ،تحت السّيطرة الإستعمارية القائمة على مصادرة حرّية التّعبير والكتابة .

كتاب المسلمون في جزيرة صقلية و جنوب ايطاليا: و قد ذكر "المدني" دوافع تأليفه في قوله : (صفحة التّاريخ الإسلامي بصقليّة لم تكتب بعد ،ولم يقيّض الله لها من يفردها بدراسة قيّمة .... فيكاد يخيل اليك و انت تتلو كتب التاريخ القديمة ، ان مقام المسلمين بصقليّة ما كان إلاّ سلسلة حروب و فتن و إضطرابات ....و تلك لعمري هفوة من مؤرخينا علينا أن نتداركها ، و علينا أن نسدّ هذه الثّلمة في هيكل تاريخنا القومي العربي) [3]، وقد صدرالكتاب سنة 1946 م ، الذّي يقع في 256 صفحة. قسّمه الى مقدّمة و تسعة أقسام ، شمل الأول منها و صف جزيرة صقلّية من النّاحية الطبيعية و البشرية ، و خصّص الثاني لتاريخ موجز للعهود التّي تعاقبت عليها ،بداية من العصر الفينيقي ، و الإغريقي ، إلى الحكم الإيطالي و أبرز في القسم الثالث أهم المدن ، و المعالم و الآثار، و خصّص القسم الرّابع للحكم الإسلامي الأغلبي منذ النّشأة و حتىّ الإنهيار ، و أمّا

[1]– عبد الحميد بن باديس " محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766–1791 " ، الشهاب ، ج7 ، م13 ، سبتمبر1937 ص 356 .

[2] – عبد الحميد بن باديس " محمد عثمان باشا داي الجزائر ، الشهاب ، ج7 ، م13 ، سبتمبر1937 ، ص 358 .

[3]–احمد توفيق المدني : المسلمون في جزيرة صقلية و جنوب ايطاليا ، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر :1985 ص 04

القسم الخامس فقد خصّصه للتّاريخ الإسلامي الفاطمي، و السّادس لعصر الإستقلال الذّاتي ، و في القسم السّابع تكلّم عن الحكم الرّوماني مبيّنا مختلف أحداثه إلى غاية إخراج المسلمين من صقلّية،وعالج في القسم ما قبل الأخير النّاحية الحضارية من تمدّن و عمران ، و ختم الجزء الأخير بالحديث عن العلـوم و الآداب.

كما دعا "أحمد توفيق المدني" إلى تنشيط حركة الكتابة حول المدنيّة الأسلامية بهذه الجزيرة، بقوله (أقول بكلّ صراحة أن كتابي هذا لا يجب أن يعتبر إلاّ تمهيدا لدراسة تاريخ المسلمين في صقلية.. و إن كنت قد أدليت خلال هذه الدّراسة التّاريخية ببعض الآراء و الأفكار،فما أنا بمقدّمها إلا لكي تعرض على مجال البحث و المناظرة .....و إنني ما أقدمت على وضع كتابي هذ أو عرضه على الناقدين إلاّ لكي سألتفزّ منهم المشاعر ....فيتداركون النّقص و يأتون بفصل الخطاب) [1].

كتاب جغرافية القطر الجزائرية:و هو أول كتاب من نوعه بالعربية ،موجّه إلى طلبة المدارس التي تشرف عليها جمعية العلماء المسلمين ،والذّي سدّ فراغا علميّا كبيرا ، وربط فيه بين التّاريخ والجغرافيا ، و ملأه بالمشاعر السّياسة الوطنية[2]، وقد طبعوأل مرّة بالجزائر سنة 1948م و جاء في تقديم "المدني" لكتابه قوله: (فهذا أول كتاب جغرافيّ ، وضع عن القطر الجزائري المحبوب) [3].

كما خاطب "المدني" الشباب من خلال الكتاب موجّها رسائل سياسية عميقة ، بقوله: (ايها الشباب المسلم الجزائري : على حب الوطن ينشا شبان الدنيا قاطبة ، فهم في سبيل اوطانهم يعيشون ،وفداء لاوطانهم يستشهدون) [4].

---

[1]– احمد توفيق المدني : المسلمون في جزيرة صقلية و جنوب ايطاليا ، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر :1985، ص07

[2]–ابو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائري الثقافي ، ج7 ،المرجع السابق ،صص،420–421

[3]–احمد توفيق المدني: جغرافية القطر الجزائري ، المصدر السابق ،ص 03

[4]– نفس المكان

وقد جاء الكتاب في 143صفحة ، تميّز أسلوبه بالوضوح و بالعرض الممتاز الذّي يدفع إلى القراءة و المطالعة ، تضمّن معلومات مركّزة و إحصائيات ، مثل الكتب العصرية ، وقد وضع المؤلف أيضا في صفحة الغلاف الشعار الثلاثي الشهير (الإسلام ديننا ، العربية لغتنا ، الجزائر وطننا) ،وقسّمه إلى ثلاثة أقسام ، خصّص الأول منه للجغرفيا الطّبيعية ، فتحدّث عن موقع القطر و حدوده ، ووصف تضاريسه ، ومناخه ، وما يزخر به من إمكانات طبيعية،أما القسم الثاني فعالج فيه النّاحية الإقتصادية ، مبرزا الثروات المتنوّعة من فلاحية و حيوانية ، ومعدنية ، و طاقوية ، كما تطرّق الى حركة التصنيع التّقليدية و العصرية ، و كذا النّشاط التجاري و طرق المواصلات بأنواعها.

و في القسم الأخير إستعرض الحالة السّياسة ، فقدم إحصائيات لعدد السّكان ، و أنواع الأنظمة القضائية ، و حالة التعليم العام و الحرّ و المهني ، ووصف التّقسيم الإداري و أعطي ترجمة لمجموعة من المدن بالعمالات الثلاث، ونظرا لأهمية الكتاب فقد لقيّ تنويها من طرف العديد من الدّارسين ، و من ذلك ما كتبه عبد الرّحمان الجيلالي" بقوله : (حاز به فضل السبق،فيه دراسة مفصلة لفرع آخر من فروع العلم و المعرفة ، و هو فرع حسّاس ، يتّصل بأعماق مشاعر سكان المغرب بصفة عامّة ، و سكان المغرب الاوسط منهم بالخصوص... فلقد أفاد به النشيء الجزائري بالمدرسة العربية ، و حتىّ خارج المدرسة العربية ....فلو لا المدني ما عرف قراء العربية من أبناء هذا الشعب وضعيّة بلادهم جغرافيا ولا سياسيا ولا طبيعيا ، ولا اقتصاديا) [1].

كتاب حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر و إسبانيا 1492-1792م: و يسّجل فيه تاريخ الأحداث العسكرية و السّياسية ،التيّ دارت معظمها على شواطئ الجزائر أو بمواقع متعمّقة بالدّاخل و قد إتسم سرد تلك الأحداث بشيئي من الإسهاب و التّفصيل ، ممّا جعل الكتاب من أكثر المؤلّفات

[1]– عبد الرحمان الجيلالي : المرجع السابق ،ص26

باللّغة العربية توسّعا في هذا الموضوع ،و أوفرها مادّة[1]، صدر بالجزائر سنة 1968م ،لخّص فيه "المدني" الأسباب التي دفعته إلى كتابته في ثلاثة أمور ،وأ ّلاها ن الفترة التيّ يغطّيها شهدت ميلاد الدّولة الجزائرية الحقيقيّة لأ ّل مر ّة في تاريخها ، و ثانيها لأن هذه الدّولة جاءت نتيجة لحملة صليبية استعمارية هوجاء، و أخيرا لتصبح الفكرة المتعلقة بتدخّل الأتراك في هذه المعركة الحاسمة[2].

ويرى الدكتور "عبد المالك مرتاض" في هذا الكتاب ،أن "توفيق المدني" يجب أن يعدّ في الطّبقة العليا من المؤر ّخين الجزائريين بكتابة "حرب الثلاثمائة سنة " ففي عرضه برهنة على مقدرة الر ّجل على عرض الأحداث التّاريخية و ليس تحليلها ، و لا يتمكّن من العرضإلاّ من كانت له معارف تاريخية واسعة [3] و في الكتاب يرى الدّكتور "أبو القاسم سعد الله" في قوله:(وقبل أن يكون حرب الثلاثمائة سنة كتابا في التّاريخ ، فهو عمل تقدمت به صناعة التاريخ الجزائري أشواطا،وسيظلّ (أي الكتاب) عمدة في ميدانه إلى وقت غير قصير فقد إستعمل فيه المؤلّف وثائق هامّة ، و بو ّبه تبويبا سهلا ، وحدّ فيه بين روح مؤرخ يبحث عن الحقيقة ، وروح سياسي وطني واثق من أنّه وجدها)[4]، ويرى أيضا:(الكتاب قطعة عمل هامّة يجد فيها الباحث المتخصّصأراءمضيئة ، و يجد فيها الطّالب و المثقّف العادي مادّة تستثير الذّهن،وتلهب العاطفة وترسم الإتجاه) [5].

3- محمد البشير شنيتي: "لمحة عن كتاب حرب الثلاثمائة سنة للمرحوم الشيخ احمد توفيق المدني " مجلة التاريخ ، العدد 18، الجزائر : النصف الاول من سنة 1985 ، ص154.

[2]-احمد توقيق المدني : حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر و اسبانيا 1492-1792 م ، المصدر السابق ص6-8

[3]-عبد المالك مرتاض : نهضة الادب العربي المعاصر في الجزائر 1925-1954، المرجع السابق ص ص 212-215

[4]-ابو القاسم سعد الله : ابحاث واراء في التاريخ الجزائر، ج1،المرجع السابق ، ص ص347-349

[5]-نفسه، ص349-350

وعن المنهج الذّي إستخدمه "المدني"فيرى المؤرّخ "محمد البشير شنيتي"أنّ الرّجل قد تمسّك بالمنهج التقليدي في سرد الأخبار ، و إستقراء مسبّباتها، و إستحصال نتائجها ، مراعيا في ذلك التّتابع الزّمني ، الذّي يشكّل في مفهوم هذا المنهج محورا ذهبيا تجري حوله الأحداث [1].

كتاب مذكّرات الحاج احمد الشريف الزهار(*) 1754- 1830م و يعرض فيه الأحداث التّاريخية التي وقعت في النّصف الثاني من القرن الثامن عشر و أوائل القرن التاسع عشر إلى غاية وقوع الإحتلال الفرنسي للجزائر،وهو تحقيق لمذكّرات نقيب أشراف الجزائر ، صدر بالجزائر سنة 1974 م في 196 صفحة ، ذكر في مقدمته ،أسباب إصداره فقال:(..إنّني حين أقدم هذا الكتاب للشّعب الجزائري أنا اقوم بأداء واجبين ..وأوّلهما إني أضع وثيقة جديدة صادقة في سجلّ تاريخ العهد العثماني الطّويل بهذه البلاد الجزائريّة ....و ثانيهما إنّني أفي بعهد قطعته لسيّد فاضل من رجال الجزائر القدماء هو الشّيخ سيدي محمود الشريف) [2].

إنّ المذكّرات المحقّقة مقسمة إلى قسمين ، يعتقد أنّ القسم الأول منها ضاع ، أمّا الثاني فيبدأ من سنة 1168 هـ و ينتهي بالاحتلال الفرنسي ، قدمّه بعد أن عثر على النسخة الوحيدة منه لدى الشيخ محمود الشريف حفيد المؤلف ، و كانت على وشك الضياع ، و ذكر "توفيق المدني" في ذلك أن للمذكّرات قسما ثالثا يبدأ من الإحتلال ، و قد أشير اليه بعدة سطور فقط في آخر القسم الثاني ، لكنّه يعتبر في حكم الضّائع لكون السيد "دومينيك لوسياني" الذّي سبق "ميرانت " في إدارة الشؤون الأهلية قد إستولى عليه و لم يظهر له خبر بعد ذلك[3].

---

[1]– محمد البشير شنيتي : المرجع السابق ، ص156.

[2]–احمد توفيق المدني : مذكرات الحاج احمد الشريف الزهار 1754–1830،المصدر السابق ، ص05

2– ابو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائرى الثقافي ، ج7 المرجع السابق ، ص ص456–458

(*)احمد الشريف الزهار :كاتب و مقاوم جزائري من الاشراف ، ولد بمدينة الجزائر سنة 1781 شارك في الدفاع عن مدينة الجزائر اثناء الغزو الفرنسي و عمل مع الحاج احمد باي ثم مع الامير عبد القادر و بعد فشل مقاومة هذا الاخير التجا الى المغرب و

- تحقيق في كتـاب : مذكّرات حيـاة كفـاح .

في نهاية السّبعينيات من القرن العشرين أصدر المدني مذكّراته، التي تعتبر من المؤلّفات الهامّة و كان عنوانها "حياة كفاح"، و هذا المصطلح زيادة على رمزيته النضالية، فقد إستعمله قبل الثّورة التحريرية بمدّة زمنية أثناء تحريره لركن "منبر السياسة العالمية بالبصائر"، في وقت تعدّ فيه كتابة المذكّرات عملا جديدا في الحياة الفكرية و السياسية بالجزائر ،وإنلرا ّجوع بالإنسان إلى الوراء و مراجعة أعماله ، و علاقته بنفسه وراية أخباره في صورة ذاتية تعتمد القص ّ و تدخل الشخصي كان ذلك عمل جديد ، وهو ظاهرة ثقافية حضارية أيضا تعتمد تقليد الكتّاب الغربيّين الذين برعوا في هذا الميدان[1] ، و عن تجربة المدني كتب الدكتور"بشير تليلي" : (كنا نأمل منذ سنين أنّ الرو ّاد والمنشّطين و المسؤولين و المناضلين ، من الحركات المختلفة و المنظّمات الإجتماعية و السياسية في المغرب المعاصر يمدّوننا بمذكّراتهم ، ورواياتهم و ذكرياتهم ، مما ينير طريق المؤرخ المتعطش للأخبار و التفاصيل و المعطيات الواقية ، و التعليلات المعمّقة و الإيضاحات وعناصر الأوضاع و تحديدات المواقف و المبر ّرات ،أو التأويلات الر ّسمية أو الموجهة) [2].

و يقول أيضا عن أهمّية كتابة المذكّرات :(إن فائدة و إسهامع ، و أهميّة مذكّرات و ذكريات الشّخصيات السياسية المغاربيّة بالنّسبة لدراسة الوثائق تهمّ جوانب ميّنة من التّاريخ ، ولو إتّسمت بالحماس و الهوى ، و التّحزب و التّوجيه و الذّاتية النّابضة بالحياة ولو شحنة بالتفاصيل و المشاعر ، فإنّها تمدّو بتدقيق المؤر ّخ بأضواء و تأويلات و كشوف و معطيات ، و و ثائق مبتكرة

عادفيما بعد الى الجزائر و عمل في حقلي التجارة و الكتابة ، توفي سنة 1872م ، من اثاره هذا الكتاب المحقق من طرف توفيق المدني .

[1]- أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ،ج 7 ، المرجع السابق ،ص،ص 308-309 .

[2]- بشير تليلي : "حول مذكرة حياة كفاح " تعريب محمد بلقراد، مجلة الأصالة ، العدد 54-55 ، الجزائر : فيفري – مارس 1978 ، ص 103.

لم تنشر من قبل ،و عناصر هوّية أخرى وإعترافات و أبعاد أخرى ،و معلومات غير التيّ تنقلها نصوص الأرشيفات)[1].

وقد ضمّن "المدني" تعريفا لمذكّراته بقصّة حياته و تجاربه، بإعتباره شاهد عصره، كتبها بأسلوب شيّق و أفكار واضحة، و عبارات منسجمة أعطى خلالها نظرة عن الأحداث و الحقائق التي عاصرها، ومن خلال هذه المذكّرات إستطاع أن يجمع وثائق هامة تفيد الباحثين في التاريخ[2].

و صدرت المذكّرات في ثلاثة * أجزاء سنوات 1976م ،1977م،1982م وهي تشكّل زبدة االتجاب النضالية "للمدني" ،جاء ت في1386 صفحة ،وهي صورة حيّة عن نضاله و عناده، وصمود أمّة وغلبتها على مختلف الأعداء الخارجيين ، وقد أدركت الرجل الوفاة دون إتمام الجزء الرابع المتعلق بمرحلة الاستقلال و هي فترة دقيقة خضعت فيها الجزائر لكثير من المسخ و الإستغلال و التآمر المحبوك بإرادة إستعماريةوبقدر ما في هذه المذكّرات من حقائق و إنتصارات و إنكسارات ، ففيها الكثير من نفس "المدني" السّياسي و المفكر و الكاتب و الأديب[3] *.

يغطي الجزء الأول من المذكرات ، الفترة الممتدّة بين 1905-1925م وهي التي عاشها بتونس وحسب "بشير التليلي"فإنّ مذكّرات "المدني" لم تسهم فقط في الإجابة عن علامات إستفهام ، بل شاركت أيضا في سدّ فجوات في تاريخ تونس المتعلّق بما بعد الحرب العالمية الأولى.

خاصة و أن "المدني" قد عاش فترة شهدت تطور تونس المعاصرة بين سنوات 1905-1925م بصفته من مؤسّسي و مسؤولي الحزب الدّستوري الحرّ ، وبما أنّه شارك بعمق في جميع أحداث المجتمع الجليلة ، الأيديولوجية و السّياسية حتى يوم إبعاده من البلاد ،فإنّ مذكّراته تلقي من جديد أضواء على مجموعة من التّساؤلات التونسية حول نقاط خاصة في نشاطات الدّستوريين و

---

[1]- ا نفسه، ص 104

[2]- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي ، المرجع السابق ، ص ص456-457.

[3]- عمر بن قنينة: "أحمد توفيق المدني المفكر و الكاتب المنسي"،الموقع السابق.

*- نشر أحمد توفيق المدني مذكراته في ثلاث أجزاء ، وأشار إلى نيته في إصدار الجزء الرابع الذي خصصه لمرحلة الاستقلال ، إلا أن هذا الجزء غير موجود حسب ما أشار إليه الدكتور أبو القاسم سعد الله كتابه تاريخ الجزائر الثقافي ، ج7، ص457 .

الإصلاحيين ، وحول شخصيات العصر ، ويمدّنا بوثائق إستثنائية لم تنشر في الماضي ، ولها إرتباط بالأصل الذي نبت منه تأسيس الدّستور ، ولجنة تأييد الخلافة و بالوفود و الخلافات بين الدّستوريين والإصلاحيين و، بذهاب الشيخ "الثعالبي" إلى الشّرق وبحملة الدّستوريين ضدّ سياسة التجنيس، و من جهة أخرى تصحّح لنا المذكّرات المظاهر الرّئيسية من الحياة الإجتماعية و الأدبية و الفنيّة في تونس في فترة ما بعد الحرب العالمية الأولى وكذا قبيلها، فهي سخيّة بالمعلومات بالنسبة إلى المؤرّخ فهي تطلعنا على عدّة مسائل إسلامية متوسطيّة ، و على تأثيرها العميق على البلاد[1] .

ويغطّي الجزء الثاني مرحلة المدّ الوطني و النّضال القومي بروحه الدّينية كما جسّده الفكر الإصلاحي من عام 1925م إلى 1954م[2] ،حيث عرض فيها صور للواقع الجزائري إجتماعيا و ألقى أضواء على بروز الحركة الأصلاحية ممثّلة في جمعية العلماء المسلمين ، و الخلافات القويّة بينها وبين الطّرقيين و المستعمرين، و تتبّع تطور المقاومة للحركة الوطنية ، مبيّنا بوضوح أهمّ الخيارات والأساليب التي إعتمدها الشّعب الجزائري في كفاحه ضدّ الإستعمار ، كما رسم في هذا الجزء صورة لمختلف الشّخصيات التيّ تعامل أو تفاعل معها ، من خلال رحلته الدّاخلية عبر مناطق الجزائر.

أما الجزء الثالث من المذكّرات فيغطّي مرحلة هامّة منتاريخنا الجزائريّ ، مرحلة الثّورة التحريرية الكبرى 54-1962م أبرز فيه مختلف النّشاطات السياسية و الإعلامية التي شارك فيها أثناء تأدية مهامّه الثورية، مسجّلا تفاصيل دقيقة عن أسباب الصّراعات، و مبرزا حقائق دقيقة عن وجه جبهة التحرير الوطني بإعتباره عنصرا فاعلا فيها .

وقد ذكر "المدني" الغاية من تأليف المذكّرات ، حيث كتب في مقدمة الجزء الأول يقول:(لست خلال كتابتي ، هذه مفتّشا عن جملة ناصعة ،أو عبارة برّاقة، أو تعبير أدبي ثريّ ، بل إنّما هي الفكرة أطلقها ، الذاكرة تمليها، و القلم يرسمها ،ولا أكاد أتدخّل بينهما إلا نادرا ، ثم أنّي من خلال هذه الصورة الواضحة أتكلّم بحريّة تامّة ، دون تحيّز أو تعصّب عن كل ما مرّ من

[1]- بشير التليلي : المرجع السابق ، ص 105.
[2]- عمر بن قنينة :" أحمد توفيق المدني المفكر و الكاتب المنسي"الموقع السابق

حوادث وعن كلّ من عرفت من الرّجال ، وعن جميع ما لاحظته عن الدّول و النّظم ومختلف الأقوام)[1].

و أضاف يقول في مقدمّة الجزءالثالث مبرّرا إستعماله عبارات الذّاتية:(فإن كنت خلال هذا الجزء من كتابي ، أو خلال ما سبقه ، و ما سيتبعه بحول الله أستعمل عبارات : قلت ، فعلت، رأيت ، سمعت ،فتلك هي العبارات التيّ يستعملها الشّاهد و هو يدلي بشهادته، و يقول : ما شهدنا إلا بما علمنا) [2].

والظاهر أنّ هذا المؤلف وبالنظر إلى أهميّته ، كان لصدوره صدي و ردود الأفعال وموافق، تباينت بين مشيد وبين منتقد،وإختلفت التعاليق خاصة حول طريقة تقديم المؤلف لشخصية وإبراز دوره ومواقفه من الأحداث، وكيفية تصويره لوقوعها، ومن هذه المواقف، ما كتبه الدكتور "بشير التليلي"تعليقا على الجزء الأوّل من المذكّرات حيث يرى(..أنّ القسم الأول منها، هو بلا نزاع إسهام نفيس جدّا وفيه عبرة للمعتبر، ويسهم على كلّ حال في إعادة النّظر في معلوماتنا التّاريخية وفي تصحيحات على أقلّ تقدير، وبالنسبة إليه فإنّه مطالعة ما قدمه المدني ممتعة جدا في القراءتين الأولى و الثانية،وهي مشوّقة و مثيرة للإهتمام في المعنى النبيل للّفظ ،كما يعدّ مرجعا أساسيا للتاّريخ الإسلامي المتوسطي المعاصر)[3].

كما يرى الدّكتور "عبد الكريم بو الصفصاف" في المذكّرات:(إن المدني ومن خلال مذكراته حياة كفاح عمد إلى فتح حوار واسع بين تاريخ الجزائر و تاريخ تونس في ظلّ الإحتلال الفرنسي، مع إبراز كل الامتدادات المشتركة بين البلدين،ومن هنا يمكن القول أنّ المؤرّخ "أحمد توفيق المدني"ما يزال حتىّ الآن يتصدّر المرتبة الأولى في الانفتاح على تاريخ الآخرين، بمدّه جسرا

[1]- أحمد توفيق المدني : حياة كفاح ، ج1 ، المصدر السابق ،ص08.
[2]- أحمد توفيق المدني : حياة كفاح ، ج3 ، المصدر السابق ،ص13.
[3]- بشير التليلي: المرجع السابق ، ص 105.

وطيدا بين نضال الشعبين الجزائري و التونسي إلّن الحركة الوطنية المغاربية طوال النصف الأوّل من القرن العشرين) [1].

وقد نشر "المدني" الجزء الثاني من المذكّرات ، سنة 1977م، وهو القسم الذي يمتّد من منتصف العشرينيات إلى منتصف الخمسينيات، يتناول مرحلة حاسمة على كافة المستويات في مسيرة المقاومة الوطنية والتي قادت إلى تفجير الثورة ، حيث قام بعرض ما تضمّنه في يوم 07 ديسمبر من السنة نفسها بالمركز الوطني للدّراسات التاريخية و هو ما أسال الكثير من الحبر و أثار ردود أفعال مختلفة، وقد كتبت عن ذلك "جريدة الشعب" في عددها ليوم24 جانفي1978م بإمضاء "الأسعد" ومما جاء في المقال:(يبدوا أن الجزء الثاني من مذكّرات "توفيق المدني" أثار نقاشا و جدالا واسعا وسط الذين عاشو أحداث النصف الأول من هذا القرن و لازالوا أحياءا يرزقون، ومن الطبيعي أن يثير كل كتاب مناقشات، بإعتباره يتضمن رؤية شخصية لحدث معيّن ليس من الضّروري أن يتّفق الجميع في تحليله بنفس الطّريقة ،ولكنّ أهمية كتاب "توفيق المدني" تأتي من كونه يسلّط الأضواء على جزء من تاريخنا القريب، ظلّ لحدّ الآن مجهولا في أدقّ تفاصيله، وأصبح مهدّدا بالتلف ...ولذلك فإنّ المناقشة التيّ تثيرها مثل هذه المذكّرات، تعتبر في حدّ ذاتها إسهاما في مجهود إعادة كتابة تاريخنا)[2].

وفي هذا الصّدد تضمّنت الصّحف الوطنية كجريدة النصر بقسنطينة، جريدة "الشعب" بالعاصمة و جريدة "الجمهورية" في وهران، عدد من المقالات في أعمدتها بأقلام أساتذة كردود الأفعال على كتاب المدني ، وهم الأستاذ "حمزة بوكوشة"،"محمد الطاهر فضلاء"و"محمد الصالح رمضان" وقد شهد شهري فيفري و مارس1978م نشر مقالات عديدة في هذا الاتّجاه، و من أهم تلك الرّدود ما كتبه"محمد الصالح رمضان" أحد تلامذة الجمعية، وأحد المعاصرين للأحداث في عدة حلقات بجريدتي "الشعب"و "الجمهورية" تحت عنوان:"من غربل الناس نخلوه، نظرة عامة على كتاب حياة

[1]- عبد الكريم بو صفصاف:"المؤرخون الجزائريون و منهجية الكتابة في الحركة الوطنية الجزائرية في عهدي الإحتلال و الإستقلال" المرجع السابق ص 48.

[2]- الأسعد : "من أجل الحقيقة التاريخية" ، جريدة الشعب، الجزائر: 24 جانفي 1978.

كفاح للأستاذ"توفيق المدني"، و مما جاء في أحد مقالاته:(لو كانت مذكّراته شخصية لا تتناول رجالنا، وقضايانا القومية و الوطنية كمذكّرات "مالك بن نبي" مثلا لما إنتقدها،ولما حفلنا بها إلاّ بمقدار معين، ولكنها كما تتناول حياة صاحبها، تتناول حياتنا كذلك وبروح غريبة، فهي بقدر ما ترفع الأولى تضع الثانية، و بقدر ما تستهين بهذه أو تهينها، تشيد بتلك وتتباهى بها) [1].

ويرى الدكتور "عمر بن قينة"أنّ صفة النرجسية مثل سمة المبالغة تعدان من خصائص التعبير لدى "المدني" في كتاباته و خطاباته، وحتىّ في حديثه لأجهزة الإعلام المرئية و المسموعة و المقروءة، وهي أمور تتعلق بالمكونات النفسية للشّخصية، وتلك النّزعة و غيرها من العيوب البشرية ـ التي قد تكون في كل إمرئ ـ هي ممّا ألّب عليه بعض معاصريه خاصّة ممن كانوا في جمعية العلماء[2].

و في هذا يُضا ر أي الدّكتور "بشير التليلي" إنه مما قد يعاب على "المدني" ، هو ذكره بإستمرار نشاطاته أثناء مذكّراته،معتقدا أنّ ذلك يعدّ من متطلبات فنّ المذكّرات،يبرّره في الغالب الدّور الذي يقوم به المناضل المسؤول عن حركة في طور تكوينها، وعلاوة على ذللك لا يستطيع المؤرّخ أن يناهض التقديرات، وشهادت مناضلي العصر، بل هو بخلاف ذلك يسعى إلى المطالبة بها والبحث عنها[3].

واذا كان لكتاب المدني "المذكرات "منتقدين ، فهناك أيضا من دافع عنه وكانت لهم أراء مخالفة للمنتقدين ، منصفة للمؤلف ، منهم الدكتور "محمد الهادي الحسني" ، الفّي يعتقد أن سمة المبالغة التي وصف بها البعض "المدني"، هي أمر طبيعي جدّا،إذ أنّ مسألة الاعتزاز بالأنا

[1]- محمد الصالح رمضان:"من غربل الناس نخلوه، نظرة عامة على كتاب حياة كفاح للأستاذ توفيق المدني"، جريدة الجمهورية، الجزائر:13 مارس1978، ص10.
[2]- عمر بن قينة: إتجاهات الرحالين الجزائريين في الرحلة العربية الحديثة، المرجع السابق،ص ص 102-103
[3]- بشير التليلي: المرجع السابق،ص106.

مطروحة لدى كلّ الناس، ولكن بدرجات متفاوتة مستشهدا بما قاله الزعيم البريطاني "تشرشل" عندما سئل: هل تقرأ التاريخ ؟ ، فكانت إجابته بالنفي حيث قال: لا أقرأ ذلك، بل أنا الذي يصنع التاريخ)[1].

ومهما إختلفت الاراء حول مذكّرات الشيخ "أحمد توفيق المدني" بين إشادة وإنتقاد ، فإن ما قدّمه ال"مدني" عبر هذه المذّكرات التأليفية و ما تضمنت من نقاط إيجابية، وعناصر تفيد الدّارسين للتاريخ الوطني ،كما تعتبر أهم ّ ما كتب من الكتابات التاريخية،وأنّ المؤرخ أو الدّارس للتّاريخ لابدّ له أن يمتلك هذا المؤلف الشهير، خاصة ذلك الذي يعني بدراسة تاريخ شمال إفريقياوبالأخص ّ تونس و الجزائرس[2].

و مما نستنتجه من عرضنا لأعماله في التأليف التاريخي أنّ الحركة التأليفية "للمدني" نشطة ،حيث إستطاع رغم مساهمته المتنّوعة في ميادين أخرى أن يدعّم المكتبة العربية الجزائرية بمؤلفات كانت فيملأ ّ الحاجة اليها في تلك الفترة . .

[1]- محمد الهادي الحسني: مقابلة شخصية، أولاد يعيش، البليدة : 30 جوان 2006.
[2]- مدني بشير: المرجع السابق ، ص 148.

الخاتمـــــــــــــة

في ختام دراستنا لموضوع إسهامات "أحمد توفيق المدني" في الثورة الجزائرية 1954-1962 م فإننا نخلص إلى الاستنتاجات التّالية :

من أعلام الفكر والأدب المفكر السياسي، الباحث الكاتب الجزائري:"أحمد توفيق المدني "1889-1983م، فهوموهبة فذّة تكونت ثقافياً بعصاميّة نادرة ، ثم دخل معترك الحياة الفكرية والأدبية من باب السّياسة منذ سنة 1925م، ليكون إحدى القلاع الشامخة في الفكر الوطني والإصلاحي المقاوم ، في الإطار الصحفي، وفي خندق جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ،ثم في صفوف جبهة التحرير الوطني، بعد إعلان الكفاح المسلح 1954م-1962م و كانت أداته في ذلك فكره و قلمه ولسانه، ثم جهوده كوزير وسفير، وكباحث مؤلف، وكاتب متميّز في المقالة الصحفية،والسياسية، والأدبية، فكان المسلم العربي الجزائري الأصيل بعمله، وبفكره، وبقلمه، مدافعا عن وطنه الصغير، وأمّته الإسلامية الكبرى، ومنها العربية خصوصاً التي كانت تعاني أشكالاً من الاحتلال الأوروبي (الفرنسي و الإنكليزي و الإيطالي والإسباني).

وبعد الإحتلال الفرنسي في للجزائر 1830م وفشل ثورة 1871م إنتقلت أسرة (أحمد توفيق المدني) إلى (تونس) هروباً من بطش الإستعمار المحتل، حيث ولد يوم 24 جمادى الثانية 1317هـ/1 نوفمبر 1889م ودرس في جامعة الزيتونة مع جنوحه إلى تكوين نفسه بنفسه، ممّا جعله ينغمس تدريجياً في الحياة الفكرية والسياسية، حتىّ أبعدته من أجل ذلك السلطات الفرنسية من (تونس) التي طالها الإحتلال الفرنسي بعد (الجزائر)فكانت وجهته بلده الجزائر، التي حلّ بها سنة 1925م فوجد المناخ مهيأ سياسياً وفكرياً لاستقبال قلمه، وحيويته السياسية، فشرع يؤلف في تاريخ وطنه، ويكتب المقالات المختلفة في القضايا الوطنية والعربية والإسلامية عموماً، كما صار عضواً في (جمعية العلماء المسلمين الجزائريين) فكان من أهمّ شخصياتها، ومن أبرز الأقلام في صحفها، خصوصاً بإسهامه الفاعل والمدوي في (جريدة البصائر) التي ترأّس تحريرها، "حتى سنة 1956م

ومع إندلاع الثورة التحريرية 1954م،رمى المدني بكل ثقله فيها ، بمواقفه المشرفة المساندة لها سواءا الشخصية أو في إيطار جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، مجنّدا قلمه وفكره لخدمتها ونصرتها، ولإخلاصه ووزنه الفكري و السياسي، كلّف من طرف الثورة بالسّفر إلى القاهرة ليكون عضواً في الوفد الخارجي لـ (جبهة التحرير الوطني)، ثم صار عضواً في الحكومة المؤقتة حتى الإستقلال1962م، فأسندت إليه حينئذ وزارة الأوقات، كما عيّن بعد 1965م سفيراً ووزيراً مفوضاً،في أكثر من بلد إسلامي، خدم وطنه كمسؤولبكل إخلاص ومثّل الجزائر كسفير ،أحسن تمثيل.

جاهد "المدني" سياسياً وفكرياً، حتى كانت وفاته في خريف 1983م فانتهى "أحمد توفيق المدني" السياسي، وبقي المفكر والمؤلف، والأديب خالداً في وجدان أمّته، بآرائه، ومواقفه، التي تعكسها آثاره المنشورة ككتب، وكعيون مقالات في صحف عربيةوإسلامية، ومنها جزائرية، أهمّها (البصائر)،حيث صدر لهأوّل كتاب سنة 1931م (كتاب الجزائر) عن الجزائر تاريخياً، وجغرافيّا ، وأعيد طبعه مرة ثانية سنة 1985م بعد وفاته "ومن آخر أعماله، هذه الجزائر، صدر بالقاهرة 1956م ، للتعريف بالجزائر أرضاً وتاريخاً وثورة ، وكذا(مذكّرات الحاج أحمد شريف الزهّار)، (تحقيق في سلسلة ذخائر المغرب العربي) الجزائر، 1980م ، حياة كفاح (مذكرات) في ثلاثة أجزاء 76-1982م.وكتاب (حياة كفاح) زبدة المسيرة النضالية على مستوى الجسد والفكر، سياسياً متنقلاً عبر أقطار المعمورة، خصوصاً فيالبلاد العربية وّالإسلامية، ومفكّراً، ومؤلفاً وكاتباً تؤرقه قضايا أمته الإسلامية الكبرى، كما يبتهج لانتصاراتها، متطلعاً في كلّ ذلك –يومئذ– إلى خلاص وطنه من الاحتلال الفرنسي .

المـــــــــــــــــلاحق

الملحق رقم:01

مذا جرى ربّاه إنّي هالكه ... نزلتْ عليّ مصائب كالصّاعقة
هذي بَلِي الألمان جاءت تبْتغي ... باريس تَصْليها نِيراناً حاميه
وذي جُنود الأنكليز قد انْتشرْ ... تبغي مراكزها لعلّها خائنه

ألـــــــمانيـــــــا

أنضنْي أيّتها البَهيمة أنّني ... أُرسل جُنودي لميادين القتال
لأصونَ أرضك أنتِ يا منْ بِي ... المغرب الأقصى ضيّعت أُلوفًا من الرّجال
لقد ضيّعت مُدرّعات عشرة ... عشرون ألف قضوا حتف الأجال
أبَعْدَ هذا تَطلُبين إعَانَتي ... إنّ ذا لَهُو الضّلال

فـــــــرانسه

تَعْسًا لك من دولةٍ خائنة ... طوَّحْتِني في حرْب شعْبٍ قاسيا
فلأكْتَفِنّ بالأُخرى ولا صَبحَ ... عوْدًا لأختك يا حبيبتي روسيا

روســـــيـــــا

بافرِدَعِيني يا أُخْتي إنّني ... في الهمّ والأحزان والأكدار
قد جاءني الأتْراكُ لمّا كنتُ في ... قليسيا(Galice orient)أفْتَحُ الأمصار
ساروا إلى القفقاز(Caucase)في مجموعهم ... فَتَحُوهُ قَصْرًا، واقتفُوا الآثار
قد ضَرَبني الألمانُ واستولَوْا على ... أرض بها جمع من الأحرار
أبَعْدَ هذا تَطلُبين إعَانتي مع ... أنّني في الغمّ والأحزان والأكدار

فـــــــرانسه

نعم خُدعت اليوم شرّ خَديعة ... وإنّني حمْقاء وبلهاء مغترّه

تـــــونس

هذا جزاء الظّلم يا فرانسه ... والظّلم مصْرعه وخيمٌ كما ترى
لمّا دَخَلْتِني، إليّ قُلْتِ إنّني ... مُحْتَاجة للعدل وهذا بلا مُرا

ولكن أطرَدْت مِنّي العدل مُطْلقًا ... والظّلم عن أنيابه قد كشّرا
أرْشَادٌ فأنقذْني وكَمْرٌ قيديا ... وارفع على أرضي لواءً أحمرًا

القصيدة التي نظمها المدني وكانت سببا في إعتقاله سنة 1915م

المصدر: ANT, E550-30/15-836 Doc N°:07

رشـــــاد

مهلا بُنيّتي إنّني أُنْجِيكِ والجُنْدُ — قبل طرابلس يأتيك

إنّي رشادُ الذين ليثٌ في الوَغَى — وسأنقذُ الإسلامَ من حاميك

تـــــونس

ربّي عمّرني طويلا لكي أرى — محلّي قِشْلة القصّباء رايتنا الحمرا

فـــــرانسه

رفقا يا غليوم رفقا بالتي — تَجْثُوا أمام عَلْيَاكَ المتعصم

نعم إنّي فرانسه قد قهرت — وفي هذا دليل للانتصار وقوّتي

فـــــرانسه

نعم سعدي قد أفل — بالخيبات الأمل

أنـــــكلترا

بالخيبات الأمل

تابع للملحق رقم:01

ملحق رقم:02

منار العقول والمطابع

محمد عثمان باشا

داي الجزائر « ١٧٦٦ - ١٧٩١ »

هذا اسم السفر الجليل الذي الفه — أخيرا — الاخ الاستاذ احمد توفيق المدني فحص فيه تاريخ الجزائر في العصر التركي . وبين حالتها الاجتماعية والادبية والسياسية باسلوب بديع جمع الفصاحة والتناسق وعرض للتاريخ بين دلائل العلم ومباهج الفن . وبروح اسلامية لا تعرف الا الصدق عربية لا تفارقها العزة والشهامة . واذا (١) كان « الوطن هو تاريخ الوطن » كما يقول الاستاذ عبد الرحمن صدقي و « لا حياة لامة الا باحياء ماضيها » كما يقول الدكتور هيكل — فالاخ الاستاذ المدني بكتابه هذا لم يكن كاتبا بليغا ومولفا مبدعا ومؤرخا حكيما فحسب بل كان فوق ذلك من خير من يعتز اوطاننا واحيوا امما.

ان من جنايات الاستعمار الاوربي على البشرية انه قلب حقائق التاريخ على الناس فقد صور الامم التي ابتليت به واصيبت بشره بصور من الهمجية والوحشية والتاخر والانحطاط لا اشنع منها ذلك ليبرر استيلاءه عليها وليهون عليها ما ارتكبه فيها من عمران وان كان هو المستغل لذلك العمران والمستبد به فاميريكا — مثلا — يصورها الاستعمار ويصور سكانها الاصليين باقبح الصور حتى هب من ابنائها الاصليين ومن العلماء المنصفين من رد ذلك التصوير وزيفه وهاك بعضا مما يبين لك هذا ذكره الاستاذ محمد كرد علي في آخر كتابه (الاسلام

(١) راجع المقالين المنشورين في هذا الجزء في باب المجتنيات

تقريظ الشيخ عبد الحميد بن باديس لكتاب (محمد عثمان باشا)

المصدر: مجلة الشهاب ،ج7،م13.سبتمبر1937

والحضارة العربية) قال الاستاذ :

« ذكر احد الباحثين في جريدة الكوتيدين LE QUOTIDIEN البارزية تحت عنوان « تاريخ الامم المغلوبة على امرها لم يكتب » ان المجلس الاعلى لبقايا هنود اميريكا في الولايات المتحدة ارسل الى شيخ مدينة شكاغو احتجاجا جاء فيه : « ان الكتب المدرسية المستعملة الان في الولات المتحدة صورت قبائل الهنود في صورة مخالفة للحقيقة التاريخية » . قال الكاتب و ليتنا نفكر قليلا فيما كانت عليه اميريكا قبل ان يفتتحها كولومبس ، و نقرأ ما قصه الفاتحون الاولون وارباب الرحلات الاقدمون من الاقاصيص الغريبة ، و نلقي رائد الطرف على المدن القديمة في العالم الجديد و ما بلغته من الازدهار و ما غصت به من المعابد العظيمة التي تضاهي بعظمتها معابد مصر ، و تماثيلها العظيمة المحلات بالذهب و ما كان هناك من مناحف و خزائن كتب و مراصد فلكية واذا كتب لنا ان نتوغل في مدنية المكسيك ومدنية المايا في يوكتان ولانكاس في الانو — اذا رأيت كل هذا استنتجت — والدهشة آخذة منك — ان فتح اميريكا كان من اعظم جنايات اوربا » اهـ.

هذا هو نفس ما هو واقع بالجزائر من تشويه تاريخها وتصويرها في جميع عصورها خصوصا في العصر العثماني — باقبح الصور في الكتب التي تدرس في المكاتب الفرنسية وتدرس — يا للبلية يا للحسرة لابنائها . غير ان الجزائر ليس فيها جمعية تحتج على هذا التشويه الباطل القبيح ، بلى : من ابنائها — المشغفين بالافرنسي طبعا — من ينكر تاريخها جملة و يزعم ان لا شخصية لها

لكن لا يمكن للحقيقة ان تبقى مستورة بالاباطيل فهي كالشمس لا بد ان تظهر ولو توالت ايام الدجن والغيوم . فقد جاء الاخ احمد توفيق المدني بكتابه هذا يبين ما كانت عليه الجزائر من القوة والعمران قبل الاحتلال الفرنسي وما

357

تابع للملحق رقم:02

ملحق رقم:03

اصابها من التخريب والتقتيل ايام الاحتلال وبعيد الاحتلال ناقلا له من كتب ووثائق افرنسية لا غبار عليها

هذا الى بيان ما كانت تتمتع به من حرية في دينها وقضائها واغنها وتعليمها وبيان غير ذلك من احوالها

لا تتسع هذه الصفحات لعرض كل ما في الكتاب ولكنني اقول بكلمة واحدة : انه يتحتم على كل مسلم جزائري ان يقرأ هذا الكتاب . وانك — اذا ختمته ايها المسلم الجزائري — لا بد ان تخرج منه تحب من يجب ان تحب .. وتبغض من يجب ان تبغض .. والحب والبغض سلاحان لازمان في الحياة ولا بقاء لامة بدونهما اذا استعملتهما في محلهما

وحقيق علي ان اذكر بالاعجاب والسرور المطبعة العربية للاخ الشيخ ابي اليقظان التي اخرجت الكتاب في حلة فنية جذابة تدل على تقدم الجزائر في الفن المطبعي وان اذكر بالثناء المكتبة المصرية لحضرة محمود نسيم افندي التي تولت نشره . جازى الله العاملين على نشر العلم واحياء الامم بكل احسان وجميل

عبد الحميد بن باديس

المصدر: جريدة المنار،العدد 17 ، 06 فيفري 1953

استفتاء حول قضية الاتحاد بين الجزائريين، أجرته جريدة المنار سنة 1953م مع شخصيات فاعلة على الساحة الوطنية ومن بينها أحمد توفيق المدني

ملحق رقم:04

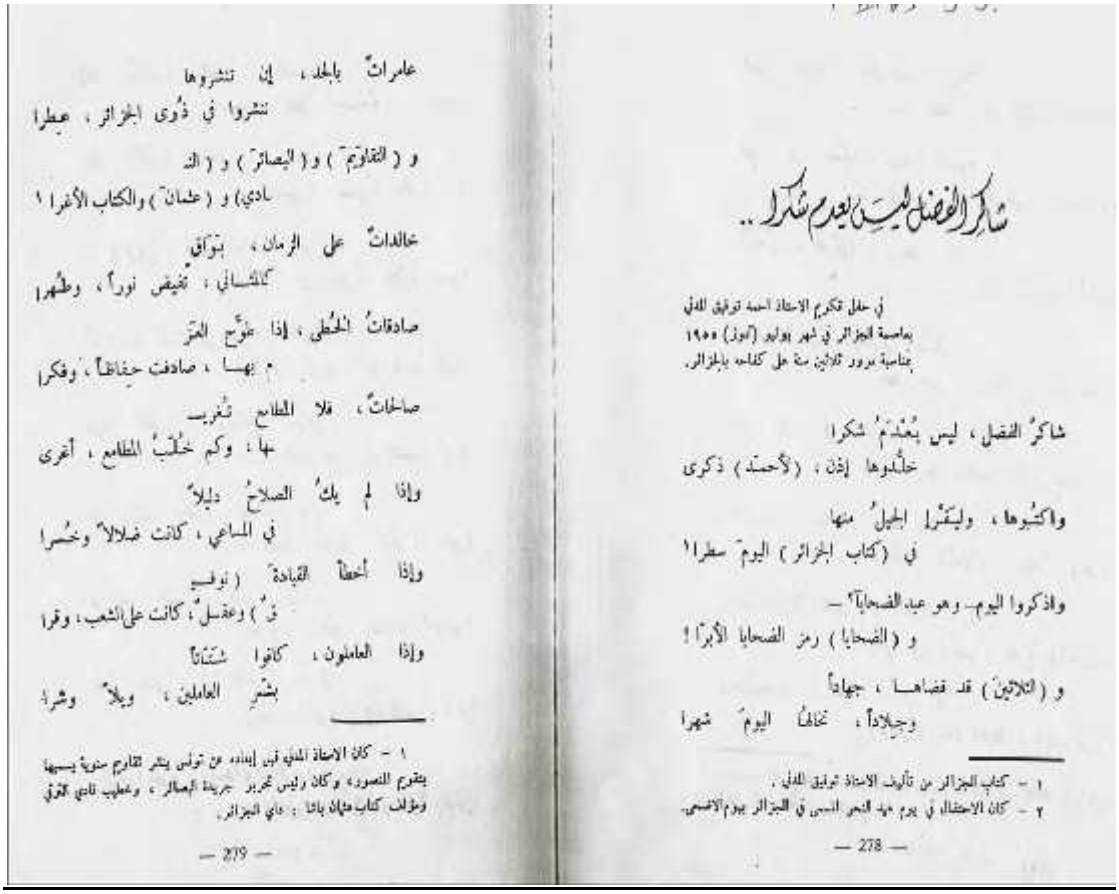

شاكرُ الفضل ليس يُعدَمُ شكرا ..

في حفل تكريم الاستاذ احمد توفيق المدني
بمناسبة الجزائر في شهر يوليو (تموز) ١٩٥٥
بمناسبة مرور ثلاثين سنة على كفاحه بالجزائر.

شاكرُ الفضل ، ليس يُعْدَمُ شكرا
خلّدوها إذن ، (لأحمد) ذكرى

واكتبوها ، وليَقْرأ الجيلُ منها
في (كتاب الجزائر) اليومَ سطرا[1]

واذكروا اليوم - وهو عيد الضحايا[2] -
و (الضحايا) رمز الضحايا الأبرّا !

و (الثلاثين) قد قضاها ، جهاداً
وجِلاداً ، تخالُ اليومَ شهرا

١ - كتاب الجزائر من تأليف الاستاذ توفيق المدني .
٢ - كان الاحتفال في يوم عيد النحر السمى في الجزائر يوم الاضحى.

— 278 —

عامراتٌ بالمجد ، إن تنشروها
تنشروا في ذُرى الجزائر ، عِطرا

و (التقاويمَ) و (البصائرَ) و (النـ
ـادي) و (عثمانَ) والكتاب الأغرا[1]

خالداتٌ على الزمان ، بَواقٍ
كالشمالي ، تُفيض نوراً ، وطُهرا

صادقاتُ الخُطى ، إذا عوَّج العِرْ
ـبَ بها ، صادفت حِفاظاً ، وفكرا

صاحباتٌ ، فلا المطامعُ تُغريـ
ـها ، وكم خُلّبُ المطامع ، أغرى

وإذا لم يكُ الصلاحُ دليلاً
في المساعي ، كانت ضلالاً وخُسرا

وإذا أخطأ القيادةَ (توفيـ
ـقٌ) وعقلٌ ، كانت على الشعب وقرا

وإذا العاملون ، كانوا شتاتاً
بشّر العاملين ، ويلاً وشرا

١ - كان الاستاذ المدني قبل إبعاده عن تونس ينشر تقارير سنوية يسميها بتقويم المنصور ، وكان رئيس تحرير جريدة البصائر ، وخطيب نادي الترقي ومؤلف كتاب هتلر باشا : داعي الجزائر .

— 279 —

الإشادة بمآثر أحمد توفيق المدني من قبل شاعر الثورة مفدي زكرياء خلال حفل تكريم أقيم سنة 1955 للاحتفال بمرور ثلاثين عاما على إبعاده

المصدر : مفدي زكريا: اللهب المقدس ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر :1983

ملحق رقم:05

الثورة بين الشعب والشعوب

المجاهد

طبعة خاصة

ميلاد اول حكومة حرة للجمهورية الجزائرية

يعلن عنه داخل الجزائر وفي عواصم الاقطار العربية

ست حكومات تعترف منذ الساعات الاولى

جبهة التحرير الوطني
الجزائر

باسم الشعب الجزائري -

نظرا للسلطات التي خولها المجلس الوطني للثورة الجزائرية الى لجنة التنسيق والتنفيذ (لائحة ٢٨ اوت ١٩٥٧) فان لجنة التنسيق والتنفيذ قد قررت تكوين حكومة مؤقتة للجمهورية الجزائرية وقد حددت تشكيلها كما يلي :

رئيس الحكومة :	فرحات عباس
نائب رئيس ووزير القوات المسلحة :	كريم بلقاسم
نائب رئيس :	محمد بن بلة
وزراء دولة :	حسين ايت احمد ـ رابح بطاط محمد بوضياف ـ خيضر
وزير الشؤون الخارجية :	محمد الامين دباغين
وزير السلاح و التموين :	محمود الشريف
وزير الداخلية :	الاخضر بن طبال
وزير الاتصالات العامة والخابرات :	عبد الحفيظ بوالصوف
وزير شؤون المغرب العربي :	عبد الحميد مهري
وزير الشؤون الاقتصادية والمالية :	احمد فرنسيس
وزير الاخبار :	محمد يزيد
وزير الشؤون الاجتماعية :	ابن يوسف بن خدة
وزير الشؤون الثقافية :	احمد توفيق المدني
كتاب الدولة :	الامين خان ـ عمر الصديق مصطفى اسطنبول

ان الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية مسؤولة امام المجلس الوطني للثورة الجزائرية ، وهي تباشر مسؤولياتها ابتداء من هذا اليوم الجمعة ٤ ربيع الاول ١٣٧٨ هـ، الموافق ليوم ١٩ سبتمبر ١٩٥٨ م. على السا عة الواحدة بعد الزوال بتوقيت الجزائر .

١٩ سبتمبر ١٩٥٨

قائمة أعضاء أول حكومة مؤقتة للجمهورية الجزائرية

المصدر : جريدة المجاهد طبعة خاصة ، 19 سبتمبر 1958

ملحق رقم :06

١٩٥٨/١٢/٨ — المجاهد — ص ١١

السيد احمد توفيق المدني وزير الشؤون الثقافية يحدثنا عن :

وضعية الطلبة الجزائريين في الخارج

س ـ ما هو عدد الطلاب الجزائريين وما عدد المعاهد التي هم في البلدان التي يدرسون فيها ؟ وهل في استطاعتكم ان تعطونا ارقاما مضبوطة عن عددهم في كل بلد شرقي او غربي ؟

ج ـ [illegible]

س ـ هل من الممكن ان تعطونا فكرة عامة عن فيه الخدمات التي يؤديها الى الوطن . وان امكن فهل يمكن ان تعطينا تقييم انجازات في الاستقلال بشتى شؤونها ؟

ج ـ [illegible]

س ـ هل هناك فتيات من بينهن من يدرسن الطب ؟ وهل هناك من بينهن من يدرسن الهندسة ؟

ج ـ [illegible]

س ـ ما هي الصعوبات المادية التي تؤديها ، والتي تعترض الجزائريين في استطاعتكم ان تذكروا لنا الغرض من ذهابكم الى تونس ؟

ج ـ [illegible]

س ـ هل في الامكان ارسال مجموعة من الشبان الى الصين الشعبية ليتكونوا ويتثقفوا على مختلف نواحي الثورة العصرية القائمة على اساس علمي صحيح ؟

ج ـ [illegible]

س ـ ما هي الساعات القادمة التي تؤديها ، والتي تعترض الجزائريين في استطاعتكم ان تذكروا لنا الغرض من ذهابكم الى تونس ؟

ج ـ [illegible]

س ـ هل تشائمون من تقلصي في العنون الجديدة ام ان الظروف قريبة جدا لا زال هذه الناحية التي لم لا تتنبه اليها الا بعد انتهاء الحرب ؟

ج ـ [illegible]

س ـ هل هنالك ميادين دراسية بقيت شاغرة ام ان جميع الميادين مرغوبة في توزيع الطلاب ؟

ج ـ [illegible]

س ـ ما هو وقت تخرج الدفعات الاولى من طلابنا ؟

ج ـ [illegible]

ثورة السودان تعزز معسكر الاحرار

بقية ص ٩

[illegible]

حوار أجرته جريدة المجاهد مع وزير الثقافة أحمد توفيق المدني حول وضعية الطلبة الجزائرين، ديسمبر 1958م..

المصدر : جريدة المجاهد ، العدد 33 ، 08 ديسمبر1958

ملحق رقم:07

JOURNAL OFFICIEL
DE LA RÉPUBLIQUE ALGÉRIENNE
DÉMOCRATIQUE ET POPULAIRE

DECRET N° 62-1 DU 27 SEPTEMBRE 1962
PORTANT NOMINATION DES MEMBRES DU GOUVERNEMENT

Le Chef du Gouvernement, Président du Conseil,

Vu la résolution de l'Assemblée nationale constituante en date du 26 septembre 1962 fixant les modalités de désignation du Gouvernement,

Décrète :

Article 1er. — Sont nommés :

Vice-Président du Conseil	MM. Rabah BITAT
Ministre de la Justice, Garde des Sceaux	Ahmed BENTOUMI.
Ministre de l'Intérieur	Ahmed MEDEGHRI.
Ministre de la Défense Nationale	Colonel BOUMEDIENE.
Ministre des Affaires Etrangères	Mohammed KHEMISTI.
Ministre des Finances	Docteur Ahmed FRANCIS.
Ministre de l'Agriculture et de la Réforme Agraire	Amar OUZEGANE.
Ministre du Commerce	Mohammed KHOBZI
Ministre de l'Industrialisation et de l'Energie	Larbaoui KHELIFA.
Ministre de la Reconstruction, des Travaux Publics et des Transports	Ahmed BOUMENDJEL.
Ministre du Travail et des Affaires Sociales	Bachir BOUMAZA.
Ministre de l'Education Nationale	Abderrahmane BENHAMIDA.
Ministre de la Santé	Mohamed Seghir NEKKACHE.
Ministre des P.T.T.	Moussa HASSANI.
Ministre des Anciens Moudjahidines et des Victimes de la Guerre	Mohammedi SAID.
Ministre de la Jeunesse et des Sports	Abdelaziz BOUTEFLIKA.
Ministre des Habous	Tewfik EL-MADANI.
Ministre de l'Information	Mohammed HADJ-HAMOU.

Art. 2. — Le présent décret sera publié au *Journal officiel de la République algérienne, démocratique et populaire.*

Fait à Alger, le 27 septembre 1962.

Ahmed BENBELLA.

قائمة أعضاء أول حكومة وطنية بعد الاستقلال

المصدر: الجريدة الرسمية ، العدد 01 ، 26 أكتوبر 1962م

ملحق رقم :08

الجمعة 8 جمادى الثانية عام 1391 هـ
الموافق 30 يوليو سنة 1971 م

العـــدد 62
السنة الثامنة

الجمهورية الجزائرية
الديمقراطية الشعبية

الجريدة الرسمية

الجمعة 8 جمادى الثانية عام 1391 هـ — الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية — 1019

ان رئيس الحكومة ، رئيس مجلس الوزراء ،

ـ بناء على تقرير وزير الشؤون الخارجية ،

ـ وبمقتضى الامرين رقم 65 ـ 182 ورقم 70 ـ 53 المؤرخين في 21 ربيع الاول عام 1385 الموافق 20 يوليو سنة 1965 و 18 جمادى الاولى عام 1390 الموافق 22 يوليو سنة 1970 والمتضمنين تأسيس الحكومة ،

ـ وبمقتضى المرسوم رقم 66 ـ 140 المؤرخ في 22 صفر عام 1386 الموافق 2 يوليو سنة 1966 والمتعلق بالوظائف العليا ،

ـ وبمقتضى المرسوم رقم 68 ـ 204 المؤرخ في 3 ربيع الاول عام 1388 الموافق 30 مايو سنة 1968 والمتضمن تحديد الاحكام الخصوصية المشتركة المطبقة على الموظفين الدبلوماسيين والقنصليين ،

ـ وبمقتضى المرسوم رقم 68 ـ 205 المؤرخ في 3 ربيع الاول عام 1388 الموافق 30 مايو سنة 1968 والمتضمن تحديد احكام القوانين الاساسية المطبقة على الوزراء المفوضين والمستشارين وكتاب الشؤون الخارجية ،

يرسم ما يلي :

المادة الاولى : يعين السيد توفيق المدني ، سفيرا فوق العادة ومفوضا لدى الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية ، باسلام أباد (الباكستان) .

المادة 2 : يكلف وزير الشؤون الخارجية بتنفيذ هذا المرسوم الذي ينشر في الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية .

وحرر بالجزائر في 4 جمادى الثانية عام 1391 الموافق 26 يوليو سنة 1971 .

هواري بومدين

القوانين الاساسية المطبقة على الوزراء المفوضين والمستشارين وكتاب الشؤون الخارجية ،

يرسم ما يلي :

المادة الاولى : يعين السيد عبد الحفيظ منصوري ، سفيرا فوق العادة ومفوضا للجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية ، ببرلين (الجمهورية الديمقراطية الالمانية) .

المادة 2 : يكلف وزير الشؤون الخارجية بتنفيذ هذا المرسوم الذي ينشر في الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية .

وحرر بالجزائر في 4 جمادى الثانية عام 1391 الموافق 26 يوليو سنة 1971 .

هواري بومدين

مرسوم تعيين أحمد توفيق المدني سفيرا بالباكستان سنة 1971م

المصدر: الجريدة الرسمية ، العدد 62 ، 30 يوليو 1971م

ملحق رقم :09

فضيلة الشيخ أحمد توفيق المدني في ذمة الله

(و ا ج) – انتقل الى جوار ربه فجر امس فضيلة الشيخ احمد توفيق المدني الملقب بالمتصوف عن عمر يناهز 85 سنة اثر نوبة قلبية

ولد الفقيد احمد توفيق المدني بتونس يوم اول نوفمبر 1898 من اسرة جزائرية وتلقى علومه بها من الكتاب حتى جامعة الزيتونة التي بدأ بها نضاله مبكرا ضد الاستعمار وقد اعتقلته الادارة الاستعمارية عدة مرات لكن ارادته القولاذية في مواجهة الاستعمار

البقية على ص (4)

رئيس الجمهورية يعزي اسرة الفقيد

(و ا ج) – أرسل الرئيس الشاذلي بن جديد رئيس الجمهورية الامين العام لحزب جبهة التحرير الوطني برقية تعزية الى اسرة الفقيد الاستاذ توفيق المدني الذي وافته المنية صباح امس بالجزائر

تشييع جنازة الشيخ أحمد توفيق المدني

(و ا ج) : تم عقب صلاة ظهر امس تشييع جثمان الشيخ احمد توفيق المدني الى مثواه الاخير بمقبرة سيدي عبد الرحمان الثعالبي (عاصمة الجزائر) .

وقد انتقل المؤرخ الجزائري المعروف احمد توفيق المدني الى رحمة الله صباح اول امس بمنزله اثر نوبة قلبية عن عمر يناهز 85 سنة ، وحضر تشييع جنازة الفقيد عدد من كبار المسؤولين من الحزب والدولة الى جانب افراد اسرته وزملائه في المركز الوطني للدراسات التاريخية الذي انضم اليه الفقيد منذ سنة 1975

وفي كلمة التأبين اشير الى مناقب الفقيد وجهوده في التعريف بتاريخ الجزائر القديم والحديث ونضاله السياسي ، واشير بصفة خاصة الى جهوده في استرجاع الكثير من الوثائق عن الحقبة التركية بالجزائر جمعها من مكتبات وارشيفات تركيا والاشراف على ترجمتها ونشرها بمجلة التاريخ التي تصدر عن المركز الوطني للدراسات التاريخية .

الإعلان عن خبر الوفاة ومراسيم تشييع جنازة المرحوم الشيخ أحمد توفيق المدني بالصحافة الوطنية

المصدر: الجريدة الشعب، العددان 6213-6214 ، ليومي 19-20 أكتوبر 1983م

ملحق رقم :10

صور تذكارية للأستاذ توفيق المدني بمناسبة انعقاد الملتقى الدولي حول ابن خلدون، الجزائر 1978م.

صورة 01 : الأستاذ توفيق المدني على اليسار مع أحد المدعوين في الملتقى

صورة 02 : الأستاذ توفيق المدني على اليسار و الأستاذ محمد الطويلي على اليمين ، يتوسطهما الأستاذ محمد الميلي

المصدر :مجلة التاريخ العدد 18 الصادرة عن المركز الوطني للدراسات التاريخية ، الجزائر 1985م

البيبليوغرافيـــــــــــــــــــــا

- المصـــــــــــــــادر

الوثائق الأرشيفية :

1- A.N.T, E 550-30 /15-836, Arrête du 23/10/1918, du général Alix – commandant la division d'occupation de tuinisie, ministre de la guerre du gouvernement tunisien, doc N85

2- Archives nationales de tunisie (A.N.T) série Mouvement nationl, carton , 16,Dossier 1document N 57"

3- A.N.T. Rapport de clapier – commissaire spécial de police , le 02/03/1915 , document N11

4- I.S.H.M.N tunisie 1917-1940, bobine 39, carton 61 , dossier N 02 , le R.G à Ribot-ministre des affaires étrangères le 20/09/1917,folio 46.

- باللغة العربية

الصحف والمجلات

1- صحيفة الشهاب

- جريدة الشهاب ،العدد 03،29 جوان 1926.
- جريدة الشهاب،العدد30،51اوت 1926.
- جريدة الشهاب،العدد14،92افريل 1927.
- جريدة الشهاب،العدد09،100جوان 1927.

- جريدة الشهاب،العدد04،108اوت 1927.
- جريدة الشهاب،العدد29،115سبتمبر 1927.
- جريدة الشهاب،العدد10،121نوفمبر 1927.
- جريدة الشهاب،العدد17،122نوفمبر 1927.
- جريدة الشهاب،العدد17،160اوت 1928.
- مجلة الشهاب، ج3 – م8،مارس 1932.
- مجلة الشهاب،ج5 – م10،افريل 1934.
- مجلة الشهاب،ج10 – م11،جانفي 1935.
- مجلة الشهاب،ج9 – م11،نوفمبر 1937.
- مجلة الشهاب،ج5 – م6،جوان 1930.
- مجلة الشهاب،ج1 – م15،فيفري 1939.
- مجلة الشهاب،ج1 – م15،فيفري 1939.
- مجلة الشهاب،ج7 – م13،سبتمبر 1937.
- مجلة الشهاب،ج5 – م13،جويلية 1937.
- مجلة الشهاب،ج6 –م13،اوت 1937.
- مجلة الشهاب،ج9– م10،اوت 1934.

2– البصائر

- جريدة البصائر،العدد02،1اوت 1947.
- جريدة البصائر،العدد04،29اوت 1947.
- جريدة البصائر،العدد16،23فيفري 1948.
- جريدة البصائر،العدد16،13فيفري 1948.
- جريدة البصائر،العدد08،29مارس 1948.
- جريدة البصائر،العدد19،32افريا 1948.
- جريدة البصائر،العدد52 ،11اكتوبر 1948.
- جريدة البصائر،العدد27،61 ديسمبر 1948.
- جريدة البصائر،العدد18،76افريل 1949.
- جريدة البصائر،العدد09،79ماي 1949.
- جريدة البصائر،العدد08،89اوت 1949.
- جريدة البصائر،العدد30،105جانفي 1950.
- جريدة البصائر،العدد05،122جوان 1950.
- جريدة البصائر،العدد12،146مارس1951.
- جريدة البصائر،العدد26،148مارس 1951.
- جريدة البصائر،العدد07،154ماي 1951.
- جريدة البصائر،العدد13،167اوت 1951.

- جريدة البصائر،العدد19،147نوفمبر 1951.
- جريدة البصائر،العدد01،182فيفري 1952.
- جريدة البصائر،العدد04،145 مارس 1954.
- جريدة البصائر،العدد02،343ديسمبر 1955.

3-جريدة النجاح:

- جريدة النجاح ،العدد339، 03 سبتمبر 1929.

4- جريدة الاصلاح:

- جريدة الاصلاح،العدد17،13فيفري 1930.
- جريدة الاصلاح،العدد28،17حانفي 1940.
- جريدة الاصلاح،العدد11،55 جويلية 1947.
- جريدة الاصلاح،العدد17،49ماي 1947.

5- جريدة المنار:

- جريدة المنار،العدد30،06جويلية 1951.
- جريدة المنار،العدد15،07اوت 1951.
- جريدة المنار،العدد31،08اوت 1951.
- جريدة المنار،العدد05،09اكتوبر 1951.

6- جريدة المجاهد:

- جريدة المجاهد،العدد08،33ديسمبر 1958.
- جريدة المجاهد،العدد25،37فيفري 1959.
- جريدة المجاهد،العدد(53-54)،نوفمبر 1959.

7- جريدة المغرب:

- جريدة المغرب،العدد26،1ماي 1930.

8-مجلة التاريخ:

- مجلة التاريخ ، العدد08،الجزائر،النصف الاول من سنة 1981.
- مجلة التاريخ ، العدد10،الجزائر، النصف الاول من سنة 1981.
- مجلة التاريخ ، العدد18، الجزائر، النصف الاول من سنة 1985 .

9- مجلة المعرفة:

- مجلة المعرفة ، العدد 01،الجزائر،ماي 1963.
- مجلة المعرفة ، العدد 17،الجزائر مارس 1964.
- مجلة المعرفة ، العدد 10،الجزائر ،افريل1964.
- مجلة المعرفة ، العدد 13،الجزائر ،جويلية 1964.
- مجلة المعرفة ، العدد 15،الجزائر سبتمبر- اكتوبر 1964.

ب- الكتب:

1- الابراهيمي محمد البشير اثار محمد البشير الابراهيمي؛ج3؛ط1؛الشركة الوطنية للنشر والتوزيع؛الجزائر :1981.

2- ابن خدة بن يوسف:نهاية حرب التحرير في الجزائر اتفاقيات ايفيان ، تعريب لحسن زغدار و محل العين جبائلي ، ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر 1986

3- ابن العقون عبد الرحمان بن ابراهيم: الكفاح القومي و السياسي من خلال مذكرات معاصر،ج1 ،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر 1984.

4- ابن العقون عبدالرحمان بن ابراهيم : الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر ؛ج1 ؛المؤسسة الوطنية للكتاب ؛الجزائر1984.

5- الثعالبي عبد العزيز : تونس الشهيدة ؛ ط 1 دار الغرب السلامي ؛ بيروت ،لبنان : 1984.

6- جبهة التحرير الوطني: الميثاق الوطني للجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية 1976 ،طبع المعهد التربوي الوطني، الجزائر: 1976 .

7- حماني احمد: صراع بين السنة والبدعة، ج2،ط1،دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة : 1984

8- خير الدين محمد : مذكرات ، ج1، الموسسة الوطنية للكتاب بلا تاريخ. الذيب فتحي : عبد الناصر وثورة الجزائر، ط1 دار المسقبل العربي للنش و التوزيع، القاهرة 1984

9- عباس فرحات : حرب الجزائر و ثورتها – ليل الاستعمار ترجمة اب بكر رحال ، مطبعة فضالة، المحمدية المغرب : بلا تاريخ.

10- غيليسبي جوان : الجزائر الثائرة ،ترجمة خيري حماد ،ط1،دار الطليعة،بيروت،لبنان:1961.

11- فضلاء محمد الطاهر : التحريف و التزييف في كتاب حياة كفاح ، ط1 دار البعث للطباعةو النشر، قسنطينة :1982.

12-كافي علي : مذكرات الرئيس علي كافي، من المناظل السياسي الى القائد العسكري 1946 – 1962 ،دار القصبة للنشر ، الجزائر 1999

13-المدني احمد توفيق : حياة كفاح ، (مذكرات) ج1 ، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1988 .

14-المدني احمد توفيق: حياة كفاح، (مذكرات) ج2، الشركة الوطنية للنش و التوزيع ، الجزائر 1983 .

15-المدني احمد توفيق : حياة كفاح،(مذكرات) ج3 ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1988 .

16- المدني احمد توفيق : كتاب الجزائر ، ط2 نشر دار الكتاب ، الجزائر 1963 .

17- المدني احمد توفيق : محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766 – 1791 ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر: 1986 .

18- المدني احمد توفيق : المسلمون في جزيرة السقلية وجنوب ايطاليا ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر: 1985.

19- المدني احمد توفيق: جغرافية القطر الجزائري ،ط2 المطبعة العربية بالجزائر:1952

المدني احمد توفيق:هذه هي الجزائر، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة:1956 .

20- المدني احمدتوفيق: حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر و اسبانيا 1492 – 1792 ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر: بلا تاريخ.

21- المدني احمد توفيق: مذكرات الحاج الشريف الزهار1754-1830،ط2

الشركةالوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر:1980 .

22- الميلي محمد :1984 ،مواقف جزائرية ، المؤسسة الوطنية للكتاب ط1، الجزائر.

23- الورتلاني الفضيل:الجزائر الثائرة ،دار الهدى للطباعةو النشر، عين مليلة ، الجزائر:1982 .

24- الفاسي علال : المغرب العربي منذ الحرب العالمية الاولى ، المطبعة الفنية الحديثة ، مصر: 1971 .

25- قنانش محمد ، قداش محفوظ : نجم الشمال الافريقي 1926- 1937 ، وثائق وشهادات لدراسة تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر: 1984 .

26- نايت بلقاسم مولود قاسم : ردود الفعل الاولية داخلا و خارجا على غرة نوفمبر أو بعض مآثر الفاتح نوفمبر ، ط1، دار البعث للطباعة و النشر قسنطينة 1984 .

المصادر باللغة الفرنسية:

ب- الكتب:

1- Ben youcef ben khedda : Abane –ben ,M'hidi :leur apport à la révolution Algérienne, édition ; Dahleb, Alger : 2000

ثانيا:المراجع باللغة العربية :

أ- الكتب :

1- جيرون شارل روبار :تاريخ الجزائر المعاصرة ، ترجمة عيسى عصفور، ط1،منشورات عويدات، 1983

2- اتحاد المؤرخين الجزائريين: المدرسة التاريخية الجزائرية،ط1، وسام براس للاعلام و النشر و الاشهار، الجزائر:1998 .

3- بوالطمين جودي الاخضر : مسيرة الثورة الجزائرية من خلال مواثيقها ، ط1،دار البعث قسنطينة :1993.

4- بوحوش عمار التاريخ السياسي للجزائر منذ البداية و لغاية 1962 ط1،دار الغرب الاسلامي،بيروت، لبنان 1997 .

5- بوصفصاف عبد الكريم : جمعية العلماء المسلمين و دورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية1931-1945،ط1 دار البعث للطباعة و النشر قسنطينة :1981 .

6- بوصفصاف عبد الكريم جمعية العلماء و علاقاتها بالحركات الجزائرية الاخرى 1931-1945 دراسة تاريخية و اديولوجية مقارنة، منشورات المتحف الوطني للمجاهد،طبعالمؤسسة الوطنية الاتصال و النشر و الاشهار الجزائر:1996 .

7- بن قينة عمر اتجاهات الرحالين الجزائريين في الرحلة العربية الحديثة ،ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر:1995 .

8- بوعزيز يحي :الاتجاه اليميني في الحركة الوطنية الجزائرية من خلال نصوصه ،(1912-1948)،ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر:1997.

9- تركي رابح عمامرة: التعليم القومي والشخصية الجزائرية 1931 – 1956،ط2،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع،الجزائر:1981.

10- جوليان شارل اندري :افريقيا الشمالية تسير (القوميات الاسلامية والسيادة الفرنسية) ترجمة المنجي سليم واخرون ،الدار التونسيةللنشر،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،تونس :1976.

11- الجندي انور : الفكر و الثقافة المعاصرة في شمال افريقيا ،الدار القومية للطباعة و النشر،القاهرة 1965 .

12- حقي احسان الجزائر العربية ارض الكفاح المجيد،ط1، منشورات المكتب التجاري للطباعة و النشر و التوزيع،بيروت،لبنان1961 .

13- حربي محمد : الثورة الجزائرية سنوات المخاض، ترجمة نجيب عياد صالح المثلوثي،موفم للنشر،1994 .

14- حربي محمد : الجزائر 1954 -1962 جبهة التحرير الوطني الاسطورة الواقع،ترجمة كميل قيصر داغر،ط1،مؤسسة الابحاث العربية،دار الكلمة للنشر ، بيروت، لبنان: 1983 .

15- دبش اسماعيل : السياسة العربية و المواقف الدولية تجاه الثورة الجزائرية 1954 – 1962: دار هومه للطباعة و النشر و التوزيع : 2000 .

16- الذويب جمال هاشم ، محمد حسين الزبيدي : الموجزفي التاريخ العربي ، منشورات الجامعة المفتوحة ،طرابلس، ليبيا: 1997 .

17- الذوادي زهير : الوطنية و هاجس التاريخ في فكر عبد العزيز الثعالبي ، سراس للنشر، تونس 1995 .

18- زوزو عبد الحميد : الهجرةو دورها في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين 1919 -1939 ، ط2،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر:1985 .

19- الزبيري محمد العربي : الثورة الجزائرية في عامها الاول ،ط1،دار البعث للطباعة و النشر، قسنطينة ، الجزائر :1984 .

20- الزبيري محمد العربي: المؤامرة الكبرى او اجهاض ثورة، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر :1989 .

21- الزبيري محمد العربي : تاريخ الجزائر المعاصرة،ج1 منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق:1999 .

22- زايد مصطفى : التنمية الاجتماعية و نظام التعليم الرسمي فيالجزائر 1962-1980 ،ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 1986 .

23- سعدالله ابو القاسم: الحركة الوطنية الجزائرية 1900 – 1930 ،ج2، ط4،دار الغرب الاسلامي، بيروت ، لبنان : 1982 .

24- سعدالله ابو القاسم: ابحاث و اراء في تاريخ الجزائر، ج1 ،ط2،الشركةالوطنية للنشرو التوزيع، الجزائر: 1981 .

25- سعدالله ابو القاسم: دراسات في الادب الجزائري الحديث ، الدار التونسية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر: بلا تاريخ .

26- سعدالله ابو القاسم: ابحاث و اراء في تاريخ الجزائر ،ج3 ،ط1، دار الغرب الاسلامي ،بيروت ،لبنان :1990 .

27- سعدالله ابو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي ، ج7، دار الغرب الاسلامي ،بيروت، لبنان : 1995 .

28- سعدالله ابو القاسم: الحركة الوطنية الجزائرية 1930 – 1945 ،ج3 ،ط1 ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر: 1986.

29- سفاري الان ثورة الجزائر ،ترجمة النخلة طلاس، مطابع ادارة الشؤون العامة و التوجيه المعنوي ،بلا مكان.

30- سيف الاسلام الزبير : الاعلام و التنمية في الوطن العربي ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1986.

31- سيف الاسلام الزبير : تاريخ الصحافة في الجزائر، ج4، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1986: .

32- سعيدوني ناصر الدين: دراسات و ابحاث في تاريخ الجزائر ، الفترة الحديثة و المعاصرة ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر: 1984.

33- الشيخ سليمان : الجزائر تحمل السلاح ، دراسة في تاريخ الحركة الوطنية و الثورة المسلحة ، ترجمة حافظ الجمالي ، منشورات الذكر الاربعين للاستقلال ، وزارة المجاهدين : 2002 .

34- صاري الجيلالي ، قداش محفوظ :الجزائر في تاريخ المقاومة السياسية 1900 – 1954 الطريق الاصلاحي و الطريق الثوري ،ترجمة عبد القادر بن حراث ،المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر : 1987 .

35- الطمار محمد :تاريخ الادب الجزائري ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر :1981.

36- العلوي محمد الطيب : مظاهر المقاومة الجزائرية من عام1830 حتى ثورة اول نوفمبر 1954 ، دار البعث للطباعة و النشر ، قسنطينة: 1985 .

37- عواطف عبد الرحمان : الصحافة العربية في الجزائر 1954- 1962 ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر:1985 .

38- ابن قفصية عمر: أضواء على الصحافة التونسية 1860- 1970 ، دار بوسلامة للطباعة و النشر، تونس :1972.

39- حميد عبد القادر: فرحات عباس رجل الجمهورية ، دار المعرفة ، الجزائر :2001 .

40- فضلاء محمد حسن : من أعلام الاصلاح في الجزائر ، ج1 ، دار هومة الجزائر:2000 .

41- فاسي مصطفى : البطل في القصة التونسية حتى الاستقلال المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر 1985 .

42- مرتاض عبد المالك: نهضة الادب العربي المعاصر في الجزائر 1925-1954 ' النهضةالفكرية ، النهضة الصحفية و الادبية – النهضة التاريخية ، ط2 ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر 1983

43- مرتاض عبد المالك : فنون النثر الادبي في الجزائر 1931- 1954 ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر : 1983 .

44- مرتاض عبد المالك : أدب المقاومة الوطنية في الجزائر 1870-1962،ج2،منش ناصر محمد : منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة اول نوفمبر 1954، الجزئر: 2003.

45- محمد الصالح الصديق : شخصيات فكرية وادبية ،ط1،دار الامة للطباعة والنشر ، الجزائر : 2002.

46- محمد الصالح الصديق : اعلام من المغرب العربي،ج3،موفم للنشر ،الجزائر:2000.

47- محمد الصالح الهرماسي : مقاربة في اشكالية الهوية، المغرب العربي المعاصر دار الفكر ، دمشق ، سوريا 2001 .

48- مناصرية يوسف : الاتجاه الثوري في الحركة الوطنية ما بين الحربين العلميتين ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر : 1988 .

49- مالكي محمد: الحركات الوطنية و الاستعمار في المغرب العربي ، ط2 مركز دراسات الوحد العربية ، بيروت ، لبنان :1994 .

50- ناصر محمد : المقالة الصحفية الجزائرية ، نشأتها و تطورها و اعلامها من 1903 الى 1931 ، م1 الشركة الوطنية للنشر و للتوزيع ، : الجزائر: 1978.

51- ناصر محمد : الصحف العربية الجزائرية من 1847 الى 1939 ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر : 1980 .

52- ناصر محمد : : أبو اليقظان و جهاد الكلمة المؤسسة الوطنية للكتاب ، ط2 ، الجزائر : 1983 .

53-كلود هنري و آخرون : الاستعمار الفرنسي في المغرب العربي ، ترجمة محمد عيتاني ، دار المعارف ، بيروت : بلا تاريخ .

54-يحي جلال : العالم العربي الحديث و المعاصر ، ج2 ، المكتب الجامعي الحديث ، الاسكندرية ، مصر: 1998 .

ب- الاطروحات

1- بوعسيلة سليمة : مجالبات وزارة الشؤون الدينية و الاوقاف بالجزائر من ماي 1963 الى أكتوبر 1999 م، دراسية وصفية و تاريخية ، مذكرة ماجستير، قسم الاعلام و الاتصال ، جامعة الجزائر :2001 .

2- حباطي عايدة : التجنس و موقف الجزائريين منه 1919 – 1939 ، مذكرة ماجستر ، قسم التاريخ ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الاسلامية ، قسنطينة :2004 .

3- حمدي فاطمة : المشكل الثقافي في الحركة الوطنية الجزائرية 1950- 1954 م من خلال بعض أشكال التعابير الفنية و الأدبية ، دبلوم در اسات معمقة ، معهد التاريخ ، جامعة الجزائر: 1981.

4- رحاي محمد : الابعاد الثقافية و السياسية في حركتي عبد العزيز الثعالبي و علال الفاسي دراسة تاريخية و فكرية مقارنة،مذكرة ماجستير،قسم التريخ ، جامعة منتوري قسنطينة : 2005.

5- زنير سليم : التطور الثقافي في الجزائر ، دراسة في النصوص و المؤسسات 1962.- 1986 ، مذكرة ماجستير ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الاسلامية ، قسنطينة :2001.

6- شترة خير الدين : مساهمات جزائرية في الحية السياسية و الثقافية التونسية من مطلع القرن العشرين الى غاية سنة 1939، مذكرة ماجستير ، قسم التاريخ ، جامعة الامير عبد القادر للعلوم الاسلامية ، قسنطينة :2002.

7- لوصيف سفيان : التحولات الثقافية في الجزائر 1962-1978 التربية و التعليم نموذجا ،مذكرة ماجستير ، قسم التاريخ ،جامعة منتوري ،قسنطينة :2006.

8- مرغيت محمد : موقف الشهاب من قضايا معاصرة 1925- 1939،مذكرة ماجستير،قسم التريخ ،جامعة الامير عبد القادر للعلوم الاسلامية ،قسنطينة : 2003.

9- معزة عز الدين : فرحات عباس و دوره في الحركة الوطنية و مرحلة الاستقلال 1899- 1985 ، مذكرة ماجستير ،قسم التاريخ ،جامعة منتوري قسنطينة : 2004.

10- ميسوم بلقاسم : الكتابات التاريخية الجزائرية في الفترة 1927- 1957،من خلال مؤلفات مبارك الميلي و احمد توفيق المدني و عبدالرحمان الجيلالي ،دراسة تحليلية و

نقدية ، مذكرة ماجستير ، قسم التاريخ ، المدرسة العليا للاساتذة في الآداب و العلوم الانسانية ، جامعة الجزائر : 2002 .

11- مريوش أحمد : الشيخ الطيب العقبي و دوره في القضية الوطنية ،رسالة ماجستير ،معهد التاريخ ، جامعة الجزائر 1992.

- **الدوريات المعاصرة :**

- مجلة الثقافة ،العدد 85 ،الجزائر : جانفي – فيفري 1985.
- مجلة الثقافة ،العدد 80،الجزائر : مارس- أفريل 1984 .
- مجلة الثقافة ،العدد 104 ،الجزائر :مارس – أفريل 1988.
- مجلة الثقافة ،العدد 76 ،الجزائر :جويلية – أوت 1983.
- مجلة الثقافة ،العدد 77، الجزائر : سبتمبر- أكتوبر 1983.
- مجلة الثقافة ،العدد 1، الجزائر : نوفمبر – ديسمبر 1970.
- مجلة الحياة الثقافية ، العدد 28- 29، تونس :1983.
- الشعب الثقافي ، العدد10،الجزائر : 1 نوفمبر 1972.
- مجلة الاصالة، العدد 20، الجزائر : ماي – جوان 1974 .
- مجلة الاصالة، العدد 07، الجزائر : مارس – أفريل 1972.
- مجلة الاصالة، العدد 16 ،الجزائر : سبتمبر – أكتوبر 1973.
- مجلة الاصالة، العدد 54- 55، الجزائر :فيفري – مارس 1978.

- مجلة الاصالة، العدد 44 ،الجزائر : أفريل 1977.
- المجلة التاريخية المغربية ، الجزائر : العدد05 جانفي 1976.
- مجلة الحوار الفكري ، العدد05 ، جانعة قسنطينة : أوت 2003.
- مجلة الدراسات التاريخية ، العدد07 ، جامعة الجزائر : 1993.
- مجلة الذاكرة ،العدد02، الجزائر :ربيع، 1995.
- الجريدة الرسمية ،العدد62 ، الجزائر : 30جويلية 1971.
- جريدة الشعب ، العدد6213، الجزائر : 19 أكتوبر 1983.
- جريدة الشعب ، العدد6214، الجزائر : 20أكتوبر 1983.
- جريدة الشعب ،24 جانفي 1978.
- جريدة الجمهورية ،13 مارس 1978.
- جريدة الجمهورية ،28 مارس 1978.

- المعاجم:

1- بوصفصاف (عبد الكريم) وآخرون:معجم أعلام الجزائر في القرنين التاسع عشر و العشرون، ج2، مخبر الدراسات التاريخية و الفلسفية، جامعة قسنطينة:2004.

2 - الشيخ (أبوعمران): معجم مشاهير المغاربة،المؤسسة الجزائرية للطباعة،جامعة الجزائر:1955.

- مواقع الانترنيت:

1- www.binbadis.net/dirasat/lire-rabah-turki-amamra l.htm.

www.a wu-dam.org/book/00/study00/283-a-k/ind-book00-sd0htm.

2- www.islam on line .net

3-www.s q u .edn.om/stu/tht/history.

4-www.chihab.net./modules.php؟name=nems§file=article§sid=872

- المراجع باللغة الفرنسية:

1- André noshi : la naissance du nationalisme Algérien 1914-1954, édition de minuit, paris : 1962

2- Ageron, Charles Robert : Histoire De L'Algérie Contemporaine, PUF, Paris : 1977.

3- Ageron, Charles Robert : Les Algériens Musulmans et La France 1871-1919, T2, PUF, Paris : 1968.

4- Anonyme, du Manifeste à la république Algérienne, édition liberation, Alger : 1948,

5- Benjamin stora, Zakya Daoud : Ferhat Abbâs une autre Algérie, édition, casbah, Alger : 1995.

6- Collot (C), Henry (JR) : Le Mouvement National Algérie 1912-1954, éd, L'harmattan, et OPU, Paris, Alger : 1978.

7- Yahiaoui Fadhila, : Roman et Société Coloniale dans L'Algeris de l'entre deux guerres, ENAL, Alger : 1985.

8- Harbi MOHAMED : La Guerre Commence en Algérie, éd, compelexe, Brruxelles : 1998.

9- Haroun Ali : L'été de la Discorde-Algérie 1962, édition Casbah,Alger :2000.

10- kaddache Mahfoud et Djilali sari, l'Algérie dans l'histoire-la résistance politique 1900-1954 :t5, ENAL, O.P.U, Alger : 1989.

11- kaddache Mahfoud : histoire du nationalisme Algérien 1919-1951.T2, S, N, E, D, Alger : 1980.

12- teguia Mohamed, l'Algerie en guerre, office des publications universitaire, Alger : 1988.

13- Merad Ali : le reformisme musulman en Algeie de 1925 à 1940,essai d'histoire religieuse et sociale ,(Mouton,co)paris :1967

فهـــرس الموضوعـــــــات

فهرس الموضوعات

مقدمة.....01

الفصل الاول: حياة الشيخ احمد توفيق المدني والعوامل المؤثرة في تكوين شخصيته .

المبحث الاول : المولد وبيئة النشأة 14

المبحث الثاني : تعلمه 20

المبحث الثالث: نشاطه السياسي في تونس ونفيه إلى الجزائر 24

الفصل الثاني : جهـود المدني في الاصلاح والنهضة الثقافية والسياسية في الجزائــر 1925 -1954م

المبحث الاول: نشاطه الثقافي 37

المبحث الثاني: اسهاماته الوطنية في الحركة الوطنية الجزائرية 56

المبحث الثالث: دوره في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.....70

المبحث الرابع:مو اقفــه من بعض القضايا الوطنية.....80

الفصل الثالث: دور احمد توفيق المدني في الثورة التحريرية الكبرى 1954-1962م

مدخل للفصل 92

المبحث الأول: موقف المدني من اندلاع الثورة التحريرية 1954-1956م..... 93

المبحث الثاني: .مهامه في الثورة التحريرية ما بين 1956و1958م.....101

المبحث الثالث: نشاطه ضمن الحكومة الجزائرية المؤقة 1958 و1962م..... 115

الفصل الرابع : نشاطه في بناء الجزائر المستقلة 1962-1983م

مدخل للفصل.....128

المبحث الاول: وظائفه الرسمية في اجهزة الدولة حتى وفاته.....129

المبحث الثاني: جوانب من آثار الشيخ المدني 139

الخاتمة 159

الملاحق.....162

البيبليوغرافيا.....175

فهرس الموضوعات .

***